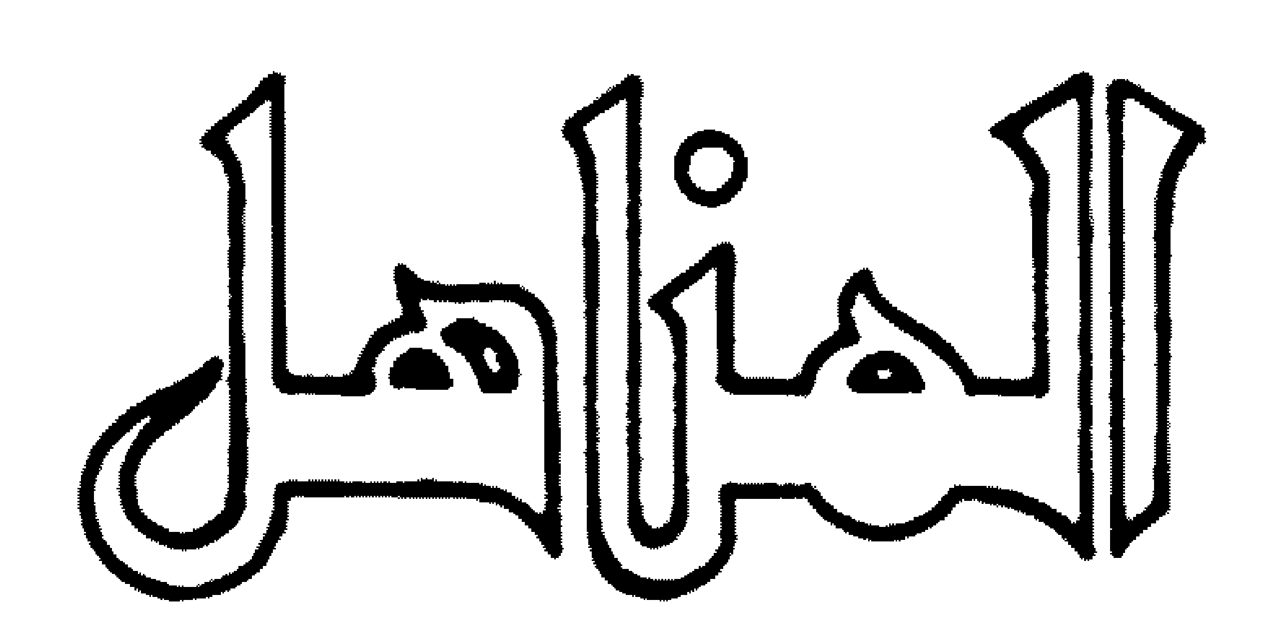
المناهل



18



تصدرها
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

العدد الثامن عشر
السنة السابعة

رمضان 1400
يوليو 1980

تهنئة "المناهل" بعيد الشباب المجيد

يسعد أسرة "المناهل" ويشرفها أن ترفع آيات التهاني والتبريك إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني المؤيد المنصور بالله، بمناسبة الذكرى الواحدة والخمسين لميلاده الميمون، ومملكته في غمرة من البهجة والاغتباط والمسرات، احتفالاً بهذا العيد المجيد، وإعراباً عما يكنه المغاربة قاطبة من محبة وإعزاز وولاء، وإكبار لقائد المغرب الملهم الحكيم، ومبدع مسيراته، ومحقق انتصاراته وصانع أمجاده.

و"المناهل" إذ ترفع عواطف محبتها وولائها لشخص جلالته، تضرع إلى الله سبحانه أن يعيد هذا العيد السعيد عليه وعلى أسرته بأعظم المسرات، وأن يطيل عمره ويقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وبصنوه الأمير المحبوب مولاي رشيد، وأخواتهما الأميرات المبجلات وأن يحقق بما وهبه الله من عبقرية ما يطمح إليه شعبه من واسع الآمال.

"المناهل"

فهرس

صفحة

أكاديمية مملكة المغرب

الدورة الافتتاحية

خطاب صاحب الجلالة الحسن الثاني

أيده الله ونصره

الحمد لله   والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

أصحاب الفخامة أصحاب السعادة أصحاب المعالي

حضرات السادة العلماء الاعلام

حضرات السادة الأفاضل

يمتليء قلبنا في هذه اللحظة المشهودة من تاريخنا، بشعور فياض، تلتقي فيه المسرة والاعتزاز، ذلك ان الله يحقق لنا في هذه الآونة السعيدة الميمونة، أمنية غالية من أمانينا، وحلما عزيزا من أحلامنا، فطالما تطلعت نفسنا إلى يوم يعلو فيه فوق أرضنا، بنيان يكتسب شموخه ممن يجتمع في رحابه من أقطاب الفكر وأساطين المعرفة وأئمة البيان وبناة الحضارة.

وها نحن اليوم في هذه الجلسة الافتتاحية نبارك انطلاق أعمال أكاديمية المملكة المغربية مؤملين من وراء هذه

الأعمال، الاسهام المنشود في تألق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب والتفاهم المفضي إلى سعادة الإنسان.

وقد كان حرصنا شديدا على أن تحتضن الأكاديمية رجالا يفدون من آفاق متباينة وينتمون إلى أجناس مختلفة وينتسبون إلى ثقافات وحضارات متغايرة ويمتازون كلهم بالصيت البعيد والشهرة الواسعة والتجربة الوافرة والحكمة البالغة.

ومن تباشير اليمن أن يسر الله ما اليه قصدنا وعليه حرصنا، فلبى دعوة الانتساب إلى أكاديميتنا نخبة من قادة الفكر وصفوة من جهابذة العلماء وأكابر الأدباء والشعراء، فإلى هؤلاء الأعضاء الأجلاء نوجه خالص الشكر وجزيله وبهم جميعا نرحب في بلدهم هذا صادق الترحيب وجميله.

حضرات الأعضاء الجلة المحترمين.

لقد انطلقنا في تحديد غايات أكاديميتنا وتشكيلها على نحو غير معهود، من منطلق موقع المغرب الجغرافي، وهو موقع أراد الله أن يكون في مفترق قارات، فرسم وجهة المغرب التاريخية وفرض على بلادنا أن تقوم باستمرار بدور أداة للربط والاتصال والتأليف بين الشعوب والحضارات.

وإذا كنا قد ءاثرنا أن يلتقي في رحاب أكاديميتنا أقطاب يردون من جهات متباعدة فان مرد ذلك إلى ان جهود بلاد وحدها لا تؤدي إلى أغراضنا المنشودة ولا تحقق مطامحنا المقصودة ولذا فقد ألحت علينا الرغبة في مد مؤسستنا بابعاد تجعل منها مسترادا فسيحا تتضافر في رحابه جهود سامية لا للتباحث والتداول في شؤون فكرية وعلمية فحسب ولا كن لايجاد ذلك التقارب وذلك التفاهم الخليقين بالاتساع والامتداد.

فالأمل معقود بأكاديمية المملكة المغربية الجامعة لألوان من التفكير وأصناف من الإحساس وأفانين من التخصص والعرفان أن تطوي المسافات وتوثق أواصر الاتصال والتعارف بين مفكرين وحماة للفكر يتمسكون بقيم روحية واحدة وان اختلفت العقائد والأديان ويهتمون اهتماما مشتركا بكل ما يستحث خطى الحضارة ويؤمن المصير الآمن المشرق للإنسان.

ان الظروف التي تجتازها حياة البشر، ظروف عسيرة عصيبة بما يتلاحق من مشاكل، ويتفجر من أزمات، ويتجهم الخلق من سحاب، ويتطاول للمادة من نفوذ، ويتضاءل من جاه للروح وسلطان، ويشيع في النفوس من قلق وخوف، ويتوالى على الألسنة والقلوب، من أسئلة لا يطرحها التفاؤل

والاستبشار، وما أشد حاجة الانسان، والظروف التي تحيط بحياته، لا تنبت الاطمئنان ولا تزهر بالأمان، إلى حظ كبير من الدعة، ونصيب وفير من التفكير فيما يعيد البشاشة، ويفيض الانشراح، ويرد عازب الأمل.

فاذا كتب الله لهذه الأكاديمية والظن بالله جميل أن تعين على حث ركب الحضارة، ونشر الطمأنينة، وبعث الأمل، فإن الأعضاء المتئازرين في هذه المؤسسة أرباب الفكر السامي وأصحاب القلب الطافح بالخير، سينيرون في هذا الزمن المتبدل المتحول سبيل ولوج العهد الجديد ويساعدون على حمل الأمانة الربانية، الملقاة على عاتق الانسان.

ولنا، حضرات الأعضاء الجلة المحترمين، ثابت اليقين وراسخه، بان أهدافا كهاته الأهداف، وعزائم كعزائمكم المأثورة، ستكون أعظم ضمان لأداء الرسالة الموكولة إلى أكاديمية المملكة المغربية.

وفقكم الله، ويسر لكم مسالك الخير، وسدد خطاكم على محجة العمل الصالح، وأثاب جهودكم بالنجاح الذي لا يتخلف ولا يغيب.

واليكم منا تحية إعزاز وتبجيل وإكبار.

من أروع الشعر:

القصيدة الشقراطسية
في مدح المصطفى (ص)(•)

عبد الله كنون

لا حظت في كتابي «أدب الفقهاء» أن مدح النبي صلى الله عليه وسلم، مما اختص به مشائخ العلم وأدباء الفقهاء، وأنه بعد شعراء الصحابة الذين عاصروا ظهور الاسلام كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، لم يتعاط أحد من شعراء العربية الكبار في العصر الأموي والعصر العباسي هذا اللون من المدح الذي يعد فنا من فنون الشعر العربي، متفردا بما يسجله من صور البطولة والكفاح من أجل إثبات الوجود العربي وإعلان رسالة الإسلام التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، وأحلت العرب محل الصدارة بين الأمم ذات التاريخ المشرق والمجد العريق، وهو حري

(•) أعيدت كتابة هذا البحث باعتماد ثلاث نسخ أخرى من القصيدة الشقراطسية زيادة على النسخ الثلاث التي كتبت عليها أولا.

أن يصنف في شعر السير والملاحم، ويستظهر به في مقابل الشعر القصصي الذي يوخذ على شعرنا القديم خلوه منه، لا سيما والكثير منه يقع في مطولات رائعة تستوعب ذكر أحداث السيرة النبوية، بأسلوب أدبي ممتع يتخلله الانطباع النفسي للشاعر وتجاوبه مع هذه الأحداث، مما جعل الناس يتغنون به ويتناشدونه في المناسبات القومية والاجتماعية.

وأن ينتشر الشعر في جميع الأوساط، ويحتفل الناس به هذا الاحتفال، دليل على أنه يمس أوتار القلوب، ويعكس شعور الأمة التي قيل فيها، وأنه متميز في بابه، فهو وإن كان مدحا، ليس كسائر الأمداح، لأنه سجل حافل بالمفاخر والمآثر التي يدرك الجميع وكل فرد فرد أنها مفاخره ومآثره هو نفسه.

ومن أوائل مطولات هذا الشعر التي أشرت إليها هناك القصيدة الشقراطسية.

القصيدة وصاحبها

الشقراطسية قصيدة لامية من بحر البسيط في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، واستعراض وقائع السيرة النبوية وحياة الدعوة الإسلامية منذ انبلاج فجرها إلى أن عمت أقطار المعمورة، وذلك بأسلوب شعري جميل يتراوح بين التقرير والتخييل، والتصوير والتسجيل مما يتجاوز

حد الوصف، وأبياتها في فتح مكة أكثر من رائعة وهي تقع في 133 بيت، وشهرت بالنسبة إلى ناظمها أبي محمد عبد الله بن يحيى بن علي التوزري المعروف بالشقراطسي، نسبة إلى قلعة قديمة كانت بالقرب من قفصة في تونس تسمى شقراطس، على أنه عاش في مدينة توزر، وكان من فقهائها ونبغ في الأدب والشعر، وله كتاب «الإعلام في معجزات خير الأنام» وغيره من الأوضاع وأخذ عنه جماعة من أهل العلم كأبي الفضل ابن النحوي، وحج وزار وأنشد قصيدته هذه بالمدينة المنورة تجاه الروضة الشريفة، وكانت وفاته في ربيع الأول سنة 466 هـ .

وتمتاز الشقراطسية بأنها من الملاحم المطولة التي فتحت باب نظم السيرة واقتحمت معركة الشعر التاريخي بنجاح، فنالت بذلك شهرة كبيرة، وتلقاها الناس بالقبول، ولم يقلل من انتشارها إلا ظهور قصيدتي البردة والهزيمة للإمام البوصيري الذي تقفى خطوات الشقراطسي ونسج على منواله، ولكن تاريخ الأدب نسيه أو تجاهله، على أنها خلت مما أخذ على القصيدتين من غلو في بعض أبياتهما.

تقريظ الناس لها واهتمامهم بها

كثر الثناء على الشقراطسية والتنويه بها من جهابذة العلم وعباقرة الأدب، وقدروا مجهود صاحبها سواء من ناحية السبك والصياغة، أو من ناحية المؤدى والمضمون، وهي في الحقيقة حرية بذلك وأجد ربما قيل

فيها. فهذا الرحالة العبدري المعروف بعلو كعبه في الأدب والنقد يقول بعدما أوردها كاملة في رحلته ما نصه : «قلت أبدع هذا الناظم رحمه الله فيما نظم، وشرف هذه القصيدة بقصده الجميل فيها وعظم، فراقت معنى ومنظرا، وشاقت حسا ومخبرا، فهي كما وصفها أبو عبد الله المصري حين قال (يئست عن معارضتها الأطماع، وانعقد على تفضيلها الاجماع، وطبقت أرجاء الأرض، وأشرقت منها في الطول والعرض).

وأبو عبد الله المصري الذي ورد ذكره في كلام العبدري هو بلدي الشقراطسي من توزر ولكنه شهر بالمصري ويعرف بابن الشباط، وقد كان محتفلا بهذه القصيدة رواها بالسند المتصل إلى ناظمها، ورويت من طريقه وشرحها وخمسها وسمى تخميسه بسمط الهدى في الفخر المحمدي وذكر العبدري مطلعه وهو هذا :

إبدأ بحمد الذي أعطى ولم تسل — وذد به ريب رين الأين والكسل
فالحمد أحلى جنى من طيب العسل — (الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل)

وذكر العبدري أيضا ممن خمسها الفقيه القاضي أبا عمر وعثمان بن عتيق المعروف بابن عريبة قال عنه أنه من المشاهير بإفريقية (يعني تونس) وهذا أوله :

إربع من العلم الأسنى على طلل — فكم ضحيت ولم تفزع إلى ظلل

وإن عشوت إلى نار الهدى فقـــل (الحمد لله منا باعث الرســـل
هدى بأحمد منا أحمد السبل)

وخمسها الشيخ العلامة أبو بكر محمد بن حبيش أحد أعلام تونس ممن لقيهم الرحالة الشهير ابن رشيد الفهري وأخذ عنه ونوه به كثيرا وذكر أنه كان كثير العناية بهذه القصيدة وتصرف فيها على أوجه كثيرة من تخميس وغيره وكرر تخميسها ثلاث مرات وسماها القرب الثلاث. وهذا مطلع أحد هذه التخميسات :

عزل الشباب قضى أن المشيب ولى فما التغزل من قولي ولا عملـــي
حمد الإله ومدح المصطفى أملي (الحمد لله منا باعـث الرســل
هدى بأحمد بنا أحمد السبل)

وقد أثنى العبدري على هذا المطلع وحكم له بالإجادة وهو كذلك، ولا يستغرب من ابن حبيش فإنه كان على تضلعه في العلوم راسخ القدم في الأدب وله شعر ينم عن ذوقه وانطباعه.

وممن أثنى على الشقراطسية ثناء عاطرا، الشيخ أحمد بن عمار صاحب كتاب نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، نقل عن الرصاع كلاما في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وما يستحسن إنشاده من الشعر، ومنه هذه القصيدة، وذكر أبياتا منها في هذا الغرض، فعقب عليه ابن عمار بقوله فيها : «وهي من القصائد العظام، البديعة النظام، الرائقة

المعاني، الوثيقة المباني، وهي من الطراز الأول، وعليها في هذا الباب المعول، وقد رأيت أن أثبتها هنا برمتها، لانقياد البلاغة في أزمتها، ولكونها فتحت للافتنان أبوابا، وأحكمت من نسج البديع أثوابا ، وطارصيتها في الآفاق، وانعقد على بركتها الاجماع والاتفاق» ثم أتى بها كاملة، وأعقبها بكلام الناس فيها وما سبق إيراده من أمثلة التخميسات التي وضعت عليها وغير ذلك.

على أن من الأدباء من شطرها ومنهم من عشرها، وتتبع ذلك يطول وأما عن شروحها من غير ما ذكر فكثير وهذا دليل ناصع على ماكان لها من شهرة واسعة وأنها اعتبرت نسيجة وحدها لما ظهرت، كما ألمعنا لذلك من قبل وأشار له الشيخ ابن عمار في سجعاته المذكورة آنفا.

نقد العبدري لها

قدمنا ما قرظ به العبدري هذه القصيدة، ونورد أيضا ما لاحظه على بعض أبياتها، إذ كان ناقدا قلما يسلم من وخزاته أحد، وإليك ما قاله بإثر كلامه السابق في نقدها على أنه رحمه الله تعالى قد أكثر فيها لأجل الصناعة التصنع، وتكلف منها ما هو بعيد المرام، شديد التمنع، واعترض في كل معنى عرض، وربما أغرق النزع فخالف الغرض، كقوله : (فويل مكة من آثار وطأته) البيت، وقوله : (وحل بالشام شؤم غير مرتحل) وما جرى هذا المجرى من كلامه رحمه الله ولكن قصيدته بالجملة قد حلت من البلاغة في حصن ممنع، وجلت وجها زهاه الحسن

أن يتقنع. (1) فإن أنكرت من وصفها قولا، أو سمعت في مدحها تخصيص لولا، أحردت متأملة، وأنشدت متمثلة :

ما سلم البدر على حسنه كلا ولا الظبي الذي يوصف
البدر فيه كلف ظاهر والظبي فيه خنس يعرف .....»

وهذا الذي انتقده العبدري من قول الشقراطسي لا يتوجه عليه إذا استحضرنا أنه يتكلم على مكة، وهي في قبضة المشركين، فالويل منصرف إليهم وليس لها، وكذا القول في الشام، ما حل بها من الشؤم، إنما هو لمن حل بها من الروم لا بها. أما التصنع ويعنى به صناعة البديع فإنه كان حلية الكلام، وحلبة التباري بين الأدباء في تلك العصور، والناقد نفسه لم يسلم منه في كثير من كلامه، وقد رجع فأقر بتفوق القصيدة في مجال البلاغة، والحق هو هذا الذي وقع عليه الانفصال.

نسخ القصيدة التي قابلناها عليها

بيدنا للشقراطسية ست نسخ كاملة، إحداها مخطوطة من القرن التاسع الهجري أو العاشر على الأكثر فيما يظهر وهي في خمس صفحات كبيرة من ستة وعشرين وسبعة وعشرين سطرا.

---

1) هذا تعبير مقتبس من عمر بن أبي ربيعة في بيت من قصيدة عينية يقول فيه :
ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

ومدادها فاتح، وبعض أبياتها وهي التي تكون بمثابة الفصل بين موضوع وآخر، مكتوبة بالأحمر وكذا بعض الاعلام وإسم الجلالة بالخصوص، وبعضها الآخر بالأخضر، وهي مشكولة شكلا تاما وصحيحا وبهامشها كلمات تشير إلى اختلاف النسخ في بعض الأبيات، مما يدل على أنها نسخة مقابلة بغيرها فيمكن اعتمادها باطمئنان.

والثانية والثالثة هما نسختا رحلتي ابن عمار والعبدري، والأولى مطبوعة في الجزائر سنة 1322 هـ = 1904م والثانية مطبوعة في الرباط سنة 1968 بتحقيق الأستاذ الكبير محمد الفاسي.

والرابعة نسخة كتاب المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح المطبوع بمصر سنة 1352 = 1933 وهي ختام الكتاب، وقد جاء في آخرها بيتان أحدهما في الصلاة على النبي (ص) والثاني يتضمن تسمية الناظم، وهما مثل البيتين اللذين يضافان إلى قصيدة البردة للبوصيري في الصلاة عليه (ص)، ويظن أن الباعث عليهما خفاء عبارة الصلاة التي ختمت بها كل من القصيدتين لصياغتها الأدبية البليغة فعبر صاحبا البيتين بعبارة صريحة في الصلاة يفهمها الجميع. وعلى كل فهذان البيتان المشار إليهما ليسا من القصيدة بحال.

والخامسة نسخة كتاب نهاية الأرب للنويري، طبع مصر سنة 1374 = 1954 تصويرا عن طبعة دار الكتب. وقد جاءت في آخر الجزء الثامن عشر منه، وهذه نسخة وقع فيها اضطراب وخلط بين أبياتها بحيث

فقدت الترتيب الطبيعي الذي يجعل معانيها متساوقة منسجمة. وذلك في أربعة مواضع. الأول بعد البيت 57 حيث أقحم ستة أبيات ابتداء من البيت 100 إلى البيت 105. والثاني بعد هذا البيت بالذات إذ أقحم البيت 64 إلى البيت 99 والثالث إثر هذا البيت إذ جاء بعده البيت 55 إلى البيت 64. والثالث بعد هذا البيت حيث أقحم البيت 106 إلى النهاية. فهي إن كان نصها سليما في الجملة إلا أن ترتيبها لا يعتمد (2) .

والسادسة نسخة كتاب الجديد في أدب الجريد للأستاذ أحمد البختري التونسي المطبوع سنة 1973.

وتم قطع من القصيدة مخطوطة وقفنا عليها في بعض المجامع وشروح السيرة النبوية وكتب الأمداح . ومطبوعة في بعض هذه الشروح والكتب المنشورة كشرح الزرقاني على المواهب ذكرت على سبيل الاستشهاد. وقد راجعناها عند المقابلة استئناسا بها كأنها نسخة سابعة وتم بذلك إخراج النسخة التي نقدمها للقارئ، وتصحيحها بقدر الوسع والطاقة. مع الإشارة في ذيول الصفحات إلى الاختلافات الواقعة بين هذه النسخ في الجملة. وإن كان بعضها قد يعد من خطأ الطبع في المطبوع منها والكمال لله . ونشير إلى نسختنا بحرف الخاء وإلى نسخة رحلة ابن عمار بحرف العين وإلى نسخة رحلة العبدري بحرف الراء وإلى نسخة المنهاج

---

2) نبهني إلى هذه النسخة الأستاذ الصديق بن العربي محافظ الخزانة العامة بمراكش، فله الشكر.

الواضع بحرف الميم وإلى نسخة نهاية الأرب بحرف النون وإلى نسخة كتاب الجديد بحرف الجيم.

- نصهـــــــا -

1) الحمد لله، منّا، باعثِ الرســـــل　　هدى (بأحمد) منا، أحمدَ السبُـــل
2) خير البرية من بَدْوٍ ومن حضَـــر　　وأكرمِ الخلق من حافٍ ومُنتعِـــــل
3) توراةَ موسى أتت عنه فصدّقهَـــا　　إنجيلُ عيسى بحق غير مفتَعَـــل
4) أخبارُ أحبارِ أهل الكُتْبِ قد وردت　　عما رأوْا أورَوَوْا في الأعصُرِ الأُوَل
5) ضاءت بمولده الآفاقُ واتصلـــــت　　بُشرى الهواتف في الإشراق والطَّفَل
6) وصَرحُ كسرى تداعَى من قواعده　　وانقضّ (3) مُنكسِرَ الأرجاء ذا مَيَل
7) ونارُ فارسَ لم تُوقد وما خمـــدت　　مذ ألف عام ونهرُ القوم لم يَسِـــل
8) ومنطقَ الذيب بالتصديق معجـزةٌ　　مع الذراع ونَطق العير والجَمَـــــل
9) خرَّت لمبعثه الأوثانُ وانبعثـــــت　　ثواقبُ الشهب ترمي الجن بالشُّعَـــل
10) وفي دعائك بالأشجار حين أتـــت　　تمشي بأمرك في أغصانها الذُّلُل(4)
11) وقَلتَ عُودي فعادت في منابتهـــا　　تلك العروق بإذن الله لم تَمِـــــل
12) والسرحُ بالشام لمّا جئتَها سجـدت　　شمَّ النوائب من أفنانها الخُضُـــــل
13) والجِذْع حنَّ لأن فارقتَه أسفـــــا　　حنين ثكْلَى شجتها لوعةُ الثُّكَـــــل

---

3) في ن : وانقاض.

4) في ر : الدلل بإهمال الذال.

14) ماصبرُمن صارمن عين إلى أثر(5) ... وحالٌ من حال من حلى(6)إلى عطل

15) حَيِيَ(7)فمات سكونا ثم مات لدَن ... حَيِي حنينا فأضحى غاية المثــل

16) والشاة لما مسحت الكف منك على ... جَهْد الهَزال بأوصال لها قُحُل (8)

17) سحّت بدِرَّة شكرى(9)الضَّرْع حافلة ... فروّت الركب(10) بعد النهل بالعلل

18) وآيةَ الغار إذ وُقيتَ في حجـــب ... عن كل رِجْس لرجس الكفرمُنتَحِل

19) وقال صاحبك الصديق كيف بنا ... ونحن منهم بمرأى الناظر العَجِل

20) فقلت لا تحزن إن الله ثالثنـــا ... وكنتَ في حجْب ستر منه منسـدل

21) حمت لديك حمامُ الوحش جاثمةً ... كيدا لكل غَوِي القلب مختبــل

22) والعنكبوت أجادت حَوْكَ حَلتهـــا ... فما يُخال خِلال النسج من خَلَل

23) قالوا وجاءت إليه سرحة ستــرت ... وجْهَ النبي بأغصان لها هُــدْل

24) وفي سُراقةَ آيات مبينــــــــة ... إذساخت الحجرفي وحل(11) بلاوحل

25) عرجت تخترق السّبعَ الطباقَ إلى ... مقام زُلفى كريم قُمت فيه علي

26) عن قاب قوسين أوأدنى هبطتَ ولم ... تستكمل الليل بين المر والقفل

27) دعوتَ للخلق عام المحل مبتهلا ... أفديك بالخلق(12)من داع ومبتهل

---

5) في ع : على.

6) في ع و ن و ج : حالٌ وحينئذ يقرأ عطل بكسر الطاء.

7) في ع و ر و م : حي.

8) في ع : نحل و في م : محل.

9) في ع، و م : شكوى وفي ر : شكر وشكري الضرع ممتلئته لبنا.

10) في م : قدرت.

11) في ر : رجل والحجر بكسر الحاء : أنثى الخيل.

12) في خ : للخلق.

28) صعَدَتَ كفيك إذ كف الغمام فما — صوّبت إلا بصوب الواكف الهَطِل
29) أراق بالأرض ثجّاً صوب ريّقه — فحل بالروض نسجا رائق الحُلَل
30) زُهْرٌ من النور حلت روض أرضهم — زهرا من النّوْرِ ضافي النّبْت مكتهِل
31) من كل غصن نضير مورق خضر — وكل نوْر نضيد مونِق خَضِل
32) تحيةَ أحيت الأحياءَ من مَضَر — بعدالمضرة تروي السّبْل بالسَّيَل(13)
33) دامت علىالأرض سبعاغيرمقلعة(14) — لولا دعاؤك بالاقلاع لم تَزِل
34) ويومَ زَوْرِك بالزوراء(15)إذ صدروا — من يُمْن كفك عن أعجوبة مثل
35) والماء ينبع جودا من أناملها — وسط الإناء بلا نهر(16)ولا وشل
36) حتى توضأ منه القوم واغترفوا — وهم ثلاث مئين جمعَ محتفل
37) أشبعت بالصاع ألفا مرملين كما — رويت ألفا ونصف الألف من سَمل (17)
38) وعاد ما شبع الألفُ الجياعُ به — كما بدؤا فيه لم ينقص ولم يَحل

• • •

39) أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في — عصر البيان فضلّت أوجهُ الحيل
40) سألتهم سورة في مثل حكمته — فتلهم عنه حَيْنُ العجز حين تُلي

---

13) في م، و ن و ج بالسبل بفتح الباء وهو المطر.

14) في ر : مغلقة.

15) الزوراء المذكورة هنا موضع بالمدينة وهو في حديث أنس عن هذه المعجزة كما في الصحيحين رأيت رسول الله، وهو بالزوراء وحانت العصر، الحديث.

16) في ر : ولا نهر.

17) السمل بقية الماء في الإناء.

41) فرام رجس كذوب أن يعارضـــــه بسخف إفك فلم (18) يحسن ولم يطـل
42) مشبج بركيك الافك ملتبـــــس ملجلج بِزري(19)الزور والخطـل
43) يمج أول حرف سمعُ سامعـــه ويعتريه كلالٌ (20)العجز والملل
44) كأنه منطق الورهاء شذّ بـــــه لبس من الخبل (21) أو مس من الخبل
45) أمرَت البيرَ بل غارت لِمجته (22) فيها وأعمى بصير العين بالثفـل
46) وأيبس الضرعَ منه شؤمُ راحتـــه من بعد إرسال رِسْلِ منه منهمـل
47) برئت من دين قوم لاقوام لهم (23) عقولهم من وثاق الغي في عُقَـل
48) يستخبرون خفيَّ الغيب من حجر صلد،ويرجون غَوْث النصر من هبل
49) نالوا أذىً منك لولا حِلمُ خالقهـم وحجة الله بالإعذار لم تَنَـل
50) واستضعفوا أهل دين الله فاصطبروا لكل معضل خطب فادح جلـل
51) لاقى بلالٌ بلاءً من أمَيَة قـــد أحلّه الصبرُ فيه أكرمَ النزل (24)
52)) إذ أجهدوه بِضنك الأسْر وهو على شدائد الإزل(25)ثبْتَ الأزْر لم يـزل
53) ألقَوْه بطحاً بِرمضاءِ البطاح وقـد عالوا عليه صخورا جمة الثقـل

---

18) في ع : لم وهو كذلك لا يتزن، وفي م، و ن، بعي عي مكان بسخف افلك.
19) في ر : بردى
20) في م : كلام العجز.
21) في خ : الحبل بالمهملة والخبل بالسكون الفساد وبالفتح الجن
22) في ن : واغورت لمحبته.
23) في طرة خ : إشارة إلى نسخة أخرى فيها : له. وهي أنسب وفي ج بريت مكان برئت .
وفي ن غلل مكان عقل
24) في م : اكرم النول.
25) الداهية والامر الشديد.

54) يُوحِّدُ الله(26)إخلاصا وقد ظهرت — بِظَهْرِه كَنُدوبِ الطل في الطَّلَلِ

55) إن قَدَّ ظهرَ وليِّ الله من دُبُر — قد قَدَّ قلبَ عدو الله (27) من قُبُلِ

● ● ●

56) نَفرتَ في نفر لم ترض أنفسُهم — إذنافروا الرِّجسَ إلاالقُدس من نَفل

57) بِأنفسٍ بَدَّلتَ في الخُلد إذ بَذَلتْ — عن صِدْقِ بَذْل ببدر، أكرَمَ البَدَل

58) مِن كل مُهتَصِر لله منتصِر — بِالبيض مختَصِر بالسُّمر معتقِل

59) يمشي إلى الموت(28)عالي الكعب معتقِلاً — أظْمَى الكُعوب كمشْي الكاعِب الفُضُل

60) قد قَاتَلوا دونك الأقيالَ عن جلد — وجالَدوا بجلاد البيض والجَدَل

61) وَصَلْتَهم وقطعتَ الأقربين معاً — في الله لولاهَ لم تقطع ولم تَصِل

62) وجاء جبريلُ في جُنْد له عَدَدَ — لم تبتذِلْها أكفُّ الخلق بِالعَمَل

63) بِيض من العوْن لم تُستَلَّ من غُمُدٍ — خَيْل من الكَوْن لم تُسْتَنَّ في طِيَل

64) أحبب بخيل من التكوين قد جُنبت(29) — لجانب عن جَنَاب الحق مُعتَزِلِ

65) أعميتَ جَيْشاً بكف من حصى فَجَثَوْا — وَعَقَّلوا عن حَرَاكِ النَقْل بالنقَل (30)

66) ودعوة بِفِناء البيت صادقة — غدا أُمَيةُ منها شرَّ مُنخَذِل (31)

---

(26) في م، و، ن : فوحد الله.

(27) يريد به أمية بن خلف الذي كان يعذب بلالا بمكة فقتله بلال في بدر.

(28) في طرة خ : إشارة إلى نسخة فيها : إلى الحرب.

(29) في ر : حبيت.

(30) النقل محركا صغار الحجارة.

(31) في غ : منخزل، والدعوة المشار إليها هي ماجاء في الصحيح من قوله (ص) : اللهم عليك الملا من قريش وسمى نفرا منهم؛ ابا جهل وأمية ابن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فصرعوا كلهم في بدر.

67) غادرتَ جهْلَ أبي جهل بمَجْهَلة — وشاب شيبةَ قبل الوقت(32)من وَجل
68) وعَتْبة الشر لم يُعتب فتَعْطِفه — منك العواطفُ قبل الحَيْن في مَهَل
69) وعُقبةُ الغمر عقباه لشقوته — أن ظل(33)من غَمرات الخِزْي في ظُلل
70) وكلُّ أشوسَ عاتي القلب مُنقلِب — جعَلته بقليب البِئْر كالجُمَل
71) وجَاثِم بمنار النَّقْع مشتغِل — بِجَاحم مِن أُوار الثُّكْل مُشتعِل
72) عقدتَ بالخزي في عطفَيْ مقلّدِه — طوقَ الحمامة باقٍ غيرَ منتقِل
73) أمسى خليلَ صَغار بعد نَخْوته — بالأمس في خُيَلاء الخيْل والخَوَل
74) دامٍ يَديم زفيراً في جَوانحه — جُنْحٌ من الشك لم يَجْنَح ولم يَمل
75) يُقاد في القِدِّ خَنْقاً مشْرَبا حَنَقاً — يمشي به الذُّعْرُ مشي الشارِب الثمل
76) أوصالُه من صَليل الغُلِّ في عِلَل — وقلبُه من غليل الغِل في غُلَل
77) يَظلُّ يحجلُ ساجي الطرف خافِضَه — لِمَسْكَة الحِجْل (34) لا من مُسْكة الخَجل
78) أرحتَ بالسيف ظهر الأرض من نَفر — أزحتَ بالصِّدق منهم كاذبَ العِلل
79) تركتَ بالكُفر صدْعاً غيرَ ملتئم — وآب عنك بقَرْح غير مُندمِل
80) وأفلَت السيفَ منهم كلُّ ذي أسف — على الحِمَام حماه آجِلُ الأجل
81) قد أعتَقتَه عِتاقُ الخيل وهو يرى — به إلى رِقِّ موتٍ رِقَّةَ الغَزل
82) فكم بِبَكَّة من باكٍ وباكيةٍ — بفيض سَجْل من الآماق مُنْسَجِل

32) في ع : الموت وفي ن : الفوت.
33) في ن : قد ظل والمراد بعقبة : ابن أبي مُعَيْط وهو الذي القى سلا الجزور على النبي عند سجوده فدعا عليه وعلى رفاقه.
34) في م : من مسكة.

83) وكاسف البال بالي الصّبر جُدْتَ له — بوابِل من وَبَال الخزي مُتّصـــل
84) فؤاده من سعير الغيظ في غـــلل — وعينُه من غزير الدمع في غـــلل
85) قد أسعرتّ منه صدراً غير مصطبر — وحملت منه صبرا غير مُحتَمَـــل

• • •

86) ويومَ مكة إذ أشرفْتَ في أمـــم — يضيقُ منها فِجاجُ الوعث والسهَـــل
87) خوافقٌ ضاق ذَرْعُ الخافقَين بهـــا — في قاتِم من عَجاج الخيل والإبِل
88) وجحفل قَذفِ الارجاء ذي(35)لجب — عَرمْرَم كزُهاء السّيل منسجل (36)
89) وأنت صلى عليك اللهُ تقدُمُهـــم — في بَهْو إشراق نُور منك مكتمِـــل
90) يُنير فوق أغرّ الوجه. مُنتجب (37) — متوّج بعزيز النصر مُقتَبَـــــل
91) يسمو (38) أمامَ جنود الله مرتدياً — ثوبَ الوقار لأمر الله مُمتثِـــــل
92) خشَعْتَ تحت بهاء(39)العِز حين سمتْ — بك المهابَةُ فِعلَ الخاضع الوجـــل
93) وقد تباشر أملاكُ السماء بمـــا — ملكتَ إذ نلتَ منه غايةَ الأمـــل
94) والأرض ترجُف من زَهْو ومن فَرَق — والجو يُزهر إشراقاً من الجَذَل
95) والخيلُ تختالِ زَهْوا في أعِنَّتهـــا — والعِيس تنثالُ رهْوا في ثُنَى الجُدُل
96) لولا الذي خطّت الأقلامُ من قَدر — وسابق من قضاء غير ذي حِــوَل

---

35) في ر : في لجب.
36) في ع، و م : الليل وفي العبدرية : النسيل منسحل. وهو تصحيف.
37) في ر و م : منتخب.
38) في م ، و ن : تسمو.
39) في ن : تحت لواء العز.

97) أهلّ تهلانَ بالتّهليل من طـرب — وذاب يذْبَلُ تهليلا من الذّبـل
98) الملكُ لله هذا عِزّ مَن عقِـدت — له النبوةُ فوق العرش فـي الأزل
99) شعّبت صدْعَ قريش بعدما قذفـت — بهم شعوبٌ شِعابَ السهْل والقلـل
100) قالوا محمدُ قد زارت كتائبُـه — كالأسْد تزأرُ في أنيابها العصَـل
101 فويْلَ مكةَ من آثار وطْأتـه — وويْلَ أمّ قريش من جَوى الهبـل
102) فجُدتَ عفواً بفضْل العفو منك ولم — تُلمِمْ ولا بأليم اللوْم والعـذل
103) أضربتَ بالصفْح صفحاً عن طوائلِهم — طوْلاً أطال مَقيل النوم(40)في المَقل
104) رحِمتَ واشِجَ أرحام أتيح لهـا — تحتَ الوشيج نسيجُ الروْع والوجَل(41)
105) عاذوا بظِل كريم العفوذي لَطـف — مُبارك الوَجْه بالتوفيق مشتمِـل
106) أزكى الخليقةِ أخلاقاً وأطهرهـا — وأكرم الناس صفْحاً عن ذوي الزلل
107) زان الخشوعَ وقارٌ منه في خفـر — أرقّ من خَفَر العذراء في الكِـلل
108) وطفتَ بالبيت محبُوراً وطاف به — مَن كان عنه قُبيْلَ الفتح في شغُـل
109) والكفر في ظلُمات الخزي مرتكِسٌ — ثاوٍ بمنزلة البهْموتِ من زُحَـل

• • •

110) حجزْتَ بالأمن أقطار الحجاز معا — وملت بالخوف عن خَيْفٍ وعن ملل
111) وحل أمنٌ ويُمْنٌ منك في يَمَـن — لمَّا أجابت إلى الإيمان عن عجَـل
112) وأصبح الدين قد حُفّت جوانبُـه — بِعِزّة النصر واستولى على المِـلل

---

40) في ن : القوم.

41) في ع : والخجل.

113) قد طاع مُنحرِفٌ منهم لمُعتَــرِف ، وانقاد مُنعَدِلٌ منهم لمُعتَــدِلِ
114) أحِببْ بِخَلة أهل الحق في الخُلل (42) وعِزَّ دولته الغراء فـي الــدُّوَل
115) أمَّ اليمامةَ يومٌ منه مصطلِــــم وحلَّ بالشامِ شؤمٌ غير مرتحِــل
116) تعرقت منه أعراقُ العراق ولــــم يترك من التُّرك عظمٌ غيرُ مُنتثَل(43)
117) لم يبق للفُرْس ليثٌ غيرَ مفتَـرَس ولا من الحُبش جيشٌ غيرُ مُجفَل
118) ولا من الصِّين صونٌ غير مُبتَـذَل ولا من الرُّوم مَرمى غيرَ مُنتضَـل
119) ولا من النُّوب جِذم(44)غيرمُنجذِمٍ(45) ولا من الزِّنج جِنْل غير مُنجَــدِل
120) ونيلَ بالسَّيف سيفُ النِّيل واتصلت دعوى الجنود فكُلٌ بالجِلاد صَلي
121) وسُلَّ بالغَرْب غرْبُ السَّيْف إذشَرِقَت بالشرق قبل صدور البيض والأسـل
122) وعاد كلُّ عدوٍّ عزَّ جانبُــــــه قد عَاذَ منك بِبَذلٍ غيرمُبْتَذَل (46)
123) بذِمة الله والإيمان مُتَّصِــــل أو من شبا النصل بالأموال مُنتصل

• • •

ياصَفوةَ الخلق قد أصفَيْتَ فيك صَفا صفْو الوداد بلا شوْب ولا دَخــــل
ألستَ أكرم من يمشِي على قدم من البرية فوق السهل والجبــــل
وأزْلَفَ الخلق عند الله منزلــــةً إذ قيل في مشهد الأشهاد والرســـل
قُم يا محمدُ فاشفَعْ في العباد وقُل تُسْمَع وسَلْ تُعطَ واشفع عائذاً وسَل

42) في ر، و م : خلل.
43) في ر : منشثل.
44) في ر : جزم وهو تصحيف.
45) في ر : منجزم.
46) في ر : ببكل منه مبتذل ولا يظهر لها معنى.

والكوثرُ الحوضْ يروي الناس من ظمأ   بَرْح ويُنقع منه لافِحَ الغُلل
أصفى من الثلج إشراقا مَذاقَته   أحلى من اللَّبنِ المضْروب بالعَسل
نحلتَك الودَّ عليَّ إذ نحلتَكَه   أحْبى بحبِّك منه(47)أفضَل النّحَل
فما لجِلدي بنُضْج النار من جَلَد   ولا لقلبي بهْول الحشر من قِبَل
يا خالِقَ الخلق لاتُخلِقْ بما اجترمتْ   يداي وجْهيَ من حُوب ومن زَلل
واصْحَب وَصلِّ وواصِلْ كلَّ صالحة   على صَفيِّك في الإصباح والأُصُل

طنجة   عبد الله كنون

47) في ج : منك.

خطة الحسبة

من النواحي النظرية والتطبيقية والتدوينية

عبد الرحمن الفاسي

تمهيـــد :

بين الفقه، والتاريخ، والانبثاق، والانفساح

ان النظر في ولايات الادارة الاسلامية ينصب على اتجاهين متوازيين. الاتجاه الفقهي الذى يرسم لها محجة الشريعة. ثم الاتجاه التاريخي الذي يصور واقع سيرها وحركتها في مختلف أطوارها.

وتعترض الباحث منذ بداية الاتجاهين معالم ولاية السوق ماثلة للعيان، ومن حسن حظ المؤرخ أنه كلما انبهم عليه طريقه، وغم عليه وجه الحركية في مسيرة هذه الولاية، وكاد ينقطع به السير باعتراض الثغرات التاريخية. مال تلقائيا الى اتجاه الفقهاء، لأن هؤلاء ظلوا على طريق نظرياتهم غير عابئين بسير التاريخ. ففي طريقهم معالم تدل الباحث على الوجهة اللاحبة في التأليف. فيتجه نحو أبواب الفقه التي استأثرت بنشاطهم. باحثا عن الجديد في أقضيتهم وفتاويهم، ولاسيما في البلاد

الاسلامية التي كان فيها الفقه والفقهاء عصب الحياة الاجتماعية بوضوح تام، كما يلاحظ في الأندلس والمغرب بوجه خاص، (●) ففي آثارهم يقع الباحث على ما يساعده على سد الثغرات، أو توقيها، فيغذ السير، ويتابع الخطى الى الأمام.

وهكذا سيكون حظنا أسعد، ونحن نلتقي في بداية الطريق بنصوص الذكر الحكيم، وبالماثور عن المشرع الأعظم، والرسول الى بني الانسان كافة، نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي نزل عليه الذكر الحكيم بآية : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »، وبآية : « وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان »، وفي الآية الكريمة أيضا : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم . ولا تعتوا في الأرض مفسدين ».

وأيضا فمن عمله المباشر صلى الله عليه وسلم في هذا الباب ما خرجه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال : « يا صاحب الطعام، ما هذا فقال : « أصابته السماء يارسول الله »، قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ »، ثم قال : « من غش فليس منا »

(●) فنجد مثلا في نوازل ابن سهل (الإعلام بنوازل الأحكام) فتاوى حول مسألة تعزير التاجر بطرده من السوق نهائيا أو موقتا فيما إذا ظهر غشه وهي فتاوى صادرة في بحبوحة القرن السادس مما يدل على أن الفقهاء ما زالو يومئذ يرسخون أحكام السوق التطبيقية حتى بعد صدور كتاب السقطي الآتي ذكره.

وفي الصحيح عن ابن عمر أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد رسول الله (ص)، فبعث عليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام.

وخرج رسول الله (ص) الى المصلى، فرأى الناس يتتابعون، فقال: « يا معشر التجار »، فاستجابوا له، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم اليه، فقال: « ان التجار يبعثون الى يوم القيامة فجارا، الا من اتقى الله وبر وصدق ».

وقال (ص) «الحلف منفعة للسلع، ممحقة للربح».

وقال صلى الله عليه وسلم: « ما نقص قوم المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان ».

وقال صلى الله عليه وسلم: « رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى ».

وفي صحيح مسلم روي عن النبي (ص): « الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون ».

وقال عليه السلام: « من حق الابل اعارة دلوها واضراب فحلها »

وفي الاستيعاب لابن عبد البر استعمل رسول الله (ص) سعيد بن سعيد بن العاص بعد الفتح، على سوق مكة، واستعمل (1) عمر بن الخطاب على سوق المدينة.

---

1) « السيرة الحلبية »، ج: 3، القاهرة ص 365.
ولعل القلقشندي في « صبح الأعشى » لم يطلع على هذه النصوص فقال: « ان أول من قام بهذا الأمر عمر بن الخطاب في خلافته ».

كما ذكر عن السمراء بنت نهيك الأسدية أنها أدركت النبي (ص)، وكانت تمر بالأسواق تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر بسوط معها.

وفي كتاب « التيسير »، لشيخ الجماعة أبي العباس أحمد بن سعيد المجيلدي، المتوفى سنة 1095 (2) : (ولعموم مصلحة خطة الحسبة وعظم منفعتها، تولى أمرها الخلفاء الراشدون (3)، وذكر أن عمر (ضي) عين لنفس المهمة امرأة (4) أنصارية، في بعض أسواق المدينة، وهي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس العدوية القرشية، وكان يقدم هذه الصحابية الجليلة في الرأي، ولعله ولاها مهمة خاصة بشؤون النساء.

وروي أن عمر رضي الله عنه، مر على حاطب بن أبي بلتعة، وهو يبيع زبيبا في السوق، فقال له : (إما أن تزيد في السعر، واما أن تخرج من سوقنا (5) وروى عنه أنه رأى رجلا خلط اللبن بالماء فأراقه عليه (6).

---

2) من تلامذة الامام أبي السعود وأبي محمد عبد القادر الفاسي وأبي سالم العياشي صاحب الرحلة 1090 هـ ، ومن شيوخ الامام أبي علي اليوسي، وقد ولي قضاء فاس الجديد أزيد من أربعين سنة، كما ولي قضاء مكناسة الزيتون، وسيأتي التعريف بمؤلفه بأوسع من هذا.

3) « الأحكام السلطانية » للماوردي، ص : 258 ـ « معالم القربة » لابن الاخوة، صدر الباب الأول في شرائط الحسبة وصفة المحتسب.

4) في جمهرة ابن حزم أيضا : كان عمر استعملها على السوق، وتجد في أحكام ابن العربي عند قوله تعالى : « اني وجدت امرأة تملكهم كلاما حول البت فيما ورد في « الاستيعاب »، كما تجد بعض التوجيهات لتعيين المرأة عند ابن سعيد المجلدي في كتابه « التيسير » سالف الذكر، وانظر « تهذيب التهذيب »، ج : 12 : (حيدر أباد)، و« طبقات ابن سعد »، ج : 8، ص : 198.

5) مختصر المزني، ج : 4، ص : 92 ـ « أداب الحسبة للسقطي، ص : 5.

6) ابن تيمية « الحسبة في الاسلام، ص : 5.

وروى أيضا عن سيدنا عمر أنه قال : (لا يتجر في سوقنا الا من تفقه في دينه، والا أكل الربا شاء أو أبى).

كما كان يعين موظفا خاصا للمهمة، فقد جعل السائب بن يزيد عاملا على سوق المدينة وكذلك عبد الله بن عتبة (7)، وعين على السوق أيضا سليمان بن أبي حثمة وكان من فضلاء المهاجرين (8).

واستعمل الخليفة سيدنا عثمان ابن العاص عاملا على السوق يشرف على المباع والمشترى فيه (9)، ويرعى الموازين، ويأخذ العشور (10).

وفي كتاب « التيسير » المذكور آنفا، ما يروى من أن عليا كرم الله وجهه كان يأمر بابعاد ما يؤذى المسلمين في الطرق العامة، وروي أنه ضرب جمالا لأنه أثقل على جمله، وأدب التجار الذين تجمعوا حول الطعام، ولم يتركوا منفذا للمرور، كما روي أنه كان أحرص على مراقبة الموازين والمقاييس، ويحكى البلاذري (11) أنه كان يطوف بسوق الكوفة وبيده الدرة ليرى أن الأوزان والمقاييس الصحيحة هي التي تستخدم.

وهكذا انبثقت بذور هذه الولاية في العهد النبوي.

---

7) أبو عبيد : الأموال، ص : 711 ـ الام للشافعي، ج 4، ص : 205.
8) ابن عبد البر : الاستيعاب، ج : 2 ، ص : 62.
9) البلاذري : انساب الأشراف، ج : 5، ص : 47.
10) تاريخ الخميس للديار بكري، ج : 2، ص : 267.
11) فتوح البلدان، ص : 299.

ويرجع هذا الاهتمام من الرسول (ص) ومن صحابته رضي الله عنهم، الى أنه (ص) كان يومئذ في ظروف يرسخ فيها أن رسالته غير مقصورة على شعائر التعبد وحدها، وأن هذا الدين الذى بعثه الله للناس كافة، قيم على شؤون الدين، وعلى شؤون الدنيا، ومن ثم نزل الذكر الحكيم بآيات كثيرة في الشؤون الدنيوية، ومن بينها المعاملات التجارية، بما هي عليه من منكر الغش والتدليس في التعامل بالأخذ والعطاء، ومن الأخذ بالربا، ومن التطفيف في المكاييل والموازين، وما هو من هذا القبيل الذي من شأنه أن يضر بمصلحة الفرد المتعامل بداية، وبالصالح العام في النهاية، ولذلك، فان أكثر المنزل في هذا من آيات الترهيب القرآني، عليه طابع من صبغة الصرامة، وفي صيغها ونظم كلامها تحديد، وحدة ظاهرة، وغير خاف أن ذلك مما تدعو اليه ظروف ترسيخ مبدإ التكامل بين الدنيا والدين، وتتطلبه عملية خلق ضمير انساني، ووعي اسلامي في هذه المعاملات، ويقتضيه بساط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومرد ذلك الى أن الانسان بطبعه البشري، ينزع عند التعامل بالأخذ والعطاء الى ما ركب في نفسه من الأخذ بالمشاحة، والركون الى الحذر والصرامة، وحتى يأخذ حقه كاملا من غير غبن ولا غمط، فجاءت الآيات الكريمة بما من شأنه أن يعترض هذا الحرص، ويجتث هذه الأنانية القارة في طبيعة الانسان.

وقد درج (ص) على نفس المنهاج. فكانت أقواله وأعماله ـ كما سمعنا بعضها ـ متسمة بالصرامة. وبلهجة الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

وبما أن هذه المعاملات اليومية كانت تتم وتتركز في السوق الذي يرتاده العرب لقضاء جميع مآربهم المادية والروحية، بما فيها انشاد الشعر. فقد أطلق على هذا المنصب في بداية الأمر، اسم ولاية السوق، وأطلق على المتولي فيه اسم صاحب السوق. وبما أن مهمته كانت منصبة على اصلاح ما تراه الرسالة الاسلامية فاسدا، وغير صالح، فقد كان مرد هذه الولاية الى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الواضح أن أهمية الشخصيات التي تولت هذه المهمة في السوق، والكثرة الكاثرة لما نقع عليه مرويا في هذا الباب، وعلى هامشه، كما نرى عند الإمام الغزالي في «الإحياء» وفي «الاقتصاد في الاعتقاد» وعند ابن تيمية في كتابه «الحسبة في الاسلام» ليجعل الموضوع أبعد في النظر وفي النظرة لهذه التراتيب الاسلامية من الوقوف عند احتذاء النظام الذى كان معروفا عند البيزنطيين، ثم قام في أوربا الوسيطية عند الرومان الغربيين، وقبلهم عند اليونان ويقوم على ترسيم موظفين لمراقبة الموازين والمكاييل والمهن، وعلى ما يعرض للبيع، ان كان صالحا، وذلك أن التوجيهات الاسلامية كانت لها ميزتها، وقد نضجت بمنزعة مزاج أهلها، وجاءت في القرآن الكريم، وفي عمل النبي (ص)

وصحابته رضي الله عنهم، قبل انسياح المسلمين في بلاد الروم أو اليونان التي فتحوها، فلن يخطر بالبال أنهم بموجب التأثر والتفاعل انتحلوا تراتيبها وأنظمتها، ولن يعزب عن البال أن المسلمين، وان كانوا متسامحين مع أهل البلاد المفتوحة في شؤون دينهم، الا أنهم كانوا يفرضون في الشؤون الاقتصادية - ويتبعها نظام الأسواق - تطبيق وجهة النظر الاسلامية، ولا يتسامحون في ابقاء ما كان على ما كان، سواء في أرض فارس أو الروم، لأن الرؤية الاسلامية - كما أشير اليه - كانت مركزة على التربية، وعلى خلق ضمير اقتصادي، وبناء الأسس والمفاهيم التي تستقر عليها أبعاد العدالة الاقتصادية الاسلامية.

وحتى اذا لم يصح الاغضاء عن التأثر ، فلن يتجاوز الابقاء على تنظيم وتنسيق، أو على عرف بعينه مما كانت تمارسه المدن المفتوحة، التي كانت تحت السلطة البيزنطية، لاسيما في سوريا ومصر والأناضول، وذلك معنى قول شريح القاضي للغزالين : (اذا كانت بينكم سنة فسنتكم بينكم (12) فهو ضرب من الحرية التي كان المسلمون يسمحون بها في البلاد المفتوحة مالم تتعارض مع جوهر الوجهة الاسلامية، والمعروف أن أنظمة السوق كانت عند البيزنطيين في اطار جماعاتهم الحرفية المعروفة بالنقابات التي ضمت كبار التجار وأصحاب السفن والدكاكين والصناع، وكان الوالي أو الحاكم في المدينة هو الذي يديرها (13) ويعين رؤساءها

(12) « الطبقات » لابن سعد، ج : 6 ، ص : 94 - أخبار القضاة - لوكيع، ج : 2، ص : 351.
(13) الروم في سياستهم وحضارتهم لأسد رستم، ص : 17.

الذين ينفدون تعليماته، ثم هي تهيمن على الحياة السياسية، وتقوم على مصالح الدولة الجبائية، كما أنها تنقسم الى نقابات صناع، ونقابات أساتذة، لاختلاف مصالح الفئتين، وشهدت أوربا الغربية الوسيطية صلاحيات بهذا الجهاز في القرن الحادي عشر الميلادي أشد تعقيدا وبعدا عن المقاصد الاسلامية، وذلك ما يقيم اختلافا بين كل تلك الأنظمة وبين نظام الأمناء والعرفاء في تراتيب الاسلام، حيث انه النظام الذي نشأ في البداية شعبيا من ذات نفسه، وكان الأمناء يهتمون بالناحية الدينية، ويختار الحرفيون أمناء هم من أهل التقوى والصلاح، كما أن النظام الاسلامي كان يفسح لليهودي والمسيحي، في حين أن جماعات الحرفيين أو نقاباتهم عند الآخرين مقصورة على طائفة مسيحية بعينها، وكلها ظواهر وخصائص تجعل الأصل والهدف مختلفين منذ البداية. بل المعروف الذي لم يتطرق اليه الشك، هو انتقال منصب الحسبة وأعمالها من الدولة الإسلامية إلى المملكة الصليبية ببيت المقدس، وأن الصليبيين استخدموها كما استخدمها المسلمون بذاتها وصفتها حسبما هو واضح من نصوص كتاب النظم القضائية ببيت المقدس المطبوع في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (14).

---

14) انظر الملحق الثالث من كتاب : « نهاية الرتبة » ص : 125، دار الثقافة، بيروت، بتحقيق وتعليق الدكتور السيد الباز العريني.

وتوالى الاشراف على الأسواق في العهد الأموي. فكان لزياد بن أبيه عامل على سوق البصرة. كما عرف الوليد بن عبد الملك بعنايته بالأسواق. فكان يمر على البقال سائلا عن السعر. ويطلب منه الزيادة في الوزن (15). وعين ابن حرملة - وهو مولى لعثمان بن عفان - عاملا على سوق المدينة (16).

وتولى في العصر الأموي أيضا مهمة السوق كل من داود وعيسى ابني علي بن عبد الله بن عباس. وقد كانا من أعوان خالد بن عبد الله (17).

وعلى عهد ابن هبيرة في واسط (103 هـ - 106) تولى منصب العامل على السوق عيسى بن عبد الرحمن ثم بعده اياس بن معاوية (18)

والملحوظ أن عمل الرسول (ص) وخلفائه الراشدين في نطاق السوق. قد أوحى بأن يطلق عليها اسم « ولاية السوق » في بادىء الأمر.

وتدل عبارات المصادر التي ورد فيها هذا عن عهد الأمويين بالذات. على أن صاحب السوق قد أصبح يطلق عليه في العهد الأموي. « العامل على السوق ». وأصبح من مهامه أيضا - بطبيعة اتساع الأسواق باتساع

(15) الطبري. ج : 6. ص : 496. العقد الفريد. ج : 4 ، ص : 424. « الكامل » لابن الأثير. ج : 5. ص : 9 - ابن العبري مختصر الدول ». ص : 113.

(16) البدء والتاريخ. ج : 6 ، ص : 51.

(17) « تاريخ الطبري ». ج : 6 ، ص : 202.

(18) « أخبار القضاة » لوكيع. ج : 1 : ص : 357.

الفتوح ـ التحكيم في الخلافات التي كانت تشجر بين الحرفيين وأصحاب المهن (19)

أما الأندلسيون، وهم من بين الذين عنوا بهذه الولاية ونظامها، فقد درجوا على أن يطلقوا عليها اسم « أحكام السوق »، ويطلقون على من ينصب فيها « صاحب السوق »، وورد باسم « المشرف على السوق » في أخبار الرستميين بتاهرت عند المؤرخ ابن الصغير، وحدد اختصاصاته بنفس اختصاصات صاحب السوق، فهو اصطلاح خاص بفقهاء خوارج الاباضية، بالمغربين، الأدنى والأوسط، والمعروف أنهم يأنفون من الاقتداء بغيرهم من الفرق فلجأوا الى وضع اصطلاحات خاصة (العزابة (20)) المعروف لديهم.

---

19) « الأغاني » للاصبهاني، ج : 8، ص : 276.

20) العزابة : بفتح العين ، واحدها عزابي، وقد استعمل لقبا عند الأباضية « الوهبية » لكل من لازم سير العزابة في طلب العلم، وسيرة أهل الخير، وحافظ على ذلك وعمل به.

وأصلها لغة من العزبة، يعنون بذلك الغربة في الطلب، والضرب في الأرض حضا على الخير، ولكن ليس المراد بهذه الغربة الاعتزال، كاعتزال الصوفية، وقد ظهرت هذه الجماعة التي تنتخب على مبدئهم من أهل الصلاح، وشروط أخرى، في الخمسين الأولى من القرن الخامس، وكانت منازل الأباضية في « جبال نفوسة » و « جزيرة جربة »، و « وادي مزاب »، وفي « جربة »، تغلغل هذا النظام، وبها آثار باقية لهم، غير أن سوادهم اليوم ماثل بنظامه في وادي مزاب في الجنوب الشرقي الجزائري ـ انظر عن نظام العزابة « طبقات الدرجيني » ـ وانظر كتاب « نظام العزابة » عند الأباضية الوهبية » للأستاذ فرحات الجعبيري ، ط : تونس.

اصطلاح الحسبة :

أما اصطلاح « الحسبة، فهو اصطلاح طارىء، وكان المشارقة اليه أسبق، نظرا لأسبقيتهم في تلقي التراتيب الاسلامية، في حين أن افريقيا ظلت على الدوام، محتفظة باصطلاح « أحكام السوق » وبارتباطه بأحكام السوق المروية عن الامام يحيى بن عمر التي تبلور فيها فقه الحسبة، ودخل دخولا أوليا في فقه المعاملات منذ النصف الأول من القرن الثالث، ولم يعرف اصطلاح الحسبة لا بالمغرب، ولا بالأندلس في عهد مبكر، لأن اصطلاحى أحكام السوق و » خطة السوق »، ظلا مترددين في كتب الأندلسيين الى وقت متأخر (21)، ويسمون صاحب المنصب بوالي السوق، ثم أصبح يقال لها « ولاية الحسبة »، أو « خطة الاحتساب »، ولمتوليها « المحتسب »، أو « صاحب الحسبة » في لسان بعض فقهاء المغرب، وقد ورد اصطلاح « المحتسب » لأول مرة في معرض متقادم عند ابن بشكوال، صاحب « الصلة »، حيث قال عن ابن المشاط الرعيني القرطبي (ت 397) : (انه ولي أحكام الحسبة المعروفة عندنا بولاية السوق)، كما أن ابن فرحون يقول في « الديباج » عن ابن عاصم القرطبي (ت 256) : (انه كان محتسبا بالأندلس)، وكل من ابن بشكوال، وهو من القرن السادس، وابن فرحون، وهو من الثامن، يعبران - فيما يظهر - بالحسبة في النصين المذكورين، على أنها الاصطلاح

---

21) « تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، ج : 1 ، ص : 16، ط : القاهرة.

الجاري في عصرهما على الألسنة. والواضح بالنسبة للأندلس أن اصطلاح « المحتسب »، قد أصبح شائعا منذ أواخر القرن الخامس، حسبما يبدو من رسالة ابن عبدون في « الحسبة »، الذي يشير بساط حديثه عن « لثام » الملثمين الى انه من أهل آخر القرن الخامس وأوائل السادس، وحسبما يبدو من كتاب : « آداب الحسبة » لأبي عبد الله السقطي المالقي (22).

أما بالنسبة للمشرق، فاننا نجد بعض المحدثين يتابعون المستشرق سيديو في تاريخ العرب العام، حيث يرى أن المهدي العباسي هو الذي أسس المنصب في دولتهم العباسية باسم « الحسبة » ولم يذكر سيديو، ولا من تبعه سندهم في ذلك، ويبدو أنه استوحى افادته من قول أبي الفداء في أحداث عام 160 : (موت نافع بن عبد الرحمان، الذي كان مقرئا ومحتسبا)، أي في عهد الهادي العباسي، وقد نسي « سيديو » أو لم يطلع على نصوص أخرى ترد اسم الحسبة الى عهد المنصور، فقد ذكر ابن سعد (23) وابن حجر العسقلاني (24) انه ولى عاصما بن سليمان الأحول، (الحسبة في المكاييل والأوزان) بالكوفة، كما أن كلا من الطبري والخطيب البغدادي ذكرا أن المنصور ولى أبا زكريا بن عبد الله (حسبة بغداد والأسواق)

---

22) سياتي التعريف بالرسالتين معا، انظر في كتاب السقطي « آداب الحسبة »، ص : 27 ـ 31 ـ 33 ـ 37.

23) « الطبقات »، ج : 7، ص : 30.

24) « تهذيب التهذيب »، ج : 5، ص : 43.

ومنذ عهد المنصور أصبح اسم « الحسبة » جاريا على الألسنة، وعند المؤلفين، ولا سيما منذ ادخال المهدي العباسي ولاية السوق في نظام الدواوين، عند توليه الخلافة (159 ـ 169)، ونجد الماوردي البصري الشافعي (المتوفي عام 450 هـ ـ 1058 م) في « الأحكام السلطانية »، لا يستعمل الا لفظ « الحسبة » وبه عنون الفصول المتعلقة بها في آخر الكتاب، مما يدل على أنه كان جاريا على الألسنة بالمشرق في النصف الأول من القرن الخامس، وذلك أيضا نفس صنيع معاصره وبلديه قاضي القضاة أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، (المتوفى عام 458 هـ ـ 1066 م) في كتابه المسمى ككتاب الماوردي الشافعي بالأحكام السلطانية.

أصل اختصاص الحسبة وتطوره :

وان تأسيس هذه الولاية على نصوص من الكتاب ومن السنة، ومن أعمال الخلفاء والصحابة رضي الله عنهم، قد أضفى عليها أهمية خاصة وجلالا وهيبة، كما أن قيامها ـ حسبما مر بنا ـ على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، قد أمعن بها في صميم حظيرة الدين، فتناولت كل مشروع بفعل الله، وكل ما يعرفه المجتمع من لوازم في الحال أو في المآل، فاندرجت بمقتضى الشريعة في الفروض ووظائف الدين، فما لم يطوق بها وال نيابة عن الامام، أصبحت طوقا في عنق المسلم على

سبيل فرض الكفاية عند المالكية، ومن هنا قالوا : « ان الحسبة مأخوذة لغة من الاحتساب »، فيقال. ـ كما في المحكم ـ احتسب فلان على فلان : أنكر عليه قبيح عمله، وهذا من صميم عمل المحتسب، أو مأخوذة من الاحتساب في الأعمال : وهو البدار الى طلب الأجر، وهذا مما ينطبق على الوالي المنصب لهذه الخطة، وعلى من ينصب نفسه أيضا في نطاق ما حدد له الشرع للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر في شؤون السوق، فكلاهما في عمله مأجور.

وقد دفعت الأهمية العظمى لهذه الخطة الى القول بأن القضاء نفسه باب من أبواب الحسبة ـ حسبما نقل ذلك صاحب كتاب « نصاب الاحتساب » (25).

والحقيقة أنها قولة معبرة، ولكنها في حاجة الى زيادة بيان، وقد تولى غير ما واحد من فقهاء المدرسة المالكية وغيرها في المغرب وفي المشرق هذا البيان، اشادة بها، وتقنينا، ومقارنة، ابتداء من أبي زكريا يحيى بن عمر الكناني الأندلسي المالكي (213 هـ 289) (26) وعبد الملك ابن حبيب (ت 238) صاحب الحسبة في الأمراض، ومحمد ابن

---

25) بواسطة « العز والصولة في نظام الدولة » لمؤرخ الدولة العلوية، المرحوم الشريف ابن زيدان، ج : 2 ، ص : 61، ومؤلف « نصاب الحسبة » غير معروف، ولكن يظهر من الشذرات المنقولة عنه أنه حنفي المذهب.

26) في كتاب « أحكام السوق »، انظره من رواية أبي عبد الله محمد بن سليم بن شبل القيسي الأندلسي التطيلي (ت 353) في صحيفة المعهد المصري بمدريد سنة 1956، مع دراسة وتحقيق للدكتور محمد علي مكي، وقد استخرجه من معيار الونشريسي، وانظره =

الامام سحنون (ت 256) في كتابه آداب المعلمين، وابي العباس التونسي في كتابه « مسائل السماسرة » الى الماوردي، وأبي يعلى الفراء (27) الى الغزالي (28) الى ابن تيمية (29) الى معاصره بدر الدين ابن جماعة (30) الى ابن خلدون في المقدمة، والى ابن الفرات في التاريخ، والى القاضي العقباني التلمساني (31) (ت 871 هـ) في كتابه «تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر»، الى تلميذه أبي العباس أحمد بن يحيى بن علي الونشريسي (ت 914) في كتابه « الولايات » (32)، إلى غير هؤلاء وهم كثير، بين المتأخرين سواء من النظريين أو التطبيقيين.

= بنص رواية القصري أبي جعفر (ت 321) (نسبة الى قصر مواليد الأغالبة المعروف بالقصر القديم) في طبعة « أحكام السوق » بتحقيق المرحوم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب (الشركة التونسية للتوزيع)، وفي نشرة الشركة نص الروايتين بالتحقيقين المذكورين، وكلتاهما من طريق السماع.

27) « الأحكام السلطانية » للماوردي، الباب : العشرون، ص : 208، وما بعدها، مطبعة : السعادة ـ و « الأحكام السلطانية » لأبي يعلى الفراء، ص : 284، ط : دار الفكر، بيروت.

28) الجزء : 2، من « الإحياء للغزالي »، ص : 285، ط : القاهرة 1933.

29) « الحسبة في الاسلام ».

30) الباب الخامس من كتابه : « تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام ».

31) هو قاضي الجماعة محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني، شيخ أبي العباس الونشريسي، وأحمد بن حاتم وغيره. وقد قال عنه الشيخ أحمد زروق في كناشته أنه كان فقيها عارفا بالنوازل ذا ملكة في التصوف (البستان لابن مريم) ـ نيل الابتهاج) للشيخ أحمد بابا التنبكتي.

32) من مطبوعات معهد العلوم العليا بالرباط بعناية هنري بونو من معهد الرباط ودمونبين من المعهد الفرنسي بباريس.

وقد كان الماوردي، ومثله أبو يعلى الفراء، أجمع أصحاب هذه المقارنات قولا، وأوسعهم توضيحا، فأفاد الماوردي (أن الحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم، فأما ما بينها وبين القضاء، فهي موافقة لأحكام القضاء من وجهين، ومقصورة عنه من وجهين، وزائدة عليه من وجهين... فأما الوجهان في موافقتها لأحكام القضاء، فأحدهما جواز الاستعداء اليه، وسماعه دعوى المستعدي على المستعدى عليه، في حقوق الآدميين، وليس هذا على عموم الدعاوي، وانما يختص بثلاثة أنواع من الدعوى، أحدها أن يكون فيما يتعلق ببخس وتطفيف في كيل أو وزن، والثاني ما يتعلق بغش أو تدليس في مبيع أو ثمن، والثالث فيما يتعلق بمطل وتأخير لدين مستحق مع المكنة، وانما جاز نظره في هذه الأنواع الثلاثة من الدعاوى دون ما عداها من سائر الدعاوى، لتعلقها بمنكر ظاهر، هو منصب لازالته، واختصاصها بمعروف بين، هو مندوب الى اقامته، لأن موضوع الحسبة الزام الحقوق، والمعونة على استيفائها، وليس للناظر فيها أن يتجاوز ذلك الى الحكم الناجز والفصل البات، فهذا أحد وجهي الموافقة، والوجه الثاني أن له الزام المدعى عليه للخروج من الحق الذي عليه، وليس هذا على العموم في كل الحقوق، وانما هو خاص من الحقوق التي جاز له سماع الدعوى فيها، واذا وجبت باعتراف واقرار مع تمكنه وايساره، فيلزم المقر الموسر الخروج منها ودفعها الى مستحقها، لأن في تأخيره لها منكرا وهو منصوب لازالته..

وأما الوجهان في قصورها عن أحكام القضاء، فأحدهما قصورها عن سماع عموم الدعاوى الخارجة عن ظواهر المنكرات من الدعاوى في العقود والمعاملات وسائر الحقوق والمطالبات، فلا يجوز أن ينتدب لسماع الدعوى لها، ولا أن يتعرض للحكم فيها، لا في كثير الحقوق، ولا في قليلها، من درهم فما دونه، الا أن يرد ذلك اليه بنص صريح يزيد على اطلاق الحسبة فيجوز،ويصير بهذه الزيادةجامعا بين قضاء وحسبة،فيراعى فيه أن يكون من أهل الاجتهاد، وان اقتصر به عن مطلق الحسبة، فالقضاة والحكام بالنظر في قليل ذلك وكثيره أحق، فهذا وجه، والوجه الثاني أنها مقصورة على الحقوق المعترف بها، فأما ما يتداخله التجاحد والتناكر، فلا يجوز له النظر فيه، لأن الحاكم فيها يقف على سماع بينة، واحلاف يمين، ولا يجوز للمحتسب أن يسمع بينة على اثبات الحق، ولا أن يحلف يمينا على نفي الحق، والقضاة والحكام بسماع البينة واحلاف الخصوم أحق..

وأما الوجهان في زيادتها على أحكام القضاء، فأحدهما أنه يجوز للناظر فيها أن يتعرض لتصفح ما يأمر به من المعروف، وينتهي عنه من المنكر،وان لم يحضره خصم مستعد، وليس للقاضي أن يتعرض لذلك الا بحضور خصم يجوز له سماع الدعوى منه، فان تعرض القاضي لذلك في غير منصب ولايته، صار متجورا في قاعدة نظره، والثاني أن للناظر في الحسبة من سلاطة السلطنة واستطالة الحماة فيما تعلق بالمنكرات ما

ليس للقضاة، لأن الحسبة موضوعة للرهبة، فلا يكون خروج المحتسب اليها بالسلاطة والغلظة تجورا فيها، ولا خرقا، والقضاء موضوع للمناصفة، فهو بالاناة والوقار أحق، وخروجه عنهما الى سلاطة الحسبة تجوز وخرق، لأن موضوع كل واحد من المنصفين مختلف، فالتجاوز فيه خروج عن حده.. وأما ما بين الحسبة والمظالم فبينهما شبه مؤتلف، وفرق مختلف، فأما الشبه الجامع بينهما فمن وجهين، أحدهما أن موضوعهما مستقر على الرهبة المختصة بسلاطة السلطنة، وقوة الصرامة، والثاني جواز التعرض فيهما لأسباب المصالح، والتطلع الى انكار العدوان الظاهر ؛ وأما الفرق بينهما فمن وجهين، أحدهما أن النظر في المظالم موضوع لما عجز عنه القضاة، والنظر في الحسبة موضوع لما رفع عنه القضاة، ولذلك كانت رتبة المظالم أعلى، ورتبة الحسبة أخفض، وجاز لوالى المظالم أن يوقع للقضاة، والمحتسب، ولم يجز للقاضي أن يوقع الى والى المظالم. وجاز له أن يوقع الى المحتسب، ولم يجز للمحتسب أن يوقع الى واحد منهما، فهذا الفرق الثاني أن يجوز لوالي المظالم أن يحكم ولا يجوز لوالي الحسبة أن يحكم) ولفقهاء المغرب المتأخرين رسائل تعرضوا فيها لهذه المقارنات والتفاصيل، صدورا عن الماوردى بكل تأكيد.

وبعدما قارن الماوردي والفراء بين الحسبة وبين ولاية المظالم، واستعرضا الفروق التي تعين اختصاص كل خطة وترفع التداخل الظاهر خلصا الى أن واجبات المحتسب وسط بين مهمة القاضي، وبين مهمة

صاحب المظالم، ثم يتابعان الكلام على الحسبة في فصول ، موضحين فيها اختصاصات المحتسب، وبعدها يأخذان في تفريع ما يدخل تحت رفع المنكر، وما يدخل تحت الامر بالمعروف، ناظرين الى،ما فيه حق الله، وما فيه حق العبد، وما يجتمع فيه الحقان معا، وهي طريقة الفقهاء، ومهيع الذهنية الفقهية التي تنزع الى الترتيب والاحاطة والشمول، والالمام بالصور العقلية، توخيا لادراج كل نازلة بعينها في مسلكها الى الحكم الشرعي، وهذا ـ كما هو واضح ـ ظاهر الافادة بالنسبة إلى معرفة الأحكام الشرعية، ولكنه لا يعطي صورة كاملة عما استقرت عليه هذه الخطة بعوائدها في المظهر وني التسيير كما أنه ـ وان دلنا على معالم الطريق ـ فانه لا يعطينا وجها واضحا لمسيرتها التاريخية، فالواقع أن النظرة الى اختصاص هذه الخطة من خلال التطورات التي طرأت على المجتمعات الاسلامية في المشرق والمغرب، وبين أجناس بشرية مختلفة، من شأنها أن تشرف بالباحث على ابعاد هذه الخطة، ومدى سعة تصرف صاحبها الذي أصبح بحكم عمله القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشرفا على حماية الأخلاق الاسلامية بوجه عام، وذلك لشمول المهمة ما هو منكر في الدين، وما هو منكر في دنيا الناس، مما ينافي الأذواق، والاعراف، والمصالح العامة، والمنافع الخاصة، والمآرب الجديدة، التي جاءت بها جرية الزمان، وانسجمت مع أصول الدين وقواعده، ولا شك أن هذا الجديد يتجلى أكثر ما يتجلى في باب المعاملات، نظرا لاتساع

العمران، وتوفر الحاجيات والضروريات، والكماليات، وتشابك المطالب، وقيام الصناعات، وتفرعها في غير ما ميدان، وكل هذا مما يجري أكثره في السوق بمعناها الواسع والمحدود، فقد انفتح لهذا الخطة بانفساح السوق، باب التعزير الشرعي، الذى تطبق فيه عملية احلال القضايا، والنوازل، والتصرفات، والانحرافات الدينية والدنيوية محلها من أبواب الشريعة، وذلك للعلم بأن التعزير هو العقوبة باجتهاد الحاكم، حيث لا يكون لها في الشرع حد معروف، أو كفارة.

وبالرغم من أن الفقهاء اجتهدوا، وحددوا لصاحب هذه الخطة عقوبات معدودة، فالملحوظ أنهم فسحوا له في مجال الاجتهاد والتدبير بما وكلوا اليه من الأخذ بما يراه، حسب درجة المخالفة، ومبلغ خطرها، ابتداء من التأديب والزجر الى الجلد والحبس والنفي، أو العقوبة بالمال (33) ان اقتضاها الحال، وأبيح له التخفيف في كل هذا، ابتداء من الاكتفاء بالانذار والامهال، وهو ما أطلق عليه المؤلفون في هذا الشأن : « التريث » الى العفو والتغافل، ومن باب هذا انه يستند في اجتهاده الى مجرد دلائل، وقرائن الأحوال، التي لا يلزم أن تشكل ما يسمى شبهة عند الفقهاء، وذلك أنه يعتمد حتى على ما يتحلى به المخالف من الزي

---

33) التعزير بالمال مشروع في مواقف خاصة في مذهب الامام مالك في المشهور عنه، وعند الامام أحمد في مواضيع بلا نزاع عنه، وفي مواضيع فيها نزاع، ومشروع أيضا عند الشافعي في أحد الأقوال.

وأهله، وعلى ظهور مخايل المروءة، وأيضا حتى على ما يبدو من أن المخالفة لا تعدو الفلتة التي ليست لها سابقة.

جولة مع المحتسب في نطاق اختصاصاته الواسعة كما مارسها، أو كما أرادها وتصورها الفقهاء

ونسير مع المحتسب في مختلف مناطق عمله، وأولها السوق الذي انطلقت منه هذه الوظيفة الدينية منذ بدايتها، وجرى فيه على مدى التاريخ أكثر نشاطها. ونحن الآن في وجهتنا الى السوق بمعناه الواسع، وكما أصبح بعد اتساع العمران، وتحضر الأمصار، أسواقا مختلفة باختلاف مقتضيات المعايش والمطالب في التجارة والصناعة، وجميع ما تستوعبه الحياة الاقتصادية، وسنرى أن نشاط المحتسب ـ وهو النهي عن المنكر ـ يتركز أساسا في السوق على قطع دابر أنواع التحايل في المعاملات، وعلى تأمين سلامة المعروضات، من مآكل ومشارب وملابس، وآنية، ومتاع، وعلى صحة النقود المتعامل بها، وعلى العمل في دار الضرب، فقد يكون فيها من الزيف مالا يظهر، وعلى محاربة الاحتكار، وتقدير الأسعار، والالزام بها (34)، ثم محاربة الغلاء، والغشوش في الثمن وفي

---

34) بعض المذاهب الفقهية لا تجيز التسعير، استنادا الى مدارك معلومة، ولذلك نرى صاحب كتاب « نهاية الرتبة »، يقول في الفصل الثاني من الباب الثاني : (ولا يجوز للمحتسب تسعير البضائع على أربابها، ولا أن يلزمهم بيعها بسعر معلوم)، انظر تحقيق المسألة في (المنتقى للباجي) وفي كتاب « التيسير » للقاضي المكيلدى وسيأتي ذكره وقد طبع بتحقيق الأستاذ موسى لقبال من الجزائر.

المثمن، وفي أنواع المكاييل والموازين، والمقاييس، والأقفزة والأمداد، وفيما يتعلق بمطل أو دين مستحق مع الا يسار.

ونفس هذه الرقابة تطبق في الصناعة، فيتوجه نظره الى حصر المهنيين في أهل مهنتهم، والى متابعة غشهم، والى فرض اتباع المناهج المعينة في كل صناعة، دفعا لما يخشى من ارتجال يؤدي الى التزييف فالضياع، سواء بالنسبة لمستوى الصناعة نفسها، أو بالنسبة للمتجرين أو العاملين فيها، أو لمن يستهلكون منتجاتها.

وقد اندرج تلقائيا تحت نظرته الشمولية في مجال الأسواق، تدخله في الترتيبات، فيلزم أهل الصناعات التي تستعمل مواقد النار لصهر المعادن، أوغيرها، أن تكون مصانعهم في غير منطقة العطارين مثلا، أو باعة القماش، لتلافي الحرائق، ولتقريب الناس الى أغراضهم بأسواق معينة لأنواع مطالبهم، ومثل هذا يطبقه على باعة الأغذية المطبوخة من شوائين، وقلايين، ودواسين، وغيرهم الذين تقوم حرفتهم على وقد النار، وشعلة الزناد.

ولا يختلف اختصاص محتسب في المشرق عن محتسب في المغرب، الا بحسب أهمية الخطة في الدولة، أو بحسب نظرة أولى الأمر، الى نوع اختصاص المحتسب في بعض الدول وبعض الأزمنة، فنجد المحتسب في كتاب الشيزري المشرقي، لا يشمل نظره بعض المجالات كسوق الرقيق وصناعات السكر والمدارس التي اتسعت عن نطاق

الكتاتيب في حين ان هذا مما يدخل في اختصاص محتسب الأندلس والمغرب.

ويقال مثل هذا بالنسبة الى المذهبية الفقهية حيث نرى بعض المذاهب، لا تجيز الالزام بالاسعار المقدرة في الأسواق كما اشير اليه من هامش مضى، على انه لا يكاد يظهر أثر للخلاف المذهبي في شؤون الحسبة نظرا لتعلق النظر فيها بالأهداف الاسلامية التي تتوخاها جميع المذاهب الفقهية.

وقد استدعت هذه الرحابة في مجال اشرافه على الأسواق، أن يعزز ادراته بالنواب (35)، ولاسيما في الأمصار الكبيرة، ذات الضواحي الآهلة، وبخدمة مسخرين في مهمات تسيير أشغاله، وأعوان فنيين، من وجوه أرباب الصنائع، الذين يستظهر بهم في هذه المهام، ليطلعوه على خفي أسرار أصحاب الحرف، والتجارة، حتى لا يخفى عليه من أمور السوق كثير ولا قليل، ولا يستتر من الأمر عليه دقيق ولا جليل، وهؤلاء المساعدون هم الذين أصبح يطلق عليهم في المغرب وفي المشرق (36) العرفاء والأمناء، وقد أصبحوا مع توالي الأيام، وظهور جدوى النظام، وبصفة خاصة في الأندلس والمغرب، متصرفين تحت إشراف المحتسب في النوازل المهنية، سواء فيما بين الشغالين والمشغلين، أو فيما يحدث

---

35) « صبح الأعشى »، ج : 12، ص : 63.
36) « صبح الأعشى » ج : 11 ، ص : 214.

أيضا من قضايا ومشاكل بين أهل الحرف والباعة، وبين الزبناء، كما استقر عليه أمر هؤلاء الأمناء في المملكة المغربية.

ولا حاجة بالباحث المؤرخ هنا لينظر الى تلك الهيئات التي كانت معروفة في اسبانيا، منذ العصر الروماني وهي تشبه النقابات المذكورة آنفا، وكان لكل منها رئيس مسؤول عن أهل الحرفة، حتى يقال إن هيأة الأمناء الاسلامية في الأندلس، انما هي نسخة رومانية، وتنظيم رتب وطور تطويرا على النهج الاسلامي فالواقع أن الهيئات الاسبانية الرومانية كانت مسؤوليتها مقصورة على الضرائب من أهل الحرف لصالح صندوق الدولة، ولم تكن لها صلة بنظام السوق، ولا بمصلحة المهنة، أو قضايا المهنيين، في حين أن حقوق المصلحة العامة هي التي كانت رائد هذا النظام في الأمصار الاسلامية.

ونستطيع أن نتمثل هذه الجولة مع المحتسب، ونستعرض مرة أخرى، ما هنالك من خلال الصورة التي يعرضها علينا المقري، في نفح الطيب (37) عن محتسب الأندلس، فنسير في موكبه التقليدي، وهو نفس موكب المحتسب في أمصار المغرب، فهو - كما في نص » نفح الطيب - (يمشي بنفسه راكبا الى الأسواق، وأعوانه معه، وميزانه الذي يزن به الخبز في يد أحد الأعوان، لأن الخبز عندهم معلوم الأوزان للربع من الدرهم رغيف على وزن معلوم، وكذلك للثمن، وفي ذلك من المصلحة أن

(37) ج : 1، ص : 203، المطبعة الأزهرية، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

يرسل المبتاع الصبي الصغير، أو الجارية الرعناء، فيستويان فيما يأتيانه به من السوق مع الحاذق في معرفة الأوزان، وكذلك اللحم تكون عليه ورقة بسعره، ولا يجسر الجزار أن يبيع بأكثر أو دون ما حدد له المحتسب في الورقة، ولا تكاد تخفى خيانته، فان المحتسب يدس عليه صبيا أو جارية يبتاع أحدهما منه، ثم يختبر الوزن المحتسب، فان وجد نقصا قاس على ذلك حاله مع الناس، فلا تسأل عما يلقى، وان كثر ذلك منه، ولم يتب بعد الضرب والتجريس في الأسواق نفي من البلد).

ونخرج مع موكب المحتسب من زحمة السوق، ونسير في ركابه الى جولة أخرى، لرعاية المظاهر الدينية، والحرم الشرعية، فنراه يلزم باقامة الجمعة في مدينة اكتمل لاقامتها النصاب الشرعي، لمن يقيمونها، وبصلاة الجماعة ـ وصلاة العيد ـ واقامة الأذان، والرقابة على المؤذنين، ـ ومنتهكي حرمة الصيام ـ والزناة ـ وأصحاب الملاهي المحرمة ـ وشاربي الخمر ـ والمتطلعين الى منازل الناس ـ وسيرة النساء في الغدو والرواح، ـ ومبلغ محافظتهن على ما حدده الشرع لأيام العدة، حتى لا ينتهكن الأهداف الاسلامية، من وراء التحديد الزمني المقرر.

ويمكن أن يقال إن هذه مجرد أمثلة، والكلمة الجامعة هي محاربة البدع وصيانة الجماعية الاسلامية بوجه عام، وقد يتساءل هنا عن وجه التدخل في أشياء يعتبر بعضها من باب ما بين العبد وربه، أو مما فيه عذر غير ظاهر للعيان، كالافطار في رمضان، والجواب على ذلك هو أن

العيار في هذا هو النظر الى الجانب الاخلاقي، والروح الجماعية، والجو الديني، الذي تمتاز به المدينة الاسلامية، ويفرق به بين دار الاسلام ودار الشرك، فترك صلاة الجماعة أو العيد وما هو من قبيل التجمع الاسلامي، ولو كان غير فرض، كصلاة العيد، من شأنه أن يؤدي الى تعطيل المظهر الاسلامي، فيصبح المجتمع بمعزل من الهيمنة الروحية، ومن الدروس التلقائية التي يتلقاها الناشئون بالاقتداء، وبالتعود الذي يغرسها في أذهانهم، فتصبح مع الأيام، وكأنها من طبيعة لحمهم ودمهم، ومن هنا نفهم أنه ليس للمحتسب التدخل في الشخص الذي يعلم أنه لا يصلي الجماعة أو الجمعة أو العيد، وكذلك الأمر بالنسبة الى المفطر في رمضان، فليس من حقه أن يتجسس عليه في بيته، أو في ركن من الأركان، وانما النظر ينصب على الافطار علانية ، وسط جمهور الناس، ثم إن تدخله لا يعني أكثر من أن يحضه على التستر مراعاة لشعور الناس، أو تجنبا لما قد يفهم من أنه يتحدى شعائر الاسلام.

ولا يحتاج الى توضيح وجه تدخله في مراقبة وردع من ينتهكن العدة الشرعية، فمقاصد الاسلام فيها معروفة.

وفي جولة أخرى، سنجده يتصدى للمصالح العمومية والفردية :

يقصد مجالس الولاة، فيأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويلاحظ ما اذا كانت الاجراءات تسير على مقتضاها، أو لا تسير، كأن يغفل القاضي نصب وكيل عن المرأة البرزة، أو الصبي، أو الضعيف.

وينكر على الحاكم اذا احتجب عن الأحكام لما في ذلك من اعنات الناس ذوي المصالح، الذين يقصدونه لطلب النصفة في مبيعات لا تحتمل التأخير، لما يسرع اليها من الفساد، ولأن بعضهم قد يقصده بعدما قطع المسافات، وربما كان شيخا أو مريضا، أو مثقل الكاهل بالأغراض.

وينمي أموال الأوقاف بملاحظة أصولها، والمحافظة على ريعها ومحصولها، وامضاء مصارفها على شروط واقفيها (38).

كما يلزم ذوي الهيآت بالصيانة التي توافق مناصبهم، وتوافق مراتبهم.

وينقلب الى مجاله الآخر :

فيمنع من المضايقات في الطرقات، ويمنع الحمالين من الاكثار في الحمل، وأهل السفن من حمل ما لا تسعه، ويخاف عليها منه، ومن الاقلاع عند اشتداد الرياح، ومن ذلك أن يزيل من الأجنحة والرواشن، ومقاعد الأسواق، ما يضر بالناس، ويمنع في الشوارع وضع الأساطين، وبناء الدكاكين متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار، ووضع احمال البضائع والأطعمة، وغيرها، ويحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة.

ويختار الحراس في المخافات والقبائل (39).

---

38) « صبح الأعشى »، ص : 416.

39) كتاب « الولايات » للونشريسي، ص : 60.

ويشرف اشرافا شاملا على ما يخل بالصحة العامة في الشوارع، كربط الدواب على الطريق، ورمي أزبال الدور والمطاعم، أو ارسال الماء من الميازب، أو تجمع الأوحال، ويشمل نظره في ذلك ما ترجع تبعته الشرعية الى السلطة، أو الى الأفراد.

ويتصدى لمن يتعرض بالمسألة بين الناس، في حين أنه ذو جلد وقوة في العمل، أو ممن يسر الله عليه.

ويمنع المتكسب بالكهانة، فلا يترك الطوائف المهرجة للتغرير بالنساء، وجهلة الرجال (40) - ويمنع كتاب الشوارع أن يسترزقوا برسائل المحبة والبغض، وألا يكتبوا سب أحد ولا هجوه، أو ما يتضمن سعاية للسلطان، وشيئا من هذا القبيل، ولا يبيح لهم سوى ما يجري بين الناس.

كما يتصدى لمن ينصب نفسه للتعليم من المؤدبين، وليسوا من أهله، لما في ذلك من تغرير بالناس (41) ويتدخل (42) في برامج تعليم الصبيان، فيلزم المؤدبين بتعليم السور القصار بعد حذق الحروف وضبطها بالشكل، ويدربهم على ذلك، ثم يعرفهم عقائد السنن، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات والأشعار، ومن كان عهده فوق سبع سنين أمره

---

40) « آداب الحسبة » للسقطي، ص : 68 - « صبح الأعشى » ج : 12، ص : 472.

41) « الأحكام السلطانية » للماوردي، ص : 216، مطبعة السعادة.

42) « نهاية الرتبة »، الباب الثامن والثلاثون في الحسبة على المؤدبين.

بالصلاة. كما يضرب (43) على أيدي هؤلاء المعلمين اذا ما بالغوا في معاقبة الأطفال المتعلمين.

ويتصدى أيضا لمن ينصبون أنفسهم للتطبيب من الكحالين (أطباء العيون)، والجراحين وغيرهم. وجرت العادة في المشرق (44) أن يمتحنهم المحتسب بكتاب حنين بن اسحاق، أعني العشر مقالات في العين. وبالنسبة للجراحين، فتجب عليهم معرفة كتاب جالينوس، المعروف بقاطاجانس في الجراحة والمراهم، وأن يعرفوا التشريح وأعضاء الانسان، والعضلات، والشرايين، والأعصاب، وقطع النواصير، وأن يكونوا مزودين بالمباضع، والآلات التي يحتاج اليها (45).

وفي النطاق الآخر من اختصاصه :

يلزم السادات حقوق العبيد والاماء، وحقوق البهائم من العلف، ويمنع أصحابها من تحميلها ما لا تطيق (46) ويأمر من أخذ لقيطا، وقصر في كفالته، أن يقوم بحقوق التقاطه من التزام كفالته، أو تسليمه لمن يلتزم بها - ويضمن واجد الضوال، اذا قصر في القيام بها - وينفذ

---

43) « مقدمة ابن خلدون »، ج : 2 ص : 746، تحقيق الأستاذ عبد الواحد وافي.

44) « نهاية الرتبة »، الباب السابع والثلاثون.

45) لا ريب أنه كانت هناك ترتيبات لمثل هذا الامتحان، وعلى يد الأطباء الذين كانوا يديرون المارستانات وغيرها من المؤسسات الصحية العامة.

46) « الولايات » للونشريسي، ص : 6. - « الأحكام السلطانية » للماوردي، ص : 214، ط : السعادة.

الأحكام بكفالة الصغار، حين يصدرها القاضي - ويلزم الآباء بلحوق النسب اذا ثبت عليهم لدى القاضي، فراش الأم.

ويشتد على المخنثين (47) حتى لا يطلقوا الأصداغ، ويتهانفوا في المجتمعات.

وله المنع من مواقف الريب ومظان التهم، فيردع من يماشي النساء من غير محارمه، أو يعتاد الوقوف بين منازل الناس، وهذا مجرد تمثيل، وكم له من نظير، ولا ريب أن انكار المحتسب لهذا وشبهه قد روعي فيه تلافي فوات مالا يستر من انتهاك المحارم، وارتكاب المحظورات، في الأنفس والأعراض.

وعند مثل هذا ينشأ في النفس السؤال عما اذا كان يصح لصاحب هذه الولاية التجسس، وهتك الأستار، لتلافي ما قد يحصل من المآسي، وذلك في صورة ما اذا أخبره من يثق بصدقه أن رجلا خلا بامرأة ليزني بها، أو برجل ليقتله، وجواب الفقهاء في هذا أن التجسس وهتك الأسرار جائز اذا وصل الأمر الى هذا الحد، لأنه ليس مما يدخل في قول نبينا (ص) : (من ابتلي منكم، بهذه القاذورات، فليستتر)، أما اذا كانت الأستار مسدلة على ما لا يخشى معه اراقة ماء الوجوه، أو سفك الدماء، فلا يجوز التجسس فضلا عن ازعاج السرب، وكبس الكناس، وتكسير الطاس والكاس، وقد حكى الماوردي : (أن عمر رضي الله عنه، دخل على قوم

47) « آداب الحسبة » للسقطي، ص : 68.

يتعاقرون على شراب، ويوقدون في اخصاص، فقال : « نهيتكم عن المعاقرة فعاقرتم، ونهيتكم عن الايقاد في الاخصاص فأوقدتم »، فقالوا : « يا أمير المؤمنين : » قد نهاك الله عن التجسس فتجسست، ونهاك عن الدخول بغير اذن، فدخلت، فقال عمر رضي الله عنه : « هاتان بهاتين »، وانصرف، ولم يعرض لهم).

والى جانب هذه الصورة الفقهية النظرية عن الحسبة كما عرضها الفقهاء ومؤلفو الأحكام السلطانية، أو الذين تعرضوا لها، فهنالك الجانب العلمي التطبيقي الذي ألف بمعزل عن الجانب الفقهي، ومن شأن هذا الجانب أن يكمل ما شرعته النظريات والفقهيات لأنه يعتمد عليها في رعاية المصالح، التي تهدف المبادىء الاسلامية اليها، كما أنه يفصح من جهة أخرى عما بلغته العناية بهذا النظام عند المشارقة والمغاربة.

ويأتي كتاب « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » على رأس المؤلفين في هذه الطريقة الخالصة في التطبيق، وهو للمؤلف المشرقي عبد الرحمان بن نصر بن عبد الله العدوي المتوفى سنة (589 هـ ـ 1193 م) (48)، الشيزري (49) الشافعي، وقد جعل كتابه أربعين بابا واقتصر فيه ـ

---

48) تحديد هذه الوفاة منقول عن المستشرق بروكلمان حسبما نقله عنه الدكتور السيد الباز العريني، محقق طبعة كتاب « نهاية الرتبة » في مقدمته، ونبه على أن بروكلمان لم يذكر مستندا وعلى أي حال، فقد عاصر الشيزري صلاح الدين الأيوبي، ولم يكن محتسبا، وانما ألف كتابه لبعض من كان منتصبا للحسبة.

كما قال ـ على الحرف المشهورة، وفي كل باب يذكر كل سوق وكل حرفة، حسبما سنشير اليه حول مؤلفى هذه الطريقة.

وقد حدا حدوه واستقى منه وقد يقال أغار عليه كل من محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الاخوة (50) (ت 729 هـ ـ 1338 م)

---

49) وفي كشف الظنون العدوي والتبريزي، بدل الشيزري نسبة الى « شيزر » والمؤلف شامي ـ كما يظهر من بداية كتابه في الموازين بالإشارة إلى « شيزر »، قرية في الشام، ونظرا لتردد الشام وبلادها في كتابه، وانتصابه القضاء « بطبرية » كما في « كشف الظنون »، وفي الخزانة الملكية بالرباط نسخة خطية من كتابه، تحت رقم : 9974، سجل فيها « التبريزي »، بدل « الشيزري » وباسم : « نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة »، ويظهر أنهم كانو في الشام يصفون الحسبة بالشريفة تقديرا لهذا المنصب حيث نجد وصفها بالشريفة أيضا في مرسوم تعيين محتسب بدمشق (صبح الأعشى، ج : 2، ص : 61)، كما نجد توقيعا آخر بنظر الحسبة في المملكة الطرابلسية وفيه وصفها أيضا بالشريفة (صبح الأعشى، ج : 12، ص : 471)، ولم يطبع كتاب « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » الا مؤخرا بدار الثقافة ببيروت، وقد حققه وعلق عليه الدكتور السيد الباز العريني المذكور، وأشارع إلى أربع عشرة نسخة، وأربع منها في مصر، ونسخ أخرى في المتحف البريطاني، وفي « ليبزيك » و « فينا »، وغيرها، ولم يطلع المحقق ـ كما يبدو ـ على النسخة الملكية بالمغرب التي وصفت فيها الحسبة بالشريفة.

50) بكسر الهمزة وتشديد الواو
ترجم له ابن حجر في « الدرر الكامنة »، ج : 4، ص : 165، وبالرغم عما قد قيل من أنه أغار على كتاب « نهاية الرتبة » فمن الملاحظ بالرغم عن ذلك أنه أضاف اليه كثيرا، كما يلاحظ أن كتابه يحتوي على سبعين بابا، وقد طبع في ليدن سنة 1938، ثم طبعته الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976 بتحقيق وتعليق الدكتور محمد محمود شعبان والأستاذ صديق أحمد عيسى المطيعي الذين اعتمدا على نسختين أصليتين ومصورتين وصدراه بمقدمة ضافية أسهبت في فقهيات الحسبة والمحتسب، مع التعرض إلى بعض الإشارات التاريخية بالنسبة لمصر، وبقي على المحققين أن يقيما مقارنة في الموضوع لأنها ضرورية، نظرا للمتون المتشابهة عند المؤلفين الثلاثة : الشيرزي ـ وابن بسام ـ وابن الإخوة.

القرشي الشافعي الأشعري في كتابه « معالم القربة في أحكام الحسبة »، ومحمد ابن أحمد المعروف بابن بسام المحتسب الذي علش بمصر قبل سنة 844 هـ وأطلق على كتابه نفس اسم كتاب الشيرزي، وأعني «نهاية الرتبة في طلب الحسبة». كما نقل مقدمته بحروفها ولكنه أضاف أبوابا وإفادات من خبرته في الحسنة فاضفت على كتابه أهمية وشخصية متميزة (51).

ويتردد اسم شامي آخر من « جوبر » وهو زين الدين عبد الرحمان بن عمر الدمشقي الحراني المعروف بالجوبري كان في أيام السلطان الأعظم الملك المسعود من ملوك بني أرثق، وحضر ذات يوم مجلسه في حدود سنة : 618، ولما ذكر في هذا المجلس كتاب ابن شهيد

---

51) نشر الأب لويس شيخو قسما من هذا الكتاب، في مجلة المشرق المجلد 10 العدد 21 سنة 1907، ثم نشر بكامله بتحقيق وتعليق الأستاذ حسام الدين السامرائي بمساعدة جامعة بغداد على نشره سنة 1968، وحسب النسخة التي اعتمدها وهي مخطوطة (اسطانبول مكتبة أحمد الثالث) فإن لابن بسام زيادات كثيرة على الشيزري حيث بلغت أبوابه 118 بابا وليست 114 فقط كما قال الأستاذ العريني محقق نهاية الرتبة للشيزري، ويتأكد أن صاحبه ابن بسام كان محتسبا حيث وردت فقرة (في أيام حسبتنا) في غير ما موضع من كتابه، كما يبدو أنه مصري لما يلاحظ من أنه قدم ذكر موازين مصر على غيرها كما كان صنيع الشيزري الشامي الذي بدأ كتابه في الموازين بالإشارة إلى شيزر وذلك ما لاحظه الأستاذ السامرائي وتتبعناه في الكتابين معا، ويبدو أنه عاش قبل 844 هـ لأن أقدم نسخة تحدث عنها الأستاذ السامرائي ترجع إلى سنة 844 هـ وهي ليست بخط المؤلف، وكل من كتاب ابن الاخوة وابن بسام يدل على شخصية متميزة لاتتيح الأخذ بقول الدكتور برناور أن هذه الكتب الثلاثة ليست إلا كتابا واحدا.

وما كشف فيه من ذكر أرباب الصنائع والعلوم سأله السلطان أن يؤلف له كتابا يحدو فيه حدوه، فوضع « المختار في كشف الأسرار » (52).

غير أننا لا ندري الى أي حد يتصل هذا الكتاب بموضوع الحسبة أو بمنهاجية أصحاب التأليف من الناحية التطبيقية العملية (53).

وعلى كل حال، فإن كتاب «نهاية الرتبة»، يعتبر الكتاب الأم في الحسبة التطبيقية بالنسبة إلى الديار المشرقية، وأما في الأندلس والمغرب، فهناك كتاب : «آداب الحسبة» (54) لمؤلفه الفقيه العالم، الرحالة، أبي عبد الله بن محمد بن أبي محمد السقطي المالقي، وقد عاش بين أواخر القرن الحادي عشر، وأوائل الثاني عشر، فكتابه لذلك يعتبر أقدم من الشيزري المشرقي السالف الذكر، وهو بهذا أم الكتب المشرقية والمغربية على السواء بين مؤلفات الحسبة التطبيقية، وقد ألف كتابه : «آداب الحسبة»، وهو في الولاية.

---

52) «معجم سركيس» : ج 1 ، ص : 719.

53) لنفس السبب لم نعتبر « كتاب الحسبة » لمؤلفه جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد الدمشقي المتوفى سنة 909، من بين الآثار التي يتعين ذكرها في عداد كتب الحسبة النظرية، أو التطبيقية، لأنه لا يمس موضوع الخطة الشرعية التي نعني ، وانما يسجل معايش الدمشقيين وبعض أصناف الصناعة بدمشق في نهاية عصر المماليك، وبذلك نخالف الأستاذ نقولا زيادة الذي أعلن أنه يصح اعتباره من كتب الحسبة (انظر النصوص التي جمعها وقدم لها الدكتور نقولا زيادة في الحسبة، ص : 53، المطبعة الكاثوليكية بيروت).

54) من مطبوعات معهد العلوم المغربية بالمطبعة الدولية بباريس.

ويلحق بكتاب السقطي، مع بعد السنين، المعلمة المنظومة المعروفة باسم : « الأقنوم في جميع العلوم »، لمؤلف من أهل المملكة المغربية، وهو أبو زيد عبد الرحمان (ت 1096 هـ) ابن الامام الشيخ عبد القادر الفاسي من أهل القرن الحادي عشر الهجري، وتحتوي هذه المعلمة على فصل كبير سماه : « علم الحسبة ».

ولكل من المؤلفين الثلاثة، الشامي الشيزري، والأندلسي المالقي، والمغربي الفاسي، هدف واحد وطريقة واحدة تتركز على ارشاد صاحب السوق، فمؤلفاتهم مرتبة على أبواب، على عدد المهن والصناعات والأسواق، فكل باب لحرفة من الحرف المعروفة في أقطارهم، مع ذكر أنواع غش أصحابها، وبيان أساليبهم في المعاملات، ووسائل التطفيف، في المكاييل، والموازين، والمقاييس، ثم يتبعونها بذكر طريقة كشف الغش والتدليس، ثم بما يتعين على المحتسب أن يلزم به، ويأمر بالعمل على وفقه أصحاب كل مهنة وحرفة.

كما يتفق ثلاثتهم على الالمام بشروط الحسبة، ومستحباتها، وتفصيل أنواع الموازين والمكاييل والمقاييس ومقاديرها، لدخولها دخولا أوليا في معاملات السوق، ولاختلاف مقاديرها بين الأقطار الاسلامية.

بل وحتى بين بلاد القطر الواحد (55) كما كان شأنها قديما في المغرب الأقصى قبل توحيدها.

ويتجلى في الكتب الثلاثة طابع التعليمات الراجعة الى مراعاة النظافة. ويكاد لا يخلو منها باب من أبواب هذه المؤلفات.

ومن أمثلة ذلك عند الرائد السقطي الأندلسي في الباب الخامس، وهو المتعلق بذا بحي الجزور،و بائعي اللحم، والحوت، وأنواع المطبوخات، فقد جاء فيه قوله :

(وشأن المحتسب مع هؤلاء الأصناف أن يقدم من ثقاته عريفا عليهم، يبحث عن أخبارهم، ويطلع على أسرارهم مع الأخبار، وينبه عليهم في السر والاعلان، ويأخذهم مع الأيام بغسل الحصر التي يضعون اللحم عليها وتنظيفها).

ويقول عن باعة الحوت :

(وأما باعة الحوت، فيشد عليهم ألا يباع البائت مخلوطا مع الطري، وألا يبيت عندهم حوت الا أن يكون مملوحا، ويبيعون البائت على حدة، والطري على حدة، وكذلك الذي يبيعونه مقلوا ومطبوخا).

---

55) انظر تفصيلا عن اختلاف المكاييل في المغرب الأقصى عند البكري في : « المغرب» في أخبار الأندلس والمغرب »، وعن اختلاف الموازين في المغرب، انظر الجزء الثاني من كتاب : « الفز والصولة في نظام الدولة »، وقد كان هذا الاختلاف معروفا في الأقطار المشرقية، وخص بمؤلفات قديمة وبدراسات حديثة، وانظر في كتاب « أحكام السوق » ليحيى ابن عمر الكناني الأحكام الشرعية المتعلقة باختلاف وحدة الكيل والوزن.

ويقول عن الطباخين :

(وأما الطباخون، فلا يتركون يطبخون في الليل ولا في السحر، ولا في الديار الخالية، والمواضيع الغابية، وليطبخوا في حوانيت مجصصة مسطحة، ليتمكنوا من غسلها في كل الأوقات، ليتناولوا أشغالهم بضوء المصباح، بحيث لا يخفى شيء من أمورهم، حتى يشاهد الثقة المقدم عليهم تنظيفهم اللحم وضمه في القدور).

ويقول عن حمالي اللحم :

(ويأخذ حمالي اللحم الى الحوانيت بألا يحملوه إلا في أوعية يضعون اللحم فيها كل ليلة، ويغسلونها في الغد، ويمنع ألا يحمل أحد حوتا في يده، لئلا يمس أثواب الناس، الا في وعاء، ومن وجده كذالك جعله في حجره أدبا له).

وعلى هذا النحو، يسير المشرقي صاحب كتاب « نهاية الرتبة »، حيث يقول في الباب السابع، حين تحدث عن الحسبة على الفرانين :

(ويؤمر أصحاب الفرانين بتنظيف الفرن، وكنسه في كل ساعة من اللباب المحترق، والشرر المتطاير، والرماد المتناثر)، ويزيد قائلا :

(ينبغي للفران اتخاذ مخبزين ليكون أحدهما للسمك بمعزل)

وبهذا، توحدت طريقة التأليف، فلا يقع الاختلاف الا في بعض الأسماء والاصطلاحات، وفروع بعض المهن، كصناعة « الزلابية » في المشرق، (ومن جنسها، وتشبهها « البريوات » عندنا بالمغرب).

ومن أمثلة صاحب « الاقنوم » قوله في باب الوزان والموازين :

أما الصنوج فلهم فيها حيل   فيها الرصاص في النحاس قد دخل
كذا الذي أصابها ما أثقلا   من وسخ أو مائعات مثلا
يأمرهم بالغسل والتنظيف   مختبرا لوزنها المعروف

ومن أمثلة الغش التي استقوها مع طريقة اكتشافه، ما جاء عند الشيزري في « نهاية الرتبة » في باب « الحسبة على العطارين » (باعة العطور) حيث قال : (من يغش دهن البان فيعمله من دهن حب القطن، أو دهن نوى المشماش، ويعتقه بشيء من المسك الصفدى والا فاويه (الطيب) ومنهم من يعمله من زيت الأنفاق (كلمة يونانية معناها الزيت المستخرج من الزيتون قبل نضجه)، ثم يعتقه، ويطرح فيه أطراف الآس، فتجيء فيه خضرة، ويقارب المدائني، ومنهم من يصعد عقد الصنوبر، وقشور الكندر (اللبان) فلا يشك أنه ماء الكافور، ومعرفة غشه أن يقطر المحتسب شيئا على خرقة بيضاء ثم يغسلها، فان علق فيها وأثر، فهو مغشوش).

والملاحظ أن هذه الارشادات الصحية تكون مجموعة قواعد في النظافة لها أصلها من فقه الحسبة الذي جمع وقعد في وقت مبكر

بالمغرب الاسلامي، وفي القيروان خاصة، على يد تلامذة الامام مالك، وأعلام مدرسته، وتبلورت في كتاب : « أحكام السوق » الذي يعتبر أقدم مؤلف في فقه الحسبة، وقد تقدمت الاشارة الى طريقي روايته عن مؤلفه يحيى بن عمر (213 هـ - 285 هـ) الأندلسي أصلا، التونسي قرارا ووفاة، ومادة الكتاب تقوم على فتاوى يحيى بن عمر في وقائع عملية رويت عنه من الطريقين المشار اليهما في الهامش السابق رقم 25.

ونظير كتاب « أحكام السوق »، كتاب « الحسبة في الأمراض لامام الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 238)، وقد اهتم المؤلفون الافريقيون بالنقل عنه في موضوع الحسبة.

ومن قبيل هذه المؤلفات الثلاث من حيث تناولها للجانب التطبيقي، جملة آثار أخرى أندلسية ومغربية سيأتي تحليل بعضها لدى التعرض لأوليات تطور فقه الحسبة من النظريات الى التطبيقيات في المغرب الاسلامي.

وبهذا العرض لمختلف الأمثلة عن اختصاصات المحتسب، وما كان يمارسه منها في المغرب والمشرق، يتبين أن وظيفته لا تتجاذبها ولاية المظالم وولاية القضاء فقط، ولكن اختصاصاته متداخلة أيضا مع اختصاص ولاية الشرطة، ولها أيضا اشراف بالأصالة على الشمائر الدينية، والشؤون الثقافية والصحية، وعلى مصالح الأوقاف، والحياة الاجتماعية في المدينة الاسلامية بوجه عام، فمنصبه أشبه بمحكمة استعجالية للشؤون

العامة، التي اذا لم يعجل البت فيها ضاعت الحقوق الخاصة، وفاتت المصلحة العامة.

ولأجل هذا اشترطوا في المتولي لهذه الوظيفة الدقيقة الاختصاص، الشروط التالية :

- الفقه في الدين.
- الخبرة بأحوال وطبقات المجتمع، وسياسة الجماهير.
- النزاهة وعلو الهمة.
- قوة الشخصية والروح الدينية حتى لا يهاب، ويخاف لومة لائم في الله.
- الأناة والحلم.

ويظهر أن (السلطة والغلظة والاستطالة) (56) وقد خص بها المحتسب وميزته عن القاضي، وكذلك الرهبة التي جمعت بينه وبين صاحب المظالم، ثم احتسابه (أي انكاره) على الصغير والكبير، وضرورة احتفاظه بمهابته التي تمنع الادلال عليه، وترهب الجاني لديه.. كل هذا من شأنه أن يخلق فيه الادلال بأنه هو وحده على الصراط المستقيم، فيطغى فيه الكبر، ويشيع فيه الاعجاب، فكان من تم شرط الأناة والحلم حتما لازما. ومن تقاليد ملوك بلاد المغرب الأقصى أن يوصوا كتابيا في

---

56) كتاب « الولايات» للونشريسي، ص : 8 - « الأحكام السلطانية » للماوردي، ص : 210.

صلب ظهائر تعيين الولاة عامة، بأخذ من ولوا عليهم بالحلم والأناة، ورعاية العجزة والضعفاء، ويؤكدون الوصية شفاهيا عند تسليمهم الظهائر للولاة. وقد صدرت عن ملوك الدولة العلوية الشريفة مجمورة وصايا دينية في معاملة الرعية، وطبعت مجموعة منها بالرباط سنة 1934، ومن ضمنها وصية السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن (1290) في صيغة انذار الى الولاة مركز على الأمر بتجنب اساءة السيرة في الرعية وتحميل الناس ما لا طاقة لهم به.

وهذا أيضا من تقاليد التوقيع بتقليد الحسبة في المشرق، حيث يضمن كتاب الدواوين (57) الوصية بالأناة، وبالرفق، والمياسرة في صلب كتاب التعيين، الذي يتضمن عادة وصايا تدخل أصالة في اختصاص المحتسب.

وفي مقابل هذا، يقول ابن القيم الجوزية (58) عن صاحب السوق : (وصاحبه يعينه الخليفة أو وزيره، أو القاضي من أهل الدين والورع والوجاهة، والشدة، ليبت بمقتضى الشرع).

---

(57) « صبح الأعشى »، ج : 11، ص : 70.

(58) « الطرق الحكمية »، ص : 240 ـ وانظر « المقتبس » لابن حيان، الجزء الفريد بالخزانة الملكية بالرباط المتعلق بعبد الرحمان الناصر عند حوادث سنة 326، ورقة : 310 وقد طبع مؤخرا بمدريد، عن هذه النسخة الملكية.

ومع العلم بأن هذا لا يشكل تعارضا، الا أن ذكر الورع والدين مما يوحي بدواعي شرط الأناة والحلم، حتى لا يقع الشطط في الاستطالة، ويصبح مظهر الرهبة والشدة ارهابا عمليا، وقسوة مطلقة، ومن هنا نجد بعض المؤلفين (59) في هذا الشأن يتوسطون فلا يقتصرون على ذكر طبيعة المهمة من سلاطة واستطالة وشدة، أو الاقتصار فقط على ذكر الحلم والأناة، وانما يتوسطون فيذكرون من صفاته أن يستعمل اللين من غير ضعف، والشدة من غير عنف، وما هذا الترديد بين الحالتين، في الحقيقة غير صورة لدقة عمل المحتسب الذي يتطلب طبقة خاصة من رجال الحكم، وادارة مصالح الناس.

وأحسب أن مما يلطف من مهابة وغلظة المحتسب، ويدخل في باب توجيهه الى ذلك، ما نصوا عليه من المستحبات التي ينبغي له الأخذ بها (60) وهي أن يكون مواظبا على سنن النبي (ص) من قص الشارب وتقليم الأظفار، ونظافة الثياب، وتقصيرها، والتعطر بالمسك، ونحوه، وجميع سنن الشرع.

وقد حكى صاحب كتاب «نهاية الرتبة» (61).

(ان رجلا حضر عند السلطان محمود لطلب الحسبة بمدينة غزنة،

---

59) « آداب الحسبة » للسقطي، ص : 9 ـ « نهاية الرتبة »، الفصل الرابع من الباب الأول ـ الشيخ ميارة في شرحه على الزقاقية عند كلامه على ولاية السوق.

60) « نهاية الرتبة »، الفصل الثالث من الباب الأول.

61) الباب الأول ، الفصل الثالث.

فنظر السلطان محمود، فرأى شاربه قد غطى فاه من طوله، وأذياله تنسحب على الأرض، فقال له : « يا شيخ، اذهب فاحتسب على نفسك، ثم عد واطلب الحسبة على الناس)

وبالرغم من هذه الشروط الفقهية والمستحبات العرفية، فان الفقهاء والمعممين (والوصف لصاحب «صبح الأعشى») الذين قصر عليهم هذا المنصب الديني، قد كانوا مغلبين لأمزجتهم التي تنزع الى صرامة شاذة، تخرج بهم عن شرط الذكاء المطلوب في انتصابهم لهذا الأمر، فقد حكى ابن الفرضي عن والد فرعوس (62) بن العباس القرطبي، أحد تلاميذة الامام مالك، أنه تجاوز الشدة على الناس، وتعالى نفوذه في الحسبة، لدرجة أن أحكامه كانت تسري على الأمير الأموي.

وروى صاحب « نهاية الرتبة » (63) : (أن أتابك طغراي، سلطان دمشق، طلب لها محتسبا، فذكر له رجلا من أهل العلم، فأمر باحضاره، فلما بصر به، قال : « اني وليتك أمر الحسبة على الناس، بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فقال : « ان كان الأمر كذلك، فقم عن هذه الطراحة، وارفع هذا المسند، فانهما حرير، واخلع هذا الخاتم، فانه ذهب... فنهض السلطان عن طراحته، وأمر برفع مسنده، وخلع الخاتم من أصبعه، وقال : « قد ضممت لك النظر في أمر الشرطة »).

---

62) « تاريخ علماء الأندلس »، ص : 303، طبعة مدريد - وانظر ترجمة فرعوس أيضا في « ترتيب المدارك »، للقاضي عياض، : ج : 3 ص : 325، ط : المطبعة الملكية بالرباط.

63) الفصل الثاني من الباب الأول.

وحكى السقطي (64) أنه :

(كان في الكوفة محتسب لم يترك مؤذنا يؤذن في منار الا معصوب العينين من أجل ديار الناس وحريمهم) ثم زاد السقطي : (لله دره، فانه احتاط وأجاد)، ولكن أندلسية السقطي شاءت الا أن تجري على لسانه في الحال هذين البيتين :

ليتني في المؤذنيــن حياتــي انهم يبصرون مـن فـي السطـوح
فيشيرون أوتشيـر إليهـم بالهوى كل ذات دل مليــح

ولعل السؤال الذي يلح على الباحث والقارىء عند تمثل هذه الساحات الواسعة، وهذه الارجاء المتباعدة في المدينة، التي تركض فيها بغلة المحتسب منذ الضحى، وفي الليل اذا يغشى، هو كما يلي :

هل هذه السلطة الواسعة، انما هي من نسج خيال الفقهاء الذين كانوا مهتمين بتقرير ما يجب أن يكون عليه أمر المحتسب والاحتساب وفقا للشريعة، ولما يستوحى من الأهداف التي رمى اليها الرسول الأعظم بأقواله، وبممارسته لهذه الخطة، أم أن سلطة المحتسب الواسعة قد كانت عمليا وتاريخيا على نفس ما تبدو عليه من خلال مدونات الفروع

64) كتاب « آداب الحسبة »، ص : 8، ونقل هذه الحكاية من غير عزو الشيخ مبارة في شرحه على الزقاقية.

الفقهية، ومؤلفات الأحكام السلطانية، كما بسطت آنفا في الجولات مع المحتسب، وهو يؤدي مهمته الدينية الدنيوية ؟

وستناول الجواب في الفرصة التالية بحول الله

(يتبع)

الرباط **عبد الرحمن الفاسي**

المغرب ومكانه من العالم الإسلامي(●)

1. نشأة الدولة المغربية ونموها في ظل الاسلام.

محمد العربي الخطابي

القصد من هذا البحث بيان العوامل الرئيسية التي أكسبت المغرب شخصيته المتميزة وطابعه التاريخي الخاص في محيط العالم الاسلامي. وبالرغم من تشعب هذا الموضوع فإنني سأقتصر فيه على التعريف بالمغرب وسكانه ثم أستعرض مراحل انتشار الاسلام وما أعقبها من قيام الدولة المغربية بخصائصها المميزة من حيث العقيدة والسياسة والامتداد البشري الجغرافي.

ومن باب التسلية رأيت أن أبدأ ببعض المغالطات التاريخية التي تجري مجرى النوادر والفكاهات.

(●) القسم الأول من البحث الذي أعد للمساهمة في الندوة الدبلوماسية الثقافية بدولة الإمارات العربية المتحدة (أبريل 1980) بدعوة من وزارة خارجيتها.

يقول ياقوت الحموي الرومي في (معجم البلدان) :

«روي أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل كعب الأحبار عن البلاد وأحوالها فقال : يا أمير المؤمنين، لما خلق الله سبحانه وتعالى الأشياء ألحق كل شيء بشيء، فقال العقل : أنا لا حق بالعراق، فقال العلم، وأنا معك، فقال المال : أنا لا حق بالشام، فقالت الفتن : وأنا معك، فقالت القساوة : أنا لا حقة بالمغرب، فقال سوء الخلق : وأنا معك...» وأخيرا علق ياقوت على هذه الروا ية المزعومة بقوله : «انتهى كلام كعب الأحبار. والله الموفق للصواب» وهو تعليق لا يدل على التمحيص وروح النقد العلمي؛ وذلك أننا نعلم أن كعب الأحبار لم يزر المغرب قط. فهو إما أن يكون قال ما قاله وهو يقصد مجرد الترفية عن الفاروق، الخليفة العظيم، وإما أن يكون ما رواه الحموي كلام مختلق أريد به المزاح أو التشنيع. وهذا هو ما نرجحه، لا سيما وأن الفتح الاسلامي لم يكن قد تجاوز في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، مدينتي برقة وطرا بلس الواقعتين في ليبيا وكانت معدودة من بلاد المغرب في اصطلاح المؤرخين والجغرافيين العرب، و بهذا الافتراض تكون القساوة وما لحق بها من سوء الخلق قد توقفت في هذا القطر الشقيق ولم تتجاوزه إلى ما وراءه ! وهذا مجرد افتراض.

إن لفظ المغرب لا يطلق اليوم، بالتخصيص، إلا على القطر الواقع

في أقصى شمال غربي افريقيا بين البحر الأبيض وبوغاز جبل طارق شمالا وموريتانيا جنوبا والجزائر شرقا والمحيط الأطلسي غربا. وقد عرف هذا القطر أيضا بالمغرب الأقصى، وأطلق عليه الأوربيون إسم Maroc بالفرنسية و Marruecos بالاسبانية و Morocco بالانجليزية، والكلمة مأخوذة، كما يظهر، من مراكش، وهي إحدى كبريات حواضر المملكة المغربية.

أما حينما يقال اليوم «المغرب العربي» أو «المغرب الكبير» فيكون المقصود أقطار شمال افريقيا الثلاثة : تونس والجزائر والمغرب الأقصى. وكانت ليبيا معدودة من ضمن هذه المجموعة قبل أن تتخذ،منذ سنين عديدة، قرارا بالخروج منها للبحث في أرض الله الواسعة عن مجموعة أخرى تلائم طموحها، ثم تبعتها الجزائر التي انسحبت على الطريقة الانجليزية، وبذلك انفرط عقد ما كان يسمى «لجنة التنسيق بين أقطار المغرب العربي» فلم يبق لهذه التسمية معنى يمكن أن يدل على وحدة في الرأي أو الهدف أو السياسة فكل يعمل على شاكلته، ولله الأمر من قبل ومن بعد !

وهذا هو الوضع في العصر الحاضر. أما قديما ـ أي قبل الفتح الاسلامي ـ فإن الأجانب الطارئين أو الطامعين الذين كانت لهم صلة ما بالمغرب، قد أطلقوا العنان لا هوائهم، فسمى اليونان بلاد المغرب أو بعضا منها، باسم «ليبيا»، بينما أطلق عليها الرومان اسم افريقيا ـ وهو اسم

يزعم العرب أنه مشتق من افريقش الحميري الذي ورد على هذه البلاد من شبه جزيرة العرب.

وقد أطلقت على أجزاء من بلاد المغرب أسماء أخرى مثل : مملكة قرطاجنة، ونوميديا، وموريتانيا.

أما العرب فإنهم أطلقوا اسم «جزيرة المغرب» على البلاد الواقعة غربي مصر بين برقة والمحيط الأطلسي محكمين في ذلك الذوق الجغرافي، إذ أن هذه البلاد ـ وهي ذات شكل رباعي الأضلاع ـ تقع في الغرب من بلادهم وتحيط بها مياه البحر الأبيض والمحيط الأطلسي ورمال الصحراء الجنوبية التي تشبه البحر.

وقد احتفظ الجغرافيون والمؤرخون العرب باسم افريقيا، وكانت تشمل تونس وطرابلس الغرب، كما أطلقوا اسم المغرب الأقصى على القطر الذي يعرف اليوم بالمملكة المغربية.

هذا عن البلاد أما سكانها فقد أطلق عليهم من الأسماء أغربها، فهم مرة «لوبيون» في زعم الاغريق، وتارة «موريون» أو «مور» عند هؤلاء وعند الرومان، ومرة برابرة أو بربر، ولعل هذا هو ألصق الاسماء بهم، وقد استعاره المؤرخون والجغرافيون العرب فنسجوا حوله أعجب الأساطير.

وكلمة بربر دخيلة ومدسوسة أطلقها الرومان على أهل المغرب بدافع الاستعلاء والعنصرية، وأصلها من اللاتينية ، **barbarus** أي الأميون المنتسبون الى خليط من شعوب متأخرة تعيش خارج البلاد الرومانية .

وقد زعم بعض النسابة العرب، أن افريقش بن قيس بن صيفي، من ملوك التبابعة، هو الذي أطلق على سكان المغرب اسم البربر حينما حل ببلادهم غازيا فلم يفهم كلامهم واعتبر رطانتهم بربرة، وقيل أيضا إن اسم البربر آت من انتسابهم الى بربن قيس عيلان أحد أجدادهم العرب.

وكيفما كان الحال فإن أهل المغرب لم يعرفوا أنفسهم، منذ العصور الضاربة في أعماق التاريخ، الا باسم الامازيغ أو «إمازيغن» بلسانهم، ومعنى «الأمازيغ»الرجال الأحرار النبلاء وكانت الحرية في مفهومهم أن يعيشوا وفق نظامهم القبلي طلقاء متحررين من كل خضوع أو تبعية للاجنبي، يمتطون صهوات جيادهم ويرعون أنعامهم ويرحلون أو يظعنون حسبما تمليه عليهم طبيعة معاشهم ونظامهم العشائري. وأحيانا كانوا يجتمعون، عند الضرورة، تحت راية ملك أو زعيم قوي يسمونه «أكلد» بلسانهم ثم لا يلبثون أن يتفرقوا قبائل وشعوبا متنافرة متناحرة كسابق سيرتهم، وتلك كانت الحرية عندهم.

وما دمنا بصدد الحديث عن الأمازيغ فلا بأس من أن نعود الى صاحبنا ياقوت الحموي الذي لفق في معجمه أقوالا غريبة ومتناقضة عن هؤلاء الذين سماهم «البربر» ونصر نحن على تسميتهم بالأمازيغ أو أهل المغرب.

قال ياقوت، عفا الله عنه، :

«وقد اختلف في أصل نسبهم، فأكثر البربر تزعم أن أصلهم من العرب، وهو بهتان منهم وكذب... وقال أحمد بن يحيى بن جابر : حدثني بكر بن الهيثم قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر فقال : هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس بن عيلان، وما جعل الله لقيس من ولد اسمه بر، وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود وطالوت... وذكر هشام بن محمد أن جميع هؤلاء - أي قبائل البربر - عمالقة «إلا صنهاجة وكتامة فإنهم بنو افريقش بن قيس بن صيفي بن سبأ الأصغر».

ثم يقول ياقوت :

«والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشا، وأسرعهم الى الفتنة، وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط. ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، وقد حسن لهم الشيطان الغوايات وزين لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم الى الباطل مائلة وغرائزهم في ضد الحق حائلة ... وكان يقال : تزوجوا نساءهم ولا تؤاخوا رِجالهم، ويقال : إن الحدة والطيش عشرة أجزاء : تسعة في البربر وجزء في سائر الخلق».

ثم أضاف ياقوت قوله :

«أنشدني أبو القاسم النحوي الأندلسي الملقب بالعلم لبعض المغاربة يهجو البربر فقال :

رأيت آدم في نومي فقلت له : أبا البرية إن الناس قد حكموا

أن البرابر نسل منك، قال : أنا حواء طالقة إن كان مازعموا

وهكذا أبعدوا البربر عن ذرية آدم فلم يبق لهم إلا نسل ابليس ينتسبون اليه، والعياذ بالله !

إن هذه الصورة المشوهة التي صورها ياقوت الحموي لأجدادنا قد بلغت حد الجراءة على النبي صلى الله عليه وسلم بما افتراه من أحاديث في ذم البربر مع أن الثابت في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن الرسول الكريم قال : «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». أما عن الطيش الذي ألصق ياقوت تسعة أجزائه بأهل المغرب فهو تحريف فاضح للحقيقة التي رواها المؤرخ ابن عذارى في كتابه (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) حيث قال - في معرض الكلام عن مناقب أهل المغرب - : «الشر عشرة أجزاء : تسعة في المشرق وواحد في سائر البلدان».

والخلاصة أن الحموي لم يلفظ بكلمة خير إلا في حق نساء الأمازيغ داعيا الى التزوج بهن. ولسنا ندري أذلك لصلاحهن أم لجمالهن الفاتن فقط، لأنه إذا كانت نساء الأمازيغ ذوات عفة وأخلاق فاضلة، فالرجال منهم لا بد وأن يكونوا من أهل المكارم أيضا. ورحم الله شوقي إذ قال :

الأم مدرسة اذا أعددتها   أعددت شعبا طيب الأعراق

وما نظن ياقوت يقصد غير جمال الأمازيغيات وقد أشادت بفتنتهن كتب الروايات والتاريخ، قال البلاذري في (فتوح البلدان) : «...

فكان أبو محجن نصيب الشاعر يقول ، «لقد حضرت عند عبد العزيز (بن مروان) سبيا من البربر ما رأيت قط وجوها أحسن من وجوههن».

وجاء في كتاب (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) لا بن عذارى، في معرض الكلام عن فتح بلاد المغرب الأقصى بقيادة عقبة ا بن نافع ، « وأصاب منهم نساء لم ير الناسْ في الدنيا مثلهن، قيل إن الجارية منهن كانت تبلغ بالمشرق ألف دينار أو نحوها.»

أما وقد ذكرنا بعض مستملحات ياقوت الثقيلة التي تفرض الأمانة استبعادها من المؤلفات العلمية حتى لا يختلط الجد بالهزل والحق بالباطل في عقل السذج الأبرياء من الناس بل حتى في أذهان ذوي البصائر والألباب، فإننا نقول إن اليونانيين ـ الذين كانوا يتطلعون الى احتلال بلاد المغرب فلم يتأت لهم ذلك، كانوا يعرفون ـ أو على الأقل رحالتهم ومؤرخوهم ـ بلاد المغرب التي سموها ليبيا أو أرض الموريين، فهذا الرحالة الاغريقي (سترابون) ـ الذي عاش بين الأعوام الستين والعشرين قبل ميلاد المسيح ـ يتحدث عن الأمازيغ في عهد الامبراطور أغسطس، فيقول عنهم ،

« هنالك يسكن الموريون، انه شعب ليبي عظيم وغني، يفصله عن اسبانيا بوغاز.

وهم، وان كانوا يسكنون اقليما محظوظا، فانهم مازالوا يعيشون حتى أيامنا هذه عيشة الرحل ، ومع ذلك فانهم شديدو العناية بمظهرهم،

يضفرون شعورهم ولحاهم، ويتزينون بالحلي، ويعنون بأسنانهم وأظافرهم... يحاربون معظم الوقت وهم على صهوات الجياد، ويستعملون أعنة مصنوعة من الأسل... »

وقد لاحظ المؤرخ الفرنسي المعاصر شارل أندري جوليان في كتابه (تاريخ افريقيا الشمالية) أن الرومان عمموا اسم الموريين على جميع سكان بلاد البربر، وكان في بداية الأمر مقصورا على سكان شمال المغرب الأقصى. ولذلك يمكننا أن نستنتج من كلام الرحالة الاغريقي سترابون أنه يقصد بالموريين سكان المغرب الأقصى، وهو القطر الذي لا يفصله عن اسبانيا سوى بوغاز جبل طارق.

والذي لا مرية فيه هو أن سكان المغرب ـ بمعناه الواسع عند العرب ـ كانوا مزيجا من شعوب شتى نزحت اليه في أحقاب متتالية منذ عصور ماقبل التاريخ، فمنهم من جاء من آسيا الوسطى ومن مصر الفرعونية ومن افريقيا جنوب الصحراء، الا أن معظمهم هب من الجزيرة العربية، من أرض اليمن والشام وبلاد كنعان. ويجب ألا ننسى أن الفينيقيين والقرطاجنيين ـ وهم كنمانيون ساميون قضوا في سواحل المغرب مدة تزيد عن اثني عشر قرنا، وهم الذين أسسوا مدينة طنجة ومدينة سلا وغيرهما وكان بينهم وبين سكان البلاد تفاعل وتقارب شديدان، هذا وقد يكون من المفيد أن نشير إلى تلك الوثيقة التاريخية التي حررها فرسان قيس عيلان الذين رافقوا الفاتح حسان بن النعمان

إلى المغرب في احدى مراحل الفتح الاسلامي، وقد جاء في هذه الوثيقة ما يلي :

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أشهد به أنجاد قيس عيلان لاخوانهم زناتة بن بر بن قيس عيلان ، أنا أقررنا لكم وشهدنا على أنفسنا وعلى آبائنا وأجدادنا أنكم معشر زناتة من ولد بر بن قيس عيلان فلكم ما لنا وعليكم ما علينا... »

وهذه وثيقة لا محل إلى الشك في صحتها وهي تؤكد ما بين العرب والأمازيغ من روابط الدم وأواصر القربى رغم بعد الدار. والذين كتبوها معروفون بضبط الأنساب والعناية بحفظها. وقد أثبت مؤلف (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) نص الوثيقة المذكورة.

وينقسم الأمازيغ الى ثلاث مجموعات لغوية كبرى هي : صنهاجة وزناتة ومصمودة ، والقبائل المتفرعة عنها موزعة في جميع بلاد المغرب ما بين برقة والمحيط الأطلسي شرقا وغربا، وبلاد السودان والبحر الأبيض المتوسط جنوبا وشمالا ، والرأي المستنبط من مقارنة الأبجدية الأمازيغية بالكتابات المكتشفة في الصحراء العربية، والمستند أيضا الى أقوال النسابة العرب والأمازيغ يرجح أن معظم قبائل هؤلاء، أصلها من الحميريين والغساسنة والمضريين والكنعانيين، وهذا ما يؤكده تشابه أنماط المعيشة والعادات والأصول اللغوية فضلا عن السرعة التي تم بها امتزاج الأمازيغ بالعرب القادمين مع الفتح، ولا سيما بعد استقرار الاسلام

في البلاد وتمكنه من النفوس وسيطرته على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

• • •

إن المغرب يرتبط بافريقيا بواسطة صحرائه الممتدة فيما وراء جبال الأطلس كما يصله بأوربا ممر مائي ضيق يتيح للواقف على مشارف مدينة طنجة أن يشاهد المباني وحركة السكان في بلدة « طريفة » على الساحل الاسباني.

وهذا الارتباط المزدوج بافريقيا وأوربا وسم تاريخ المغرب بطابع مميز فريد تجلت آثاره في حضارة البلاد ومعيشة سكانها وفيما عرفته من أحداث سياسية وتقلبات اجتماعية واقتصادية وعمرانية عبر عصور التاريخ كلها.

وقد أوضح المؤرخ التونسي المرحوم الأستاذ عثمان الكعاك مدى هذا الارتباط فقال :

« إن مقدرات المغرب واسبانيا التاريخية كانت واحدة منذ العصر الحجري فالعهد البربري، ثم العهد الفينيقي فالروماني فالعربي، بحيث يصح أن نقول إن اسبانيا اسمرار للمغرب أو العكس فلا نكاد نخطىء... فهذه الواجهة المغربية الشمالية المطلة على الأندلس هي التي جعلت المغرب منذ العصر الحجري الى سنة 1017 هـ . متأثرا كل التأثر

بالحضارة الأندلسية ومؤثرا فيها. فالمغرب فرع أندلسي بالديار الافريقية، والأندلس نيابة للمغرب بالديار الاسبانية » (1).

وعن الموقع الجنوبي للمغرب يقول الأستاذ عثمان الكعاك :

« إذا كان المغرب ـ شماليا ـ تتمة لأوربا، فانه ـ جنوبيا ـ تتمة للصحراء، وبالأحرى فأين ينتهي المغرب جنوبيا ؟ نحن لا نرى له حدا فعليا الا أحد الأنهار السودانية الكبرى كالسنغال والنيجر. بحيث ان المغرب له مقدرات صحراوية افريقية بقدر ما له من مقدرات أوربية، يتصل العصر الحجري الصحراوي بالمغرب أكمل اتصال. وهاجر بربر **صنهاجة من زناتة والسنغال** (ومعناها نهر صنهاجة) في دفعات متتابعة إلى المغرب فأسست دوله الكبرى. وصرف السعديون، ملوك المغرب، أعظم اهتمامهم لادخال السودانيين في الاسلام ونشر الثقافة العربية فيهم... واستطاع المرابطون ثم الموحدون انشاء امبراطورية مترامية الأطراف حدها الجنوبي نهر السنغال، وحدها الشمالي نهر تاجة بالثغر الأعلى من الأندلس » (2).

أما طبيعة أرض المغرب فيميزها التنوع الذي يبلغ أحيانا حد المفارقة والتناقض ، فالجبال الشامخة المكسوة بالثلج في بعض فصول

---

1) مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر : عثمان الكعاك ـ معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة 1958.

2) نفس المصدر.

السنة تتعايش مع السهول الممتدة الخصيبة التي تجري فيها الأنهار كأم الربيع وملوية وأبي رقراق وسبو. كما تتصل بالواحات المجللة بالنخيل وتتلاقى فيها رمال الصحراء وكثبانها بسواحل شاسعة طولها نحو 3500 كم. على بحرين عظيمين : البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وتترامى فيها الغابات والحقول الخضراء وتهب رياح صحراوية وأخرى بحرية فتعطيها تنوعا في الطقس يغلب عليه الاعتدال، ولو أنه يتأرجح، حسب المناطق، بين حرارة وبرودة، وجفاف ورطوبة، وأمطار وثلوج، فتتباين بذلك أمزجة الناس وتتنوع خيرات الأرض وعطاء التربة، فمن غابات الأرز والصنوبر والبلوط والدوم والحلفا إلى حقول القمح والشعير والذرة والقطاني إلى بساتين النخيل والأعناب والزيتون والتفاح والاجاص والبرقوق والخوخ واللوز والجوز إلى البقول والخضراوات المتنوعة والزهور والأعشاب المختلفة.

أما أهل المغرب فشعب متماسك من أرومة أمازيغية وعربية شديدة الانصهار والتداخل، مطعمة بعناصر سكانية أخرى ترجع أصولها إلى شعوب وأجناس من افريقيا وأوربا وآسيا، وذلك ما يتجلى بوضوح لزائر هذه البلاد وهو يتجول في مدنها وجبالها ووهادها وصحاريها، حيث يشاهد البيض والشقر والسمر والسود في تصاهر وتجانس عميقين يثيران دهشة الزائر ولا سيما حينما تطرق سمعه أسماء الناس وألقابهم فيجد فيها الشامي والعراقي واليمني والحجازي والاسباني والأمازيغي والزنجي

وكلهم على دين محمد، صلى الله عليه وسلم، والعربية لغتهم الروحية والثقافية، فهي دليل وحدتهم وشاهد انتسابهم جميعا إلى الاسلام. وهذا لا يتعارض مع ما يشاهد من صمود اللغة الأمازيغية بلهجاتها المختلفة وبقائها لغة للتخاطب اليومي في كثير من جهات المغرب حيث تحافظ على تراث شعبي غني ببساطته وصدقه، عميق في بعده التاريخي الأصيل.

وربما يكون من المفيد أن نلقي معا نظرة عاجلة على الأحداث البارزة التي وقعت بين القرن الأول والقرن السادس من الهجرة ووسمت المغرب الأقصى بطابع مميز مازال يلازمه إلى هذا العصر، وجعلت منه منطلقا لانتشار دعوة الاسلام وحضارته وثقافته في افريقيا، عبر صحرائه، وفي أوربا، عبر بوغاز جبل طارق.

ويمكن تقسيم تاريخ هذه الأحداث إلى عصرين هما : عصر النشوء الاسلامي، وعصر التكامل والوحدة.

1 ـ عصر النشوء الاسلامي العربي

لم يستغرق انتشار الدعوة الاسلامية في أقطار المغرب الا مدة وجيزة لا تزيد عن خمس وسبعين سنة. أما في المغرب الأقصى ذاته، فان الفتح الاسلامي قد تمهد له السبيل في مدة ثلاثين سنة أو نحوها. وقد كان في الامكان أن تقصر هذه المدة لولا بعض العوامل السلبية ومنها : اضطراب الأحوال السياسية في دار الخلافة بالشرق ولا سيما بعد مقتل

الخليفة عثمان بن عفان. وما أعقبه من فتن ، ثم ان الجيش الاسلامي اقتصر في المرحلة الأولى من الفتح على شن حملات عسكرية متقطعة في المغرب ما يلبث أن يرتد بعدها إلى مواقع انطلاقه مكتفيا بما يصيبه من غنائم وسبي وأموال. ويجب أن نذكر كذلك طيش بعض ولاة افريقيا العرب وميلهم إلى الجور وقهر السكان واستعبادهم وفرض الجزية عليهم رغم اسلامهم. وكل ذلك قد تسبب في دفع الأمازيغ إلى الردة أو إلى المقاومة والتمرد. كما شجع بعض طوائفهم على مشايعة الخوارج وكانت جماعات منهم قد لجأت إلى المغرب بعد الفتنة الكبرى في الشرق فأخذوا يروجون دعوتهم. وربما رأى بعض زعماء القبائل المغربية في المذهب الخارجي ما يتفق مع مثلهم الأعلى في الحرية ويساير نفورهم من الاستبداد. لكنهم سرعان ما أعرضوا عن الدعوة الخارجية حينما استقرت الأحوال في المغرب الأقصى بتأسيس الدولة الادريسية في القرن الثاني من الهجرة.

لقد كانت بداية فتح بلاد المغرب في العام الأول والعشرين من الهجرة حين تمكن عمرو بن العاص، والي مصر، من فتح برقة ثم دخل مدينة طرابلس في السنة التالية ومنها تطلع الى التقدم نحو تونس الا أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يأذن له بذلك لأنه - رضي الله عنه - ربما كان يرى أن هذا الزحف سابق لأوانه. فكره أن يتورط الجيش الاسلامي في عمل حربي غير مدروس بعد أن وصف له قائده وعامله الوضع في

افريقيا بقوله : « ان ملوكها كثر وأهلها في عدد عظيم وأكثر ركوبهم الخيل » ، ثم ان الأمازيغ لم يكونوا وحدهم في بلادهم بل ان الحكم البيزنطي كان ممتدا على طول الساحل من برقة في حدود مصر، الى طنجة على البوغاز والمحيط الأطلسي. وكان العرب قد أجلوا البيزنطيين الروم عن الشام ومصر.

ولم يتحرك الجيش الاسلامي غربا الا في خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، حيث تمكن عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، من فتح قرطاجنة في السنة السابعة والعشرين من الهجرة بعد القضاء على الحاكم البيزنطي، البطريق جريجريوس، الذي لقي مصرعه على يد القائد عبد الله بن الزبير بن العوام.

ويمكن القول أن الزحف الاسلامي الأكبر لم يحدث الا في ولاية عقبة بن نافع الفهري عامل معاوية بن أبي سفيان على افريقيا ، فقد تمكن هذا القائد المقدام من أن ينجز عملين جليلين مهدا السبيل لاستقرار النفوذ الاسلامي في أقطار المغرب كلها. فمن الناحية العسكرية تمكن عقبة بن نافع من توسيع رقعة الفتح. فكان أول المتوغلين في بلاد المغرب الأقصى حيث أخضع من مدن هذه البلاد : سبتة، وطنجة، ووليلي، وأغمات، واخترق جبال الأطلس ففتح بلاد السوس الأدنى والأقصى ودرعة وبلاد صنهاجة في صحراء المغرب. ويقال انه أسس بعض المساجد في أعقاب حملاته، وذلك في ولايته الثانية على افريقيا سنة 62 هـ أيام يزيد بن معاوية.

أما من الناحية العمرانية فقد اهتدى عقبة بن نافع الى بناء مدينة القيروان في تونس، في العام الواحد والخمسين من الهجرة، جاعلا منها قاعدة الاسلام في المغرب ، ولم تلبث أن أصبحت هذه المدينة مركزا للاشعاع الروحي والعلمي والأدبي ومنطلقا لانتشار الفقه المالكي واللغة العربية وموطنا للعلماء المشاهير أمثال أبي سعيد سحنون، جامع المدونة في الفقه المالكي، وأبي عمران الفاسي، وابن رشيق القيرواني، صاحب العمدة وغيرهم من أعلام الشريعة واللغة والأدب وكان للقيروان فضل كبير على مدينة فاس التي تأسست بعدها بنحو قرن ونصف من الزمان. فقد هاجر اليها نحو ثلاثمائة أسرة استوطنوا فاس ، والسيدة أم البنين فاطمة الفهرية التي بنت جامعة القرويين العتيدة، وفد أهلها الى فاس من مدينة عقبة.

هذا ويحق لنا أن نذكر في معرض الكلام عن الفتح الاسلامي لبلاد المغرب ثلاثة قواد آخرين كان لهم دور هام في ترسيخ دعائم النظام الاسلامي فيه : وهم : حسان بن النعمان وموسى بن نصير، وطارق بن زياد.

فحسان بن النعمان هو الذي قضى على النفوذ البيزنطي في المغرب ودحر الكاهنة، زعيمة قبائل زناتة، بفضل مساعدة الأمازيغ المسلمين الذين ساءتهم السياسة التخريبية التي نهجتها الكاهنة، وقد أسلم ولداها بعد موتها.

وأما موسى بن نصير فانه أتم في السنة السادسة والثمانين عمل سالفيه من الفاتحين فواصل في خلافة الوليد بن عبد الملك سياسة استقرار الجيوش الاسلامية في مراكز المغرب الهامة مستعينا بسكان البلاد الذين شرح الله صدرهم للاسلام، وفي طليعتهم القائد الفاتح طارق بن زياد الذي يرجع اليه والى قومه الفضل الأول في اخضاع بلاد الأندلس وبسط نفوذ الاسلام على ربوعها في السنة الثانية والتسعين.

ومما لاشك فيه أن دخول الاسلام بلاد المغرب كان بداية تاريخ جديد انطلقت منه أحداث هامة أتاحت اكتمال دولة الاسلام الكبرى، وساهمت في اثراء حضارتها وثقافتها. كما مكننت المغرب نفسه من أن يتذوق طعم الايمان بالقيم الروحية والفكرية، وأن يضع، لأول مرة في تاريخه، قواعد نظام سياسي واجتماعي واقتصادي قوامه الدولة المرتكزة على العقيدة والشريعة المتميزة باستقلالها الاداري والفعلي عن سلطة الخلافة في بغداد ، وهذا ما يؤكده قيام الدولة الادريسية في السنة الثانية والسبعين بعد المائة من الهجرة.

ومؤسس هذه الدولة هو ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي، سليل البيت النبوي الشريف، وقد لجأ إلى بلاد المغرب اثر معركة « فخ » التي وقعت بالقرب من مكة بين المهدي ومحمد النفس الزكية، وقتل فيها هذا الأخير كما تعرض أفراد أسرته للفتك والاضطهاد.

وقد اجتمعت قبائل المغرب الأمازيغية حول ادريس بن عبد الله، اذ توسمت فيه الخير والعدل والقدرة على جمع الكلمة. فأعلنت له البيعة طوعا واختيارا وجعلت منها اماما وسلطانا اكراما لجده العظيم.

وجعل ادريس مدينة « وليلي » عاصمة ملكه، ثم نهض لتوحيد البلاد حول راية الاسلام ونشر الأمن والطمأنينة في ربوعها. فدانت له بلاد المغرب الأقصى من الصحراء إلى سواحل البحر الأبيض وامتد سلطانه إلى ناحية تلمسان في الجزائر، وبذلك انقطع نفوذ الخلافة العباسية في هذه البلاد. كما انقرض سلطانها في الأندلس المسلمة بقيام الدولة الأموية فيها على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بعبد الرحمن الداخل، في السنة الثامنة والثلاثين بعد المائة من الهجرة.

وقد كان لقيام الدولة الادريسية في المغرب الأقصى أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية هامة نذكر منها :

أولا - ثبوت الدليل على نضج أهل المغرب وتشبعهم بمبادىء الاسلام وتعاليمه واطمئنانهم إلى الثقافة العربية الجديدة. وذلك بالرغم من ظهور بعض الدعوات الخارجة عن الاسلام التي لم يطل أمدها.

ثانيا - استقلال المغرب عن نفوذ الخلفاء المتصارعين في المشرق الاسلامي، وميلاد الدولة المغربية بكيانها المتميز ونظامها الملكي الذي لم ينقطع حبله منذ القرن الثاني إلى يومنا هذا.

ثالثا - انصراف المغرب إلى الانشاء والبناء وتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ففي عهد الدولة الادريسية بنيت مدينة فاس وجامعة القرويين، وفي عهدها ضربت السكة ونظمت مالية الدولة، واتجهت العناية إلى تطوير الزراعة وتنمية التجارة والصناعة، وفتحت أبواب البلاد في وجه الوافدين عليها، باختيارهم أو فرارا من الاضطهاد الذي لحقهم في أماكن أخرى.

وترمز مدينة فاس العريقة الى هذا التلاقح الحضاري والفكري، فقد بناها مؤسسها ادريس بن ادريس بن عبد الله في السنة الثانية والتسعين بعد المائة من الهجرة (808م) فأقام على الضفة اليمنى لنهر فاس قسما من المدينة عرف بعدوة الأندلس، ثم بنى على الضفة اليسرى القسم الذي سمي بعدوة القيروان - ويقال اليوم القرويين - وذلك اشارة الى موطن الأسر التي هاجرت اليها من القيروان ومن قرطبة الأموية بعد الفتنة المعروفة بوقعة الربض. وقد بلغ عدد الأسر الوافدة على فاس في ذلك الحين نحو ثمانية آلاف وثلاثمائة أسرة لقيت من أهل المغرب الحفاوة وكرم الوفادة وامتزجت بهم الى الأبد. ولم تزل فاس، الى القرن التاسع الهجري، تستقبل وفود الأندلسيين من علماء وصناع وفلاحين ورجال الدولة، كما استقبلت اعدادا وفيرة من أهل المشرق ولا سيما من الشام.

وأصبحت فاس عاصمة المغرب المرموقة وغدت حاضرة من حواضر الاسلام السياسية والعلمية والاقتصادية تضاهي بغداد وقرطبة والقاهرة

ودمشق وغيرها، بل انها احتلت مكان الصدارة بين الحواضر الاسلامية، ولا سيما منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حينما أفل نجم بغداد ودمشق بسبب حملات التتار عليها، وكانت قرطبة قد سقطت في يد المسيحيين، ونهضت جامعة القرويين في فاس بأعباء نشر الثقافة الاسلامية العربية في المغرب وأقطار افريقيا، وعرفت عبر العصور حركة دائبة بحلقات الدرس ومجالس العلماء والطلاب، وزارها أو استوطنها عدد من أعلام الفكر الاسلامي كأبي بكر ابن العربي، والبكري، وابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب والحسن الوزان واسمعيل بن الأحمر وغيرهم.

وتعد جامعة القرويين أقدم جامعة في العالم، فقد بنتها فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري في سنة 245 هـ بينما بني الأزهر عام 360 هـ . وأنشئت جامعة ساليرن بايطاليا سنة 1050 م.، وهي أقدم الجامعات الأوربية.

وبقيت جامعة القرويين منذ تأسيسها محط عناية ملوك المغرب وعلمائه وتجلت فيها مهارة الصناع والفنانين المغاربة الذي تسابقوا على تجميلها وتوسيع مرافقها.

وما تزال فاس الى اليوم من مدن المغرب الزاهرة تباهي بمساجدها وقصورها وأسواقها وأسوارها وأبراجها الموسومة بألوان القدم والعراقة، والدالة على التقاء فنون العمارة وأنماط الحضارة والمعيشة المغربية

والمشرقية والأندلسية، حتى ليحسب المتجول فيها الآن أن التاريخ قد توقف عن السير في حقبة زاهرة، من حقب المجد الاسلامي لولا هذا العمران العصري الجديد الصاخب الذي يفسد على الحالم متعة التذكر.

وفاس هي عاصمة المغرب العلمية ويبلغ عدد سكانها اليوم 410.000 نسمة وبها جامعة محمد بن عبد الله التي تواكب حياة هذا العصر تنظيما ومنهاجا وعلوما، وذلك فضلا عن جامعة القرويين العتيقة.

وتشتهر فاس بصناعاتها اليدوية ذات الماضي العريق، كصناعة النحاس والفسيفساء والخشب المنقوش بالزخارف الهندسية وتطريز الثياب، كما تشتهر بمحافظتها على الموسيقى الأندلسية المغربية.

ويمتاز سكان فاس بالحيوية والنشاط والطموح، في نسائهم نعومة وملاحة وجمال، ولرجالهم ولع بالعلم والأدب وقدرة على تصريف الحديث والتحكم في مجارى الكلام، ولهم مهارة في التجارة والصنائع اليدوية وميل إلى الترف ورقة العيش.

هذا ويستعد المغرب في هذه السنة للشروع في ترميم معالم مدينة فاس القديمة وانقاذ تحفها العمرانية ومآثرها التاريخية وذلك ضمن حملة عالمية تتولى تنظيمها اليونسكو بتعاون مع حكومة المملكة المغربية.

2 ـ عصر التكامل والوحدة

ويبدأ في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) بظهور

دولة المرابطين وينتهي باضمحلال دولة الموحدين في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).

وقد تكونت نواة دولة المرابطين في مدرسة « أجلو » التي أسسها بالقرب من مدينة « أغمات » جنوب المغرب، الفقيه وجاج بن زلو، تلميذ العالم المغربي الشهير أبي عمران الفاسي، وأسند أمر التدريس بها الى تلميذه الداعية الزاهد عبد الله بن ياسين الذي أسس فيما بعد رباطا بمكان عند مصب نهر السنغال حيث توافد عليه الناس وقدمته القبائل لحمل لواء الدعوة والاصلاح تحت القيادة السياسية والعسكرية لأبي زكرياء ابرهيم الكدالي.

وكان ذلك مبدأ تأسيس الدولة المرابطية التي بسطت سلطانها القوي على المغرب والجزائر والسودان إلى نهر النيجر كما امتد نفوذها الى الأندلس حيث أوقفت الزحف النصراني المتحالف، ووحدت أجزاءها وأنهت التفرقة التي كانت ميزة ملوك الطوائف المتخاذلين المتنازعين.

ومفخرة هذه الدولة المرابطية الصنهاجية هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، الورع الصلب الشجاع، فاليه يرجع الفضل في توحيد الغرب الاسلامي، وتخليص الأندلس من تهديد أمراء النصارى، وكانت على وشك الضياع. وابن تاشفين هو بطل معركة « الزلاقة » الشهيرة التي وقعت في الأندلس قرب بطليوس وانهزم فيها تحالف قشتالة ونفارا وأرغون

النصراني سنة 479 هـ وكانت الدولة المرابطية تعترف شكليا واسميا، بالسلطة الدينية لخلفاء بني العباس.

وقد خلف يوسف بن تاشفين ابنه علي، وهو من أم اسبانية كانت على جانب كبير من الجمال، فسار على نهج أبيه في الجهاد والبناء وتدعيم وحدة المملكة الا أنه انشغل، فيما يقال، بالزهد والعبادة، وأسلس القياد للفقهاء المتزمتين فخنقوا حرية الفكر وأوصدوا باب الاجتهاد وفرضوا العمل بفروع الفقه، ووصل بهم الأمر إلى حد الاشارة على أمير المرابطين باحراق كتب حجة الاسلام أبي حامد الغزالي ولا سيما كتابه احياء علوم الدين.

وفي أوائل القرن السادس الهجري ظهرت في المغرب حركة جديدة للاصلاح الديني والسياسي والاجتماعي بزعامة محمد بن تومرت (485 ـ 524 هـ)، وسرعان ما فرضت هذه الحركة نفسها على البلاد وتمخضت عن قيام دولة الموحدين التي أمسكت بزمام الحكم نحوا من مائة وسبع وعشرين سنة كانت من أزهى عصور الغرب الاسلامي من النواحي العسكرية والسياسية والثقافية والعمرانية التي طبعت المغرب بسمته المميزة إلى الآن.

ومحمد بن تومرت، منشىء هذه الدولة، ينتسب إلى هرغة، احدى قبائل المصامدة المستقرة في جبال الأطلس الكبير باقليم سوس، تلقى العلم في المغرب والأندلس ثم رحل إلى الشرق حيث تتلمذ في بغداد

على مشاهير العلماء كأبي بكر الشاشي وعلى بن المبارك بن عبد الجبار. ويقال انه لقي حجة الاسلام أبا حامد الغزالي وتأثر بأفكاره الدينية الاحيائية.

وكان ابن تومرت، على ما يقال، شديد الذكاء، بعيد الطموح، قوي الحجة مع الجراءة والاندفاع فالتف حوله الأنصار، والتلاميذ في قبيلتـه أولا، ثم أخذت دعوته تنتشر حتى عظمت شوكته فأعلن العصيان على المرابطين متهما أميرهم على بن يوسف ورجاله وأشياعه بالسكوت عن البدع والمفاسد، والركون إلى فروع الفقه وترك الأخذ عن الكتاب والسنة، والقول بالتجسيم في العقائد. وكان ابن تومرت، على ما يظهر، سنيا أشعريا مع تأثر ببعض أفكار المعتزلة، ولا سيما في مسألة التوحيد التي بنى عليها دعوته، الا أنه أسرف على نفسه وعلى الناس حينما ادعى أنه المهدي المنتظر المعصوم ووافقه أنصاره في الظاهر على هذا الادعاء ؛ وربما كان من حسن حظ الموحدين أن المهدي هذا قد مات قبل أن تقوم دولتهم على قدميها فذهبت معه دعوى المهدوية والعصمة إلى غير رجعة. وبذلك استقامت الأحوال على أساس الكتاب والسنة مع عناية خاصة بعلم الكلام والعقائد على مذهب الأشعري.

وقد خلف ابن تومرت تلميذه عبد المومن بن علي الكومي الذي لم يكن يمت اليه بصلة قرابة، وانما كان من أشد أنصاره اخلاصا وحماسا، وكان على جانب من الاتزان الفكري والدهاء السياسي والعسكري، فلم

يصب بوسواس المهدوية، وبذلك استطاع، في مدة قصيرة، أن يقيم دعائم دولة الموحدين على أسس متينة، ولم يكن ابنه أبو يعقوب يوسف وحفيده يعقوب المنصور أقل طموحا ونباهةمنه، وبذلك سجل العصر الموحدي أعظم المفاخر وأجل الأعمال في كل ميدان.

فقد واصلت الدولة الموحدية سياسة تدعيم النفوذ الاسلامي في اسبانيا، وتصدت لتحالف ملوك قشتالة وليون وأرغون المعززين بالجيوش الصليبية الوافدة من أقطار أوربا بتشجيع من بابا روما. وألحق الخليفة يعقوب المنصور بفلول الصليبية هزيمة بالغة في معركة الأرك الشهيرة سنة 591 هـ.

وكان للموحدين جيش قوي بديع التنظيم سهروا على تدريبه وتسليحه. كما أنشأوا أسطولا بحريا عظيما فتمكنوا من تطهير سواحل تونس من الغزو النورماندي الصليبي، واستردوا منهم صفاقس وسوسة والمهدية بعد أن ألحقوا الهزيمة بعسكرهم البري، وأسطولهم البحري، وبذلك أقام الموحدون دولة قوية مترامية الأطراف تمتد من تخوم مصر الى ساحل المحيط الأطلسي وتشمل بلاد الأندلس الى نهر تاجة. وكانت مراكش عاصمة هذه المملكة الاسلامية الشاسعة الأطراف ؛ وقد تحكم الموحدون بأسطولهم العظيم في حوض البحر الأبيض المتوسط وبوغاز جبل طارق فأوقفوا تدفق الغزو الصليبي وعرقلوا مروره بحرا الى المشرق الاسلامي، ومن الجدير بالذكر أن السلطان البطل صلاح الدين الأيوبي

قد انتزع بيت المقدس من قبضة الصليبيين سنة 583 هـ أي في عهد يعقوب المنصور الموحدي، بطل معركة الأرك.

وكانت هذه مرحلة التكامل والوحدة التي قطعها المغرب مع المرابطين والموحدين فعرف الفكر والاقتصاد والعمران ازدهارا وتقدما ملحوظين وبذلك تبوأ المغرب مكانه الممتاز في رقعة العالم الاسلامي واكتملت شخصيته.

فالمرابطون هم الذين أقروا المذهب المالكي ورسموا العمل به، فكان ذلك من حسناتهم الباقية. وما تزال أقطار المغرب العربي الى الآن على مذهب امام دار الهجرة باستثناء قلة قليلة من الخوارج الاباضية ما يزالون مبثوثين في جنوب الجزائر وجزيرة جربة بتونس.

ومن أعلام الفقه الذين برزوا في عهد دولة المرابطين في المغرب والأندلس : القاضي أبو الوليد بن رشد الجد، وأبو بكر بن العربي المعافري، وهو من علماك المالكية الذين مالوا الى الاجتهاد. ومن الاعلام الآخرين أبو الفضل عياض اليحصبي السبتي، وأبو الوليد سليمان الباجي.

وفي عصر المرابطين أيضا لمع اسم البكري الجغرافي صاحب معجم ما استعجم، والشريف الادريسي مكتشف منابع النيل وأشهر علماء الجغرافية العرب، وهو كالقاضي عياض من مدينة سبتة المغربية، ألف كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » الذي بقي مرجعا جغرافيا هاما عند الأوربيين مدة قرون من الزمن.

أما الموحدون فانهم اختاروا تشجيع الاجتهاد في الفقه والرجوع الى الكتاب والسنة، وأقروا العقائد على مذهب الأشعري ، وروجوا كتاب « احياء علوم الدين » لحجة الاسلام الغزالي على أن الموحدين أمروا باحراق كتب فروع الفقه كمدونة سحنون، وواضحة ابن حبيب وتهذيب البراذعي غيرة منهم على الكتاب والسنة أو انتقاما لما فعله المرابطون قبلهم، ولكن الموحدين لم يستطيعوا أن يزحزحوا الفقه المالكي عن مكانه في بلاد المغرب بالرغم مما قيل عن تشجيع بعض ملوكهم لمذهب ابن حزم الظاهري.

ومن الأعلام البارزين الذين نبغوا في عصر الدولة الموحدية ، الفيلسوفان الطبيبان : ابن طفيل وابن رشد، والطبيب ابن زهر، والفلكيان الرياضيان الفندلاوي وأبو علي المراكشي، ومن المؤرخين ابع نجم عبد الواحد المراكشي صاحب كتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » الذي ما يزال من أوثق مصادر تاريخ المغرب والأندلس، ولا سيما في عهد الموحدين. ونبغ في علوم اللغة أبو موسى الجزولي المراكشي، وأبو عبد الله اللخمي، ومالك بن المرحل ، وبرز من الأدباء أبو العباس الجراوي وميمون الخطابي المعروف بابن خبازة. وكل هؤلاء طبعوا المغرب بسمته العلمية الأصيلة التي ما تزال آثارها وتأثيراتها باقية الى الآن.

وكان بلاط الخلفاء في مراكش مثابة العلماء والأدباء وأهل الفكر

يأتون اليه من جميع أطراف المملكة فيلقون التشجيع والاكرام ويعقدون مجالس النظر والبحث. ويعطينا عبد الواحد المراكشي أسماء بعض الأعلام الذين استقدمهم علي بن يوسف من الأندلس الى عاصمة ملكه في مراكش ومنهم أبو القاسم بن الجد وابن القبطرنة وابن أبى الخصال ومن الأعيان الذين تواردوا على مراكش في عهد الموحدين ابن طفيل وابن رشد الفيلسوفان الطبيبان.

وفي عصر المرابطين والموحدين عظم العمران ونشطت الصنائع وكثرت المنشآت الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والعسكرية. وشيدت المدن. وازدهرت فنون المعمار، وما تزال آثار ذلك ومعالمه باقية الى اليوم.

فالمرابطون هم الذين وحدوا مدينة فاس فهدموا الأسوار التي كانت تفصل عدوة الأندلس عن عدوة القرويين وأحاطوا المدينة بتحصينات منيعة ووسعوا جامعة القرويين. كما أنهم أسسوا مدينة مراكش سنة 454 هـ وقد اختطها على أبواب الصحراء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فجعل منها قاعدة حربية ومقرا لقيادة جيوشه وبنى فيها مسجدا وقصبة صغيرة ولم تصبح مدينة عامرة الا في عهد ابنه على سنة 526 هـ فهو الذي أحاطها بالأسوار وبنى فيها قصره. وشيد مسجدا آخر وقلعة جديدة حصينة فأخذت المدينة تتسع ، وجاء الموحدون فجعلوا من مراكش عاصمة عظيمة تضاهي أكبر عواصم الاسلام بما شيدوه فيها من

مدارس ومستشفيات وقصور وبساتين ومساجد عظمى ما يزال الكثير منها قائما الى الآن مثل جامع الكتبية بمنارته الشامخة شقيقة لاخيرالدا باشبيلية، وصومعة حسان بمدينة الرباط. وهي جميعا من مآثر الموحدين الخالدة.

وأنشأ الموحدون في مراكش مستشفى عظيما قال عنه المؤرخ عبد الواحد المراكشي : « ما أظن في الدنيا مثله » كما جلبوا المياه الى المدينة ومدوا قنوات الري وغرسوا الأشجار، وأقاموا البساتين الشاسعة الغناء.

ومدينة مراكش هي احدى مدن المغرب الكبرى التي تطبعها الأصالة والجمال وحسن الموقع وطيب الهواء. ويزيد عدد سكانها اليوم عن 400 ألف نسمة.

ولعلني لا أبالغ ان قلت انه لا وجود لمدينة تنتصب فيها المفارقات والمتناقضات كما تنتصب في مراكش، فمن حيث الطبيعة تقوم المدينة في سهل شاسع خصيب غني بالمياه يمكنك من مشاهدة مرتفعات يكسوها الثلج وأنت في باب الصحراء، وترى النخيل والزيتون وأشجار البرتقال والمشمش تتعايش في تناسق بديع. والأحياء القديمة تقوم شاهدة على الأصالة والثراء الفني والأثري وبجوارها العمران الحديث، ومساجدها وقصورها وأسوارها وبساتينها من عجائب الدنيا، ومن

معالمها الفاتنة بستان المسرة الذي تجلله أشجار الزيتون ويجمله صهريج « كبير تترقرق فيه المياه وهو من مآثر دولة الموحدين أيضا.

وفي مراكش كلية ابن يوسف العتيقة التي أسست في القرن الثامن الهجري وكانت وما تزال من مراكز العلم والاشعاع الثقافي في جنوب المغرب، وفيها أيضا جامعة عصرية.

وأهل مراكش ذوو نخوة وشهامة مع ميل الى المرح والبشاشة، ومعظمهم سمر في لون الحنطة، وجمال نسائهم مضرب الأمثال بعيونهن السود وشعورهن الناعمة وقدودهن الممشوقة ، ورجالهم أهل تجارة وصناعة في الغالب وكان منهم عدد من رجال الدولة والسياسة المرموقين. وصناعهم مهرة في نقش الخشب والجبس وتطريز الجلد، وشغفهم بالمأثورات الشعبية كبير ولا سيما بالزجل الذي يسمونه الملحون. وقد أعطت مراكش للمغرب وللعالم عددا من الأعلام الذين برزوا في التاريخ والعلوم الرياضية والفلك والأدب وعلوم الشريعة. وفيها مدفن القاضي عياض وأبي العباس السبتي، وابن العريف.

وقد شيد الموحدون مدنا أخرى أهمها تازة والرباط، وهذه الأخيرة هي عاصمة المملكة المغربية وتقوم عند مصب نهر أبي رقراق الذي يفصلها عن مدينة سلا. ومن مآثر الموحدين الباقية في هذه المدينة قصبة الأوداية ومسجد حسان الذي كان أكبر مسجد في العالم الاسلامي بعد مسجد اصفهان. ولم تبق منه الا صومعته المبتورة وسواريه المتناثرة

في ساحته. وبالقرب من هذه الآثار يقوم ضريح محمد الخامس، باني المغرب الجديد. وهذا الضريح آية في فن المعمار والزخرفة وسلامة الذوق، وهو الشاهد على أن الحاضر موصول بالماضي في بلاد تعتز بأصالتها وهي تتطلع الى المستقبل.

وقد عرفت مدينة الرباط ـ التي يزيد عدد سكانها اليوم عن 400 ألف نسمة ـ تطورات تاريخية وعمرانية هامة، وكانت من المدن التي استقبلت المهاجرين المسلمين النازحين من الأندلس بعد ضياعها وطرد أهلها منها كما استقبلت اعداد ا كبيرة من الموركسيين، ولا سيما أهل بلدة هرناشة الذين استقروا في قصبة الأودا ية وقاموا باعباء الجهاد في البحر ، ولذلك فان القسم الأكبر من سكان مدينة الرباط أصلهم أندلسيون، كما هو الشأن بالنسبة لمدينة تطوان في الشمال التي أعاد بناءها في القرن التاسع الهجري، القائد الفرناطي على المنظري واستوطن فيها هو وبقية المهاجرين الأندلسيين، كما أن أعدادا أخرى من هؤلاء توجهوا الى فاس عاصمة المغرب، اذ ذاك، واستوطنوها وفي طليعتهم أبو عبد الله بن الأحمر آخر ملوك بني نصر في غرناطة الاسلامية.

وهكذا أصبح المغرب وريث حضارة الأندلس بعد أن ساهم في خلقها ونموها مساهمة لم تنقطع منذ فتحها بقيادة طارق بن زياد في القرن الأول من الهجرة.

لقد استعرضنا باختصار أهم مراحل انتشار الاسلام في بلاد المغرب واستقراره نهائيا في ربوعها، ورأينا كيف أصبحت هذه البلاد في مدة أربعة قرون عضوا عاملا نشيطا في جسم الأمة الاسلامية وحصنا منيعا من حصونها. ورأينا كيف أن الاسلام بلغ ذروة العز والمناعة على يد أسرتين مغربيتين صميمتين هما : أسرة المرابطين وأسرة الموحدين. فقد رفع ملوكهم من شأن الاسلام، بقدر ما استطاعوا، وأرهبوا أعداءه المتربصين به وكسروا شوكتهم. وقد لخص المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال عظمة المرابطين والموحدين تلخيصا بليغا حينما قال :

« ففي ماضي أقطار المغرب الكبير يؤلف المغرب الأقصى مجموعة قائمة بذاتها منذ أقدم عصور تاريخه.

« وكان يهيمن على هذا التاريخ في العصور الوسطى موجتان عارمتان من الفاتحين ومؤسسي الدول هما : موجة المرابطين وموجة الموحدين، وقد كان لهذين اللفظين مكان يذكر في اللغات الأوربية منذ زمن بعيد، ولا سبيل الآن الى محوهما ونسيانهما، فهما أقوى الأدلة على ما أصاب أمراء النصارى وملوكهم من دهشة ازاء قوة شكيمة أولئك الأمازيغ الذين ما فتئوا يلحقون الهزائم النكراء بملوك النصارى على أرض أوربا ذاتها... ان اسم المرابطين والموحدين يدوى وكأنه من أسماء الرعب، في مصنفات التاريخ اللاتينية التي تروي أخبار الاسترداد» (3)

---

3) الإسلام في المغرب والأندلس، ليفي بروفنصال، ترجمة د السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، ص 240 ـ وزارة التربية والتعليم (مصر).

وخلاصة القول أن المغرب انتقل، بعد المرابطين والموحدين، من مرحلة التكامل والوحدة الى مرحلة المحافظة على الوجود، ذلك أن الهزيمة التي لحقت بجيش محمد الناصر، ابن يعقوب المنصور الموحدي، في معكرة (العقـاب) سنة 609 هـ . على يد التحالف النصراني، كانت بداية تضعضع أركان هذه الدولة المظيمة، فتعاقب على حكم المغرب من بعدها أربع أسر حاكمة، هي : بنو مرين، وبنو وطاس، والسعديون، ثم الأشراف العلويون. وتشترك هذه الدول كلها في ميزة جوهرية تتجلى في المحافظة على الكيان الاسلامي العربي لدولة المغرب، عن طريق رعاية الحركة الفكرية ومؤسسات العلم والثقافة من جهة، والعمل على صد تيار الغزو الصليبي الزاحف من جهة أخرى وسيكون ذلك موضوع القسم الثاني من هذا البحث.

الرباط **محمد العربي الخطابي**

المؤسسات الدينية بالمغرب
في القرنين السادس عشر والسابع عشر (•)

د. محمد حجي

مدخل تاريخي

يعني القرنان السادس عشر والسابع عشر في اصطلاح تاريخ المغرب الاقصى دولة السعديين، ولو أن نفوذهم في العقود الأولى من القرن السادس عشر كان مقتصرا على الجنوب، وذهب ريحهم قبل نهاية القرن السابع عشر بثلاثين سنة.

وقد سبق الوطاسيون السعديين الى الحكم دون أن يتمكنوا من انتشال السلطة المركزية من الهوة السحيقة التي تردت فيها مع أواخر المرينيين. ولم يكن للوطاسيين في الواقع مؤهلات تبرر طموحاتهم، اذ ليسوا سوى ذيل للدولة المرينية المنهارة شاركوها في الحكم كوزراء، ثم

(×) بحث قدم لمؤتمر المستشرقين الألمان الحادي والعشرين المنعقد في برلين من 24 الى 29 مارس 1980.

أرادوا أن يخلفوها على عرش فاس بنفس الأشخاص والوسائل، وفي بيئة ناقمة متفككة. فكانت النتيجة الطبيعية أن ازداد تفاقم الأوضاع في الداخل، وشقت قبائل كثيرة عصا الطاعة، واستبد الرؤساء المحليون بأمر مدنهم أو قبائلهم، وانتشرت المجاعة بسبب اهمال الزراعة واختلال الأمن وضعف الرواج بين الشمال والجنوب، واتسعت بالتالي رقعة الاحتلال الأجنبي حتى كادت تشمل كل السواحل المغربية على البحر المتوسط والمحيط الأطلنطيقي، فكان لا بد من وقوع أحد أمور ثلاثة ، إما أن يتغلب المسيحيون فيتوغلوا في الداخل وتكون الكارثة العظمى، واما أن يخترق الأتراك العثمانيون المتربصون الحدود الشرقية ويحققوا أطماعهم في الوصول الى المحيط، وهذه أيضا كارثة ولو أنها أخف من سابقتها، واما أن تقوم حركة وطنية داخلية قوية تصحح الأوضاع وتقاوم الأطماع، وهذا ما حدث لحسن الحظ مع الشرفاء السعديين الذين لم تكن لهم عصبية تذكر في مقرهم بمشارف الصحراء من بلاد درعة، وانما اختارهم الشعب باشارة من رجال الدين المتصوفين، فاعصوصبت قبائل سوس على محمد بن عبد الرحمان الزيداني الحسني الذي لقب بعد البيعة بالقائم بأمر الله، وتزعم هو وأولاده حركة الجهاد وطهروا معظم الشواطيء من الاحتلال المسيحي، وأوقفوا الأتراك عند حدهم، وبذلك استعاد المغرب وحدته وسيادته، وعرف عهدا من الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والنشاط الاجتماعي والثقافي. هذا هو الاطار السعدي الذي سنحاول في

نطاقه أن نقدم ملامح عن طبيمة المؤسسات الدينية وبعض خصائصها في حواضر المغرب الأقصى وبواديه.

المؤسسات الدينية :

المؤسسات الدينية التي سنتحدث عنها ثلاث : مساجد، وزوايا، ومدارس.

فالمساجد، كما هو الشأن في كل بلاد الاسلام، قديمة وجدت يوم دخل الاسلام هذه البلاد، ومازال حتى اليوم معروفا مسجد ماسة على ساحل سوس الذي عرف بأنه من تأسيس الفاتح العربي عقبة بن نافع الفهري عام 62هـ، ومسجد شاكر على ضفاف وادي نفيس بحوز مراكش، المنسوب لشاكر الصحابي أو التابعي من الداخلين الى المغرب في جيش عقبة بن نافع.

والزوايا مساجد خاصة بطائفة من المسلمين يجتمعون فيها للصلاة وقراءة الاوراد الصوفية. وكان هذا النوع من المساجد الخاصة يدعى في القرون الاولى للاسلام ربطا ورباطات، يجتمع فيها المجاهدون بدل المتصوفين، وعرفت الربط والرباطات على طول الساحل المغربي في سلسلة متلاحقة من سواحل السوس الأقصى على المحيط الاطلنطيقي الى ما وراء المزمة على البحر المتوسط، ويمتد وراء ذلك الى الاسكندرية بمصر، ثم غلب اسم الزاوية وتكاثر عدد الزوايا بالمغرب بانشار التصوف فيه ابتداء من القرن الهجرى السادس / 12 م.

أما المدارس فتعتبر كذلك مؤسسات دينية، لأنها تحتوى ضرورة على قاعة للصلاة، وتستقبل شبانا يطلبون العلم الذي هو فريضة على كل مسلم ومسلمة، وضرب من ضروب العبادات والطاعات لقول الرسول الكريم : «ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يطلب». والمدارس حديثة العهد نسبيا في المغرب، لم تظهر ظهروا محدودا الا مع «مدرسة الصابرين» في فاس أيام المرابطين، ولم تنتشر وتزدهر الا مع المرينيين لا سيما السلطانين أبي الحسن وولده أبي عنان اللذين غطت مدارسهما معظم المدن في الشمال والجنوب.

هذه المؤسسات الدينية من مساجد وزوايا ومدارس عرفت فترة عصيبة في تاريخها مع الوطاسيين المشار إليهم سابقا، حيث نقصت مداخيل الأوقاف بسبب الفتن وما تبعها من تخريب ونقص في الانتاج، ثم بسبب امتداد أيدى الحكام الوطاسيين الى أموال الأوقاف يسددون بها عجز بيت المال.

وقد بين الحسن الوزاني المعروف عند الأوروبين Jean-Léon l'Africain في كتابه **وصف افريقيا** الحالة المزرية التي كانت عليها المؤسسات الدينية بالمغرب في مطلع القرن الهجرى العاشر / 16 م، فذكر أن مسجد الكتبيين بمراكش الذى قال عنه انه من أجمل مساجد العالم، مهمل لا تقام فيه غير صلاة الجمعة، ويصعب الوصول إليه بسبب أنقاض الخرائب المتراكمة في طريقه، وأن المائة دكان لبيع الكتب المجاورة للمسجد

تهدمت ولم يبق لها أثر. وقال عن جامع القرويين ان الدراسة فيه ضعفت، وقل عدد الأساتذة والطلبة، وأن الحالة الثقافية، نتيجة لذلك، تدهورت في فاس وفي سائر مدن افريقيا.

ثم تغيرت أحوال المؤسسات الدينية في جملة ما تغير من مظاهر الحياة بالمغرب مع قيام دولة السعديين. وربما كان إنهاض المؤسسات الدينية وتقويمها أقوى وأبرز من سائر التغييرات التى حدثت في هذا العصر، وذلك لأسباب منها :

- أن الأسرة الحاكمة الجديدة أسرة دينية أصيلة، لم يحملها الى منصة الحكم الا نسبها الشريف، واجماع شيوخ التصوف على ترشيحها لتبوئ الملك.

- انتشار الحماس الديني الممتزج بالفكرة القومية لدى الطبقات الشعبية في حركة الجهاد التى طبعت هذا العصر بصفة عامة، سواء في عمليات تحرير سواحل سوس وبلاد عبدة ودكالة أو في مطاردة المحتل بثغور الشمال، أو في معركة وادي المخازن الكبرى التي كانت الحد الفاصل لأطماع المسيحيين في المغرب.

هذا التغيير الطارئ على المؤسسات الدينية في عهد السعديين لم يبدل في الواقع من مهماتها الوظيفية شيئا، لا سيما المساجد التي ظلت أساسا بيوتا لاقامة الصلاة وعقد حلق الدروس الدينية، ولكنه جدد هذه

المؤسسات وطبع بعضها أعني الزوايا والمدارس، بطابع خاص ظل يميزها طوال حقب متوالية.

× × × ×

المساجد :

اكتست المساجد حلة التجديد والتوسع في العصر السعدي، وتناولت يد الاصلاح المساجد القديمة المهملة أو المتلاشية كمسجد الكتبين في مراكش الذي استعاد نضارته القديمة وأصبح عامرًا بالمصلين والمتعلمين، وتغير مظهر جامع القرويين بما أدخل عليه من تجديد وأنشيء فيه من مرافق، كزاوية الحزابين في الركن الجنوبي الغربي من المسجد على ساباط نهج السبيطريين، والخزانة أو المكتبة العلمية الكبرى في جهة القبلة التي فاقت الخزانة المرينية القديمة القائمة في الركن الشرقي الجنوبي للمسجد، والخصتين الشرقية والغربية وقبتيهما العجيبتين في الصحن مع ما فيهما من زخارف ونقوش على الخشب والجبس والزليج والرخام المنحوت المجزع اللامع، وما تزال هذه الإحداثات الفنية آية الآيات في القرويين حتى اليوم، كما لا تزال المكتبة السعدية الغنية مهبط الزوار والباحثين من جميع أنحاء الدنيا.

وأنشأ السعديون في عاصمة مراكش ثلاثة جوامع كبرى أو قفوا عليها أوقافا غنية جدا، هي جامع الأشراف بحي المواسين من تأسيس عبد

الله الغالب، وجامع الحرة بباب دكالة من تأسيس مسعودة الوزكيتية أم المنصور، وجامع ضريح أبي العباس السبتي من تأسيس الواثق.

كما أنشئت مساجد كثيرة في المدن والقرى المستحدثة في هذا العصر، وجددت مساجد أخرى في المدن والقرى القديمة. ففي مدينة المحمدية التي بناها محمد المهدي الشيخ على أنقاض ترودنت القديمة بسوس لتكون العاصمة الأولى للسعديين أنشأ ثلاثة جوامع كبرى : الجامع الأعظم على غرار جامع القرويين بلاطات وصحنا وزخرفا، وجامع القصبة السلطانية، وجامعا ثالثا في مكان الجامع العتيق.

وأنشأت الجاليات الأندلسية المهاجرة الى المغرب مساجد فيما أحيت من مدن كتطوان والرباط والقصبة، مثل المسجد الجامع في تطوان المعروف بجامع القصبة، والجامع الكبير بالرباط، وجددت الجامع الموحدي العتيق الواقع في قمة قصبة الأوداية.

وبلغت سوس مالم يبلغه اقليم آخر في تشييد المساجد بالبادية، وهي مساجد تختلف في حجمها وتتفق في متانة جدرانها الحجرية، وبناء المرافق الضرورية لراحة المصلين ووضوئهم. ونجد في مساجد بادية سوس لهذا العهد ظاهرة خاصة تتجلى في قيام مساجد مزخرفة على طريقة الحواضر كجامع تيلكات بجبل آيت حامد على ضفاف أحد روافد نهر ماسة، الذي ما تزال بلا طاته الشرقية ومحرابه المزخرف قائما حتى اليوم.

الزوايا :

تكاثر عدد الزوايا في بداية هذه الفترة بتكاثر عدد شيوخ الصوفية الشاذلية وخاصة الجزولية الذين كانوا يعتبرون الأنصار الطبيعين للدولة الناشئة. ولما رسخت قدم السعديين أصبحوا يتضايقون من هذه التكتلات الدينية ـ السياسية، وعملوا على تحويل الزوايا الى مراكز عملية صرفوا اليها جبايات الأقاليم المجاورة للانفاق على الأساتذة والطلبة. وسيظل الطابع العلمي أحد مميزات الزوايا المغربية، ولو أن هذه الزوايا عاودها الحنين الى الخوض في السياسة بعد أن مال كوكب السعديين الى الأفول.

وهناك خصائص أخرى تتميز بها زوايا هذا العصر، ترجع في مجملها الى نوعية العلاقات القائمة بين شيوخ الزوايا ومريديهم من جهة، وبينهم وبين السلطة المركزية من جهة أخرى. نذكر منها :

أ ـ أن الزاوية في البادية لم تعد في العصر السعدي تعني مجرد بناية للصلاة والذكر والتعليم، وانما أصبحت تعنى في الغالب تجمعا سكنيا ينمو حول الزاوية ويتسع قليلا أو كثيرا ليصبح مدينة أو قرية. واذا كان بعض هذه الزوايا ـ المدن قد اندثر لأسباب سياسية أو غيرها، كزاويتي الدلاء القديمة والحديثة، أي المدينتين الدلائيتين في الجبل والسهل، فان زوايا سعدية أخرى ما زالت عبارة عن قرى عامرة حتى اليوم، مثل زاوية تمكروت الناصرية بدرعة، والزاوية العياشية أو

الحمزاوية بالأطلس الكبير، وزاوية سيدي رحال بضاحية مراكش، وزاوية زرهون بناحية مكناس.

ب ـ ظهور ثلاث زوايا كبرى تميزت عن سائر زوايا هذا العصر بما كان لشيوخها من رسوخ قدم وعلو كعب في العلم والتصوف معا. وقامت هذه الزوايا الثلاث بأدوار مهمة في نشر العلم، والحدب على المعلمين والمتعلمين في ظروف عصيبة لم تستطع السلطة المركزية أن تقوم بعمل يذكر في هذا الشأن. ومن غريب الاتفاق أن مواقع هذه الزوايا موزعة جغرافيا وكأنه خطط لها لتكون احداها في الجنوب، والأخرى في الوسط، والثالثة في الشمال حتى تغطي البلاد كلها. وتناقلت الألسنة وكتب التاريخ والتراجم القولة المشهورة : «لولا ثلاثة من الشيوخ لضاع العلم في المغرب : سيدي محمد ابن ناصر في درعة، وسيدي محمد بن أبي بكر في الدلاء، وسيدي عبد القادر الفاسي في فاس».

ونشير هنا الى أن الزوايا الحضرية في المغرب السعدي لم تكن تقل أهمية وسعة وكثرة أتباع عن الزوايا البدوية. فالأسرة الفاسية وحدها لها ثلاث زوايا كبرى في هذا العصر، زاويتان بمدينة فاس، أولاهما زاوية الشيخ أبي المحاسن الفاسي الشهير بحي المخفية، والثانية زاوية حي القلقليين التي أسسها الشيخ عبد الرحمان الفاسي العارف، وآلت بعد وفاته الى ابن أخيه الشيخ عبد القادر الفاسي المذكور آنفا. والثالثة زاوية

حي الفيون بمدينة تطوان التي اشتهر بالتدريس فيها عالم صالح آخر من هذه الأسرة هو محمد العربي الفاسي.

ونشير كذلك الى أن العلاقات كانت وطيدة بين مختلف الزوايا في الحواضر والبوادي بسبب اتحاد المنبع الصوفي، وان اختلفت الطرق والاسانيد الموصلة الى أبي الحسن الشاذلي وشيخه عبد السلام بن مشيش العلمي. وربما كانت هذه الوحدة أيضا من خصائص التصوف المغربي.

ج - تحول عدد من الزوايا في العقود الأخيرة من العهد السعدي الى امارات بشمال البلاد وجنوبها، كان لها كل مظاهر السلطة الزمنية من تجهيزات سياسية وعسكرية قادها شيوخ لقب بعضهم بالسلطـــــان وبعضهم بأمير المومنين، وأخذت لهم البيعة، وخطب بهم في المساجد، وضربت السكة باسمهم، حتى سمى بعض المؤرخين المعاصرين الفترة الأخيرة من دولة السعديين بفترة أمراء الزوايا.

× × ×

المدارس :

كانت المدارس قبل مجيء السعديين مركزة أساسا في المدن وأصابها من إهمال الوطاسيين ما أصاب المساجد فركدت أو تعطلت وخربت. وانصب اهتمام الدولة الناشئة منذ البداية على إحياء المدارس القديمة، فكان أروع ما أنجزوه من ذلك في الجنوب إعادة بناء مدرسة بن يوسف العظيمة بمراكش، شيدها عبد الله الغالب على أنقاض مدرسة

قديمة، وبالغ في تحسينها وتنميقها وزخرفتها حتى ظن الناس، من كثرة ما أنفق عليها من أموال، أنه يشتغل بالسيميا ويقلب المعادن العادية الى ذهب، كما أثار ذلك بعض المؤرخين من خصوم السعديين فاتهموا الغالب بالتزوير والتعفية على اسم المؤسس الحقيقي ووضع اسمه هو مكانه. ومهما يكن من أمر فان مدرسة ابن يوسف الغالبية من أحسن الآثار المعمارية السعدية الباقية سواء من حيث سعة فنائها وقبة الصلاة والدراسة فيها، وكثرة الغرف المعدة لسكنى الطلبة، والزخرفة المغربية الأندلسية الرائقة على الخشب والجبس ، والألوان الزاهية المتناسقة في الفسيفساء.

وتأخر انتعاش مدارس الشمال، خاصة مدارس فاس ومكناس، إلى النصف الثاني من القرن السادس عشر بسبب تأخر انتشار نفوذ السعديين على المناطق الواقعة شمال نهر أم الربيع، فلم تستمد رونقها وحيويتها إلا على يد أحمد المنصور وأبنائه.

وتأتي ظاهرة تفوق البادية في المدارس على الحاضرة أقوى منها في المساجد والزوايا. وليس من المبالغة أن نقول إن المدارس القروية المنشأة أو المجددة في عهد السعديين تعد بالمآت وتغطي المغرب كله من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. ولإعطاء فكرة تقريبية عن هذه الظاهرة الغريبة نذكر أن محمد المختار السوسي ألف كتابا استقرأ فيه مدارس إقليم سوس وحده فأنافت على ثلاثمائة، واختار من هذا العدد 50

مدرسة «لامعة» على حد تعبيره، في كتابه «سوس العالمة» معظمها من العصر السعدي. وتأكدت لي هذه الحقيقة التاريخية أثناء دراستي للحركة الفكرية بالمغرب، حيث بلغ عدد المراكز الثقافية الحضرية التي درستها عشرة، بينما زاد عدد المراكز القروية على خمسين.

ولهذه الظاهرة أسباب، نذكر منها ؛

- تقلص الحياة الحضرية بصفة عامة على عهد السعديين، بسبب الحواضر العلمية الخاضعة للاحتلال المسيحي في الشمال كسبته وطنجة، والحواضر المخربة على طول الساحل الاطلنطيقي بسبب الاغارات البرتغالية أو معارك التحرير، مثل آنفا في موقع الدار البيضاء الحالية، وآزمور وآسفي، والمدينة الغربية.

- اقبال زوايا البادية، بعد أن اصطبغت بصبغة علمية كما رأينا، على تشييد مدارس لايواء الطلبة الواردين عليها ، وأحيانا تتعدد المدارس في الزاوية الواحدة.

- سياسة السعديين الهادفة الى خلق مدارس خارج الزوايا لتنافسها وتقلل من تضخم عدد الطلبة فيها، اذ لم يكن السعديون يحذرون من قوة داخلية حذرهم من شيوخ التصوف.

- اعتماد السعديين بالدرجة الاولى على المتخرجين من مدارس البادية، وبخاصة مدارس الجنوب، سواء في المهام الدينية والسياسية، أو في حكم الاقاليم وجباية الخراج وقيادة الجيوش.

الإنفاق على المؤسسات الدينية :

الإنفاق على المؤسسات الدينية، مثل تأسيسها، عمل شعبي بالدرجة الاولى، تساهم فيه السلطة بحسب درجة ايمان الحاكم وحال بيت المال. إلا أن هناك اختلافا بينا بين الانفاق في المدن والبوادى، سنشير الى بعض مظاهره البارزة في العصر السعدى :

- يعتمد تسيير المؤسسات الدينية في المدن على دخل الأوقاف فيؤجر منه الائمة والمؤذنون والسدنة والمدرسون والطلبة، وتؤخذ منه لوازم الانارة والصيانة. ويشرف على مال الأوقاف ومتمولها ناظر يعين بظهير، ويتصرف تحت نظر القاضي ومراقبته. والى جانب الناظر العام في المدينة، هناك نظار خاصون ببعض المساجد الكبرى أو الزوايا. وكان امام جامع القرويين مثلا هو الناظر على أوقاف هذا الجامع، وهي كثيرة جدا في داخل فاس وخارجها، فكان يعمل معه عشرات الأشخاص بأجور معلومة، يساعدونه على قبض الأكرية وصيانة العقارات الحبسية وتعهد المزارع والبساتين خارج المدينة.

وقد جدت أوقاف كثيرة أيام السعديين، سواء من طرف رجال الدولة أو عامة الشعب، لاسيما المؤسسات الدينية الجديدة التي كانت تحبس عليها عقارات كافيةلضمان حسن سيرها.وتسجل أملاك الأوقاف في سجلات رسمية تدعى «الحوالات» يوثقها العدول ويصادق عليها القضاة. والحوالات الحبسية في العصر السعدى عديدة ما يزال معظمها محفوظا

بمكتبات المساجد والزوايا والمدارس. وقد صور بعضها على الميكرو فيلم في السنين الأخيرة ووضع في قسم الوثائق من الخزانة العامة بالرباط.

وكنموذج للأوقاف في الفترة التي نتحدث عنها، نشير الى وثيقة مؤرخة في أواسط المحرم عام 995 هـ / أوائل ديسمبر 1586، أورد نصها الكامل أحمد بن القاضي المكناسي في كتابه **المنتقي المقصور**، تتعلق بالعقارات التي أوقفتها عودة الوزكيتية أم أحمد المنصور على المسجد الجامع الذي أسسته بباب دكالة من حاضره مراكش، وهو المعروف بجامع الحرة. جاء في وسط هذه الوثيقة أن هذه المحسنة أوقفت على الجامع المذكور: «... جميع السبعين حانوتا غير نصف حانوت الواجبة لها في نصفها من القيسارية المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سوق الحضرة المراكشية، دون البقعة المتصلة بقبلتها، وجميع بيت الأرحى الجديدة المخترعة لها على وادى تسلطانت... المشتمل على أربع مدارات مع جميع داره المبنية له، وجميع العين الكبرى التي تملكتها من ورثة أحمد بن ربوح الكائنة بالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع أرضها وجنانها ومائها...».

× × × ×

واذا انتقلنا الى البادية وجدنا الأمر يختلف تماما عن الحاضرة بحيث لا تكاد تعرف فيها الأوقاف، وإنما يتكفل رجال القبائل بالانفاق على المؤسسات الدينية الموجودة بين أظهرهم، ويتعهدونها بأنفسهم.

فجامع القرية هو في نفس الوقت كتاب يتعلم فيه الأطفال القراءة والكتابة ويحفظون سور القرآن الكريم على يد «طالب» هو في نفس الوقت امام ذلك الجامع ومؤذنه. ويقدم أهل القرية لهذا الطالب «شرطا» هو عبارة عن كل ما يلزمه من قوت وكسوة ومال.

أما الزاوية فيقوم المريدون بتسديد حاجياتها وما يلزم لمعيشة الشيخ وأتباعه وزواره، وقد يمتد عمل المريدين الى خدمة أملاك الزاوية ان كان لها أملاك، فيحرثون أراضيها ويزرعون ويحصدون، ويرعون الماشية. واذا كانت زوايا البادية تتفق كلها في أن أبوابها مفتوحة باستمرار في وجه المريدين والطلبة وأبناء السبل، وفي أن الاطعام فيها يكاد لا ينقطع ليلا ولا نهارا، فإن قراها للضيوف يختلف بحسب الغنى والفقر للمناطق التي توجد فيها.

وتحظى مدارس البادية خاصة في سوس برعاية فائقة من رجال القبائل، فهم الذين يقدمون لها ما يكفي لمؤونة الأساتذة والطلبة في شكل «شرط» محدد عرفا، ياتون عادة بثلث أعشارهم الى المدرسة، ويدفعون لها زيادة على ذلك سنويا عن كل كانون صاعا من حبوب (نحو 7 كلغ) واناء معلوما من سمن أو زيت الهرجان (نحو ليتر وربع). واذا علمنا أن الكوانين المشارطة لكل مدرسة تعد بالمآت، أدركنا أهمية مواد العيش المتوفرة لهذه المؤسسات. ثم للاستاذ مطلق التصرف في كل

ما يحمل الى المدرسة، بيده مفاتيح المخازن، يعول نفسه وطلبته ثم لا يراقب عمله.

هذا بالاضافة الى ما كانت الدوّلة تقدمه من مساعدات مادية لبعض مدارس البادية، تتمثل أحيانا في اسقاط الكلف المخزنية، أي الضرائب، عن القبيلة التي تتكفل بالانفاق على المدرسة، وأحيانا أخرى بصرف الأعشار المخزنية المفروضة على قبيلة لا مدرسة لها، وحملها الى مدرسة مجاورة.

× ×

تلك أهم التطورات التي عرفتها المؤسسات الدينية بالمغرب الأقصى خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر، والادوار الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية التي قامت بها، فاكتسبت طابعا جديدا لم يزايلها حتى الآن.

الرباط د. محمد حجي

المراجـــع :

1) ابن الزيات يوسف، **التشوف الى رجال التصوف**، الرباط 1958.

2) ابن عسكر، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، دار المغرب بالرباط، 1976.

3) ابن القاضي، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، مخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط.

4) بوجندار محمد **مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح**، مطبعة الجريدة الرسمية بالرباط، 1345 هـ.

5) حجي محمد، **الزاوية الدلائية**، الرباط، 1963.

6) حجي محمد، **الحركة الفكر بالمغرب في عهد السعديين** جزآن - مطبعة فضالة، 1977.

7) داود محمد، **تاريخ تطوان**، الجزء الأول، مطبعة كريماديس بتطوان 1959.

8) مؤلف مجهول، **تاريخ الدولة السعدية التكمادرتية**، الرباط، 1934.

9) الفاسي محمد العربي، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، طبعة حجرية بفاس، 1906.

10) الفاسي محمد المهدى، **ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الأتباع**، المطبعة الحجرية بفاس، 1313 هـ.

11) السوسي، محمد المختار، **سوس العالمة**، مطبعة فضالة، 1960.

1) – Georges DRAGNE, ***Esquisse d'histoire religieuse du Maroc,*** Paris, 1951

2) – Jacques BERQUE, ***Al Youssi,*** Paris 1958

3) – Jean-Léon l'Africain, ***Description de l'Afrique,*** T. 1 Paris, 1956.

د. م. ح

حقوق الطفل في الإسلام (*)

محمد الكتاني

أظن أن من بين ما يمكن أن يكون موضوع حديث للناس في السنة الدولية للطفل أن تراجع حصيلة ما أسهمت به بعض المجتمعات الانسانية في سبيل صيانة ورعاية الطفولة باعتبارها غرس اليوم وثمرة الغد، وأمل الانسانية المتجدد في مستقبل أفضل.

وان المجتمعات الاسلامية ليحق لها أن تفخر بما قدمه الأسلاف من أنواع هذه الصيانة والرعاية والخدمات، التي أصبحت، لرسوخها على أرضية ثابتة من العقيدة والتشريع، أحد التقاليد الأكثر اشراقا في تاريخ الحضارة الاسلامية.

(*) نص المحاضرة التي ألقيت في الندوة العالمية التي نظمها الاتحاد الدولي لرعاية الطفولة من 79/3/19 الى 1979/3/22 بمدينة طنجة.

إننا نتساءل في البداية ، هل من الميسور تقديم فكرة عن مكانة الطفل في التشريع الاسلامي وعن الوضع الاجتماعي له في حظيرة التصور العام للاسلام عن الحياة الاجتماعية، خاصة وأننا نعلم أن الاسلام قد عني بانشاء مجتمع انساني متوازن محفوظ الكرامة، مكفول الحقوق الأساسية؟

أظن أنه من الميسور ذلك، شريطة أن نتعمق معنى الاسلام ونصوصه العامة وأهدافه الاجتماعية، وأن نتجاوز تلك الدائرة الضيقة للنص، الى أجوائه العامة ومقتضياته التشريعية. كما أظن أنه من الميسور ذلك إذا اعتبرنا أن الحضارة الاسلامية نفسها بثقافتها وآراء مفكريها، وهياكلها الاجتماعية، ومؤسساتها التربوية تعكس روح هذا الدين إجمالا وتفصيلا. على أنه لا ينبغي أن ننظر الى محاولة كهذه تحدد مركز الطفل في الاسلام وكأنها محاولة التفات الى الوراء، في عصر يركز أبصارنا في الآتي، ويشدنا الى المستقبل المعقد بحتميات أرقامه الاحصائية المهولة. في الوقت الذي أحب أن يفهم من هذه المحاولة كونها نوعا من الاعتراف بما كان لحضارتنا الاسلامية وروح الشريعة الاسلاميتين من إنجازات عظيمة لصالح الطفولة ومستقبل الانسانية، وهو اعتراف ينطوي ضمنيا على ما للإسلام من قدرة على الاستمرار والتطور، بل وبماله من نظرة شمولية ملهمة تسعى لاحلال التوازن والعدالة الاجتماعية محل التفاوت والظلم الاجتماعيين، تكريما للانسان من حيث

هو انسان من غير نظر اليه في حدود لونه وجنسه وعقيدته أحيانا. وليس أدل على ذلك من أن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (ض) كان قد فرض لكل مولود يولد للمسلم مائة درهم. فاذا ترعرع بلغ به مائتين، فاذا بلغ زاده. وكان يفرض للقيط مائة، ولوليه كل شهر رزقا بعينه، ويجعل رضاعه ونفقته من بيت المال. وكذلك قرر لعجزة اليهود والنصارى فريضة أو مساعدة من بيت مال المسلمين باعتبارهم أعضاء عاجزين عن الكسب إما بسبب الشيخوخة، واما بسبب العاهة.

وأريد أن أوضح هنا ما أعنيه بالاسلام. لنتجاوز ذلك التقليد القديم الذي يفصل العقيدة والشريعة عن انجازاتها الحضارية. والشأن هنا كالشأن في الحديث عن ثقافة، ما خارج اطارها الحضاري، لا تظهر منها الا المعاني المجردة. فقيمة الاسلام الحقيقية كما قال أحد كبار شعراء الاسلام وفلاسفته في العصر الحديث ـ وهو محمد اقبال ـ انما تظهر في المناخ الثقافي والحضاري الذي أوجده الاسلام عبر عصور خلت، أتاحت للانسانية أن تعمق كشوفها ومكاسبها في حقول العلم والتربية والتنمية الاجتماعية والاشعاع الحضاري.

وسنجد ذلك واضحا عندما نتناول جهود هذه الحضارة الاسلامية في خدمة الانسان ولا سيما اسعاد الطفل، وضمان رعايته وتربيته. وقد يصعب أن نجد نصوصا دينية تحدد على نحو ما تحدده الأنظمة الحديثة حقوق الطفل. لأن أي نظام ديني لا يمكن أن ينطلق من هذا التفصيل

غير المتناهى لكل ما يفكر فيه المجتمع الانساني بكل قضاياه وتنظيماته في العاجل والآجل. وكل ما ينطوي عليه الإسلام هو مجموعة من المبادئ العامة والمنهج الفكرى الذي ينبثق من تلك المبادئ والأسس التي يجب أن يرتكز عليها التصور الشامل للنظام الانساني، ثم يدع للفكر مهمة إنشاء ما يشاء من البناء، على تلك الأسس.

وهذا ما حدث في تاريخ الاسلام، حين وكل للعقل مهمة الممارسة والبناء والتنظيم في ضوء أسس ومبادئ عامة.

ويمكن أن ننطلق في توضيح (رعاية الطفل في الاسلام) على أساس الاطروحة التالية :

لكى يتحقق نصيب ما من رعاية الطفل ككائن انساني يتهيأ للمستقبل ليغدو انسانا حرا مسؤولا مستوفيا شروط التأهيل الاجتماعي لا بد من وجود قاعدة أساسية لوجود مجتمع يؤمن بالحرية والمسؤولية، وبحقوق الأفراد في عيش كريم. ولا بد من تحديد الشروط التي لا بد من أن تتوافر لاستقبال الطفل في وسط يدعى الأسرة.

ولا بد من تشريع يضمن الحد الأدنى من خدمات الطفل ورعايته وتربيته في ظل هذه الأسرة. وسننظر في الموضوع على هذا الأساس.

(2)

هناك من حيث التصور الذي يقدمه الاسلام عن الانسان خمسة مبادئ فيما نعتقد تحدد الوضع الانساني كله.

أولها أن الانسان من أشرف الكائنات التي خلقها الله في هذا العالم، فقد كرمه بالعقل، وسخر له كثيرا من ظواهر الطبيعة، ولذلك تنص الآ ية القرآنية على هذا التكريم : «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا». (الاسراء ـ 70).

وثانيهما مبدأ تحديد مسؤولية الانسان في تحمل تبعات سلوكه. ومواجهة الاختيارات التي يشكل بها حياته. وهي مسؤولية تنطوى بداهة على حظ كبير من الحرية، وهذه المسؤولية محددة واضحة، فلا هو يتحمل إرثا من خطيئة سابقة عن وجوده، ولا هو يتحمل مسؤوليته وهو طفل غير قادر ولا مؤهل للمسؤولية. ولا هو مسؤول عما يتجاوز طاقته وجهده. وهذا ما تحدده الآ يات القرآنية التالية :

ـ ولا تزر وازرة وزر أخرى، وإن تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء، ولو كان ذا قربى. (فاطر ـ 18).

ـ وأن ليس للانسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى. (النجم ـ 40).

ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (البقرة 286).

وثالثها اعتبار النظرة الانسانية مبرأة من كل أصل ميتافيزيقي للخير أو للشر، اذ ليس في الاسلام شر ميتافيزيقي، متأصل في الطبع

البشري (فكل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (حديث نبوى).

ورا بعها اعتبار الناس سواسية، في كل الحقوق الطبيعية، والالتزامات الاخلاقية والمسؤولية العامة، وتجاه خالقهم. فلا يفضل أحد أحدا في المسؤولية والحرية والالتزام والتكريم داخل المجتمع الا بما يبذله من جهد لاسعاد نفسه ومجتمعه، وما يعكس من أهلية وجدارة في الحرية، وتحقيق للتقوى. أي للقيام بالواجب على أتم الوجوه وأخلصها من كل الشوائب والنقائص.

خامسها ، ان الانسان يتحمل مسؤولية مصيره الانسانى كله. وكجزء من هذه المسؤولية يتحمل تبعات وجوده، والسعي لكى يكون هذا الوجود على أفضل وضع ممكن. وليس هناك وضع أشرف ولا أفضل من أن يكون الانسان محققا للعدل والتضامن الاجتماعي قائما بشريعة الله مقرا بربوبيته. قال الله تعالى ،

ـ يا أيها الذين آمنو كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى (المائدة 8).

ونحن نفهم الآية على النحو التالي ،

ان الله يأمر بالانقياد لشريعته، وشريعته مجموعة من التكاليف، وهذه التكاليف محصورة في نوعين ، الاقرار بالربوبية لله، وتحقيق

الاحسان لسائر الانسانية. فالآية تشير الى ما يخص الاقرار بالربوبية، وما يخص الاقرار بالعدل والاحسان، حتى انه لا يجوز لا مرئ أن يحابى في حق من حقوق الناس أحدا ولو كان ذا قربى، ولا يمنع شهادته عدوا ولا خصما، وأن يعدل في كل شيء، وفي كل موقف، وفي كل حال من الاحوال.

هذه هي المبادئ الأساسية لاخلاق الفرد في المجتمع. وهي أخلاق تقوم على الادراك الصحيح لمعنى الدين، والفهم الواعى لرسالته. وهذه المعرفة يطالب بها المسلم على سبيل الاستدلال العقلى لا على سبيل التقليد الأعمى.

فبالعلم ندرك ظواهر الوجود والطبيعة وقوانين الحياة. وبهذه الظواهر نستدل على عظمة الله، وتمثل هذه العظمة والجلال هو الذي يبعث على العبادة الصحيحة. ولذلك رفع الاسلام (العلم) فوق كل قيمة أخرى. لأنه بالعلم وحده يحقق الانسان في ذاته معنى التكريم الالهى له، اذ لا كرامة، ولا حرية، ولا مسؤولية مع الجهل والتقليد، وحيث يوجد انسان جاهل فهو مهين، وهو منقاد، وهو غير مسؤول وغير حر...

في ضوء هذه المبادئ يجب أن ينهض النظام الاجتماعي بهياكله الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتربوية. فالوسائل في منطق الاسلام لا تختلف قيمة وحكما عن الغايات. وما لا يتم الواجب الا به فهو جزء من الواجب.

(3)

حدد الاسلام طبيعة الوضع الانساني كما رأينا باقرار مبادئ التكريم للانسان، ثم حدد طبيعة النظام الاجتماعي الذي يلائم تحقيق ذلك التكريم. فبدأ بتحديد طبيعة الأسرة، هذه الخلية التي يتكون منها الكيان الانساني كله.

وسيكون من العبث أن نطلب رعاية الطفل، وحماية حقوقه، وضمان مستقبله من غير اقرار هذه الحقوق كلها على أساس وجود أسرة ينشأ منها الطفل، ويتلقى فيها أو عنها كل أصول التعايش الانساني، وقيم الاخلاق الانسانية.

ان حرمان الطفل من الأسرة هو حرمان من غذاء معنوى لا تستقيم حياته الشخصية بدونه، وهو حرمان لا تعوضه أية مؤسسة أخرى تقوم مقام الأسرة الا في حالة الاضطرار، حيث يطلب التعويض ويلتمس أخف الضررين. وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية اليوم أن أطفال الملاجئ، ربما كانوا أحسن حالا من بعض أطفال الأسر في سنيهم الأولى، من حيث الخدمات التي تقدم اليهم، والرعاية الصحية التي يتلقونها، ولكن، ما إن نتجاوز السنة الأولى الى السنوات الأربع التالية حتى يظهر الفرق الكبير بين طفل ينشأ بين والديه وأسرته، ولو في حد أدنى من الخدمة والرعاية ومقومات العيش وبين طفل يعيش في الملاجئ، ولو في حد أعلى من الرعاية وتقديم الخدمات (1).

---

(1) أنظر : تنظيم الاسلام للمجتمع، لمحمد أبو زهرة صفحة 67.66.

ولذا أقام الاسلام عدة مبادئ للأسرة باعتبارها أفضل بيئة لتنشئة الانسان :

(1) منها أنه رغب في الزواج وجعله سنة الاسلام الأساسية. ناظرا الى مايترتب على عدم الزواج من مفاسد وانحلال ونضوب معين روح المودة والايثار، ورعاية مستقبل الانسان بروح الأمومة والأبوة الساهرة المسؤولة. وفي هذا المعنى وردت الأحاديث النبوية التالية :

(أ) «النكاح سنتى. فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى». وفي حديث آخر : «ومن رغب عن سنتى فليس منى» (2).

(ب) «اذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

(ج) «من تزوج فقد أحرز شطر دينه، فليتق الله في الشطر الآخر.

(د) «كل عمل ابن آدم ينقطع الا من ثلاث. ثم ذكر منها ولدا صالحا يدعو له. قال الغزالى ولا يتحقق ذلك الا بالزواج.

(2) ومنها أنه حدد شروطا لاستقبال الطفل في هذا العالم، باعتباره نواة الحياة الانسانية ومشخص مستقبلها، ومحقق استمرار النوع البشرى، وباعتبار الانجاب أحد أهداف تكوين الأسرة، فقرر شروطا لبناء الأسرة

---

(2) احياء علوم الدين للغزالى ج 2/20.

السليمة تستهدف استمرار النوع الانسانى، بعيدا عن الآفات والنقائص والاضطرابات النفسية. فاشترط سلامة الأبدان من الأمراض لدى الزوجين، وأتاح الخيار في الاستمرار في الحياة الزوجية لدى اكتشاف تلك الآفات أو العاهات من قبل أحد الزوجين على حد سواء، واشترط اختيار الزوجة والزوج معا على أساس الصحة النفسية والسلامة الاخلاقية، والاستواء في الشخصية. وفي هذا المعنى وردت كثير من الأحاديث ذكرها الامام الغزالى في (الإحياء) (3).

(3) ومنها أنه أقام الأسرة على المودة والرحمة والتعاطف بين الزوجين ضمانا لسعادتهما، وسعادة أبنائهما من بعد، واعتبر العلاقة الزوجية علاقة انفتاح كل زوج على الآخر، وتكامله معه. ثم ارتباطه به بميثاق قوى. وكذلك وصف القرآن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة بهذه الصورة الشعرية الرائعة «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» (البقرة 187).

ولقد ثبت أن من آخر مافاه به الرسول ولسانه يتلجلج على فراش الموت التوصية بالحفاظ على الصلاة، ورعاية حق الزوجة بهذه العبارة : «الله الله في النساء» أى اتقوا الله في معاملتهن.

---

(3) احياء علوم الدين للغزالي ج 2/ 38.

(4) ومنها أنه حدد حقوق وواجبات كل من الزوجين تجاه الطفل، فعلى الرجل واجب الانفاق وعلى المرأة واجب الارضاع والتربية الأولية. وهي الخدمات التي تقدمها الأم لطفلها في مرحلة الارضاع.

قال ا بن حزم ، «والواجب على كل والدة أن ترضع ولدها أحبت أم كرهت ولو أنها بنت الخليفة. وتجبر على ذلك إلا أن تكون مطلقة، وحتى في هذه الحالة إن لم يقبل الطفل الرضيع غير ثدي الأم فإنها تجبر حينئذ على الإرضاع، إلا أن يكون لها لبن يضر به. قال الله تعالى ، « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده، وعلى الوارث مثل ذلك » (البقرة 233).

وقد اشترط الفقهاء المسلمون في الحضانة شروطا استمدوها من نصوص الحديث وأحكام الشريعة. منها أن تكون الأم التي لها الحضانة أمينة على الصغير حريصة على رعايته ووقايته وتهذيبه. ثم أتاح الشرع الاسلامى للأب في حالة حضانة الأم أن يتعهده بالمراقبة، خاصة وهو ينفق عليه. وهكذا يكون للوالدين حتى في حالة انفصالهما حقوق مشتركة في تربية الطفل، بحيث لا يجوز أن يؤثر انفصالهما في تربية أطفالهما بأي شكل من أشكال التهاون والاهمال، بل ان الاسلام رعى التوازن بين حقوق الأم وحقوق الأب في هذا المجال .

وذلك أنه في مقابل حق الحضانة التي للأم هناك حق الولاية على النفس وحق الولاية على المال، وهو حق للأب، وهي ولاية ذات شقين، ولاية تربية وولاية تزويج، فاذا لم يكن للطفل ولى من والده أو من ذوي قرابته من جهة والده انتقلت الولاية لنظر القاضي. ويمكن أن يفضي الاجتهاد في التشريع الى انشاء مؤسسات في المجتمعات الاسلامية لرعاية شؤون الأطفال ممن لا أولياء لهم باعتبار أن الدولة هي المسؤولة عن تعويض الفراغ الحاصل في مسؤولية إعدادهم وتربيتهم.

(4)

لقد وفر الاسلام ضمن أحكامه التشريعية التي تعتبر مصدرا لكل تشريع جزئى وتفصيلى القواعد والمبادئ التي يجب أن تقوم عليها الأسرة. فماذا يخص الطفل من هذه القواعد؟

ان الحقوق التي نعترف بها اليوم للطفل لا تخرج عن ثلاثة أنواع ،

1 ـ حق التغذية.

2 ـ حق حماية الصحة (وقاية وعلاجا).

3 ـ حق التربية العامة (عن طريق التعليم والتأهيل للاندماج في المجتمع).

(1) حق التغذية ـ وهو مقرر عند الفقهاء في باب الرضاع. وكله مبسط ومحلل في ضوء الآية القرآنية السابقة. وذلك في مرحلة معينة هي المرحلة التي يعتمد فيها الطفل في غذائه على لبن أمه أو ما يقوم مقابله.

(2) حق النفقة، وهي نفقة مفروضةعلى الأب كما نعلم، إذا كان قادرا منتجا، فان لم يكن وجبت على الأقارب، الأقرب فمن يليه، وذلك ما نظر فيه فقهاء المذاهب الاسلامية حسب اجتهاداتهم. وهناك مبدأ قرره الامام أحمد بن حنبل، يقول : « كل من يرث شخصا ما إذا مات وترك مالا، يجب عليه أن ينفق عليه فيما اذا كان عاجزا لأن الحقوق متبادلة والغرم بالغنم ».

ونعلم أن الميراث في الاسلام يمتد فيشمل القرابة كلها (4).

فاذا لم يكن للشخص قرابة قادرة على الانفاق، كانت نفقته على الدولة. ينفذ ذلك ولي أمر المسلمين، ومن يمثله، وهذا ما كان معمولا به في البلاد الاسلامية. وقد كان معروفا في النظام الاداري للمالية العامة للدولة الاسلامية ان خزينة الدولة (بيت المال) كانت له أربعة أقسام أو موارد مالية أصلية :

---

(4) تنظيم الإسلام للمجتمع، لأبي زهرة صفحة 447.

1 ـ قسم الجزية والخراج والجبايات.

2 ـ قسم الغنائم.

3 ـ قسم الزكاة.

4 ـ قسم الضوائع (أموال التركات التي لا وارث لها، والأموال التى لا مالك لها، منقولة أو ثابتة.

وفي كل قسم من هذه الأقسام حق للفقراء والمعوزين، الا القسم الأخير فهو يصرف على الفقراء برمته.

فاذا لم يكن ذلك كافيا فقد قرر بعض فقهاء المسلمين المجتهدين وأعنى ابن حزم خاصة أنه يفرض على أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، ان لم تقم الزكوات بهم فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لا بد منه ... ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك ... وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة ... (5).

وان ما يجب للكبار من هذا الحق العام هو واجب ضمنيا لرعاية الأطفال الذين لا معيل لهم.

(3) حق الأمومة. أي رعاية الأم في حالة وجودها على قيد الحياة. وهو مقرر عند الفقهاء في باب الحضانة. ذكر ابن حزم ان الأم أحق

---

(5) أنظر : آراء تقدمية من تراث الفكر الاسلامى لفتحى عثمان، صفحة 8.

بحضانة الولد الصغير والابنة الصغيرة حتى يبلغا... ولا أدل على اعتبار ذلك حقا من تأكيد حق الحضانة الأولى حق ولو كانت الأم كافرة. استثناء للحكم الشرعى القائل لا حضانة لكافرة ولا فاسقة. ولذلك عقب ابن حزم بقوله : «والأم الكافرة أحق بالصغيرين مدة الرضاع، فاذا بلغا من السن والاستغناء مبلغ الفهم فلا حضانة لكافرة ولا فاسقة، هذا مع العلم بأنه لا زواج من كافرة ولا فاسقة من الناحية الشرعية، لما في ذلك من قيام الحياة الزوجية على تناقض النزعات الفكرية وتمزق الوحدة بسبب الخلاف بين ايمان وكفر وايمان وفسوق. وهو ينعكس لا محالة على تربية الأطفال بأسوأ العواقب.

(4) حق الرعاية الصحية (وقاية وعلاجا) وهي تابعة للحق السابق لأن صيانة الأبدان والصحة، إما بطريق توفير الغذاء، واما بالوقاية من الآفات، واما بالعلاج من الامراض بدون تحديد.

5) حق التربية بالمعنى الشامل وهذا الحق مستمد من أصلين :

- أولهما أنه لا يتم اسلام ولا ايمان الا بعلم ما يجب أن يعرفه المسلم على سبيل الاستدلال العقلى والاقتناع الفكرى، وذلك يفرض مستوى محددا من التعليم.

- وثانيهما أن حق العيش الكريم حق أصلى، فاذا لم يكن متاحا في مجتمع الا عن طريق التأهيل الفكرى والمهنى فقد عد ذلك حقا للطفل الذى يجب أن ينشأ قادرا على العيش الكريم وسط مجتمعه.

وقد توسع مفكرو الاسلام في هذا الموضوع من حيث الزامية التعليم وعدم الزاميته. فقال الامام القابسى (أبو الحسن على بن محمد القابسى القيروانى. المتوفى سنة 403 هـ) بالزامية التعليم على أساس اعتبار الأصل الأول الذى أشرنا اليه. وأوجب عامة الفقهاء التعليم في مسائل الدين كما أوجبوا على العلماء القيام بواجب التعليم. واعتمدوا على الحديث النبوي: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». وقد قامت المؤسسات التربوية في ظل الحضارة الاسلامية بمهمة التعليم والتربية في جميع المستويات.

واستهدف التعليم عند المسلمين والانفاق عليه أربعة أهداف ،

(1) التربية الروحية (الدينية).

(2) التربية الاجتماعية.

(3) التربية المهنية.

(4) التربية العقلية (التكوين العلمي الخالص).

ونلاحظ أن فلاسفة الاسلام وعلماءه جميعا نظروا في مسائل التربية والتعليم، وحددوا أحيانا مناهج التربية وطرقها، كما نجد عند ابن مسكويه (م 421) وابن سينا (م 428) والقابسى (م 403) والغزالى (م 505) وابن عبد البر القرطبى (م 463) وابن خلدون (م 808).

ان ابتغاء الرزق الذى تنص عليه الآ ية ، (فابتغوا عند الله الرزق) (العنكبوت 17) انما هو تحصيل الرزق عن طريق العمل والسعي. وقد حلل ا بن خلدون قيمة العمل، وحدد ما يترتب على تنوعه من الصنائــع والمهن. فأفاد من هذه الجهة أن إعداد الانسان لممارسة العمل المنتج في مجتمع يقوم على الصناعة أو التجارة أو الزراعة هو من آكد الحقوق التي تجب للأطفال على أولياء أمورهم أو على الدولة نفسها عند عجز هؤلاء.

من أجل ذلك يعتبر نشر التعليم، وتحقيق تكافؤ الفرص أمام الأطفال في التعلم من مفاخر الحضارة الاسلامية في عصور ازدهارها.

ويكفى أن نذكر من أمثلة التاريخ على ذلك أن نظام الملك (وهو وزير الدولة البويهى (م 485) أنشأ المدارس في عهده بجميع البلاد التى تمكن فيها من فتح المدارس، وأعلن أن التعليم بمدارسه حق للجميع، وأنه يمنح للناس جميعا بدون مقابل. ثم زاد على المجانية الشاملة بأن عين مرتبا منتظما للطلبة المعوزين. ففى المدرسة النظامية التي أنشأها ببغداد كان الذين يتلقون التعليم ستة آلاف تلميذ، فيهم ا بن أعظم العظماء في المملكة وا بن أفقر الصناع فيها، وكلهم يتعلم بالمجان، وللطالب الفقير فوق ذلك راتب معلوم يتقاضاه من الريع الخاص بذلك (6). ومثل ذلك

---

(6) تاريخ التربية الاسلامية لشلبى. (281).

يقال عن جامع الأزهر بالقاهرة، وجامعة القرويين بفاس. فالطلاب يسكنون ويتلقون الجراية والأطعمة من الأوقاف، وربما الكتب أيضا.

ـ وأنشأ المسلمون الكتاتيب المجانية للايتام والفقراء، ثم معاهد العلم والزوايا التى تقوم على كفالة حاجات الطلاب الى الغذاء والمسكن والوقاية في كل من المشرق والمغرب.

ـ وعرفت الحضارة الاسلامية نظام التوجيه التربوى في التعليم، فذكر رجال الفكر التربوى ذلك، وميزوا بين المؤهلات. وقال الزرنوجى مثلا (7) ينبغى للطالب ألا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفرض أمره الى الأستاذ. وأكد ابن سينا أن الصبى لا يمكن أن يتلقى من الصناعة الا ما يتأتى له، ويشاكل طبعه ويناسبه. ودعا الى تطبيق ذلك في مناهج التعليم.

ـ ان الأوقاف في البلاد الاسلامية كلها كانت المورد الأساسي للنفقات على التعليم، وهذه هى القاعدة، وفي الحالات الخاصة كانت الخزينة العامة للدولة هى التي تسدد نفقات التعليم. وقد حكى لنا ابن بطوطة في رحلته أن أحد الملوك في البلاد الاسلامية لعهده كان يقسم

---

(7) (تعليم التعليم، صفحة 13) عن تاريخ التربية الاسلامية للدكتور شلبى (صفحة 286/....).

خراج بلاده على ثلاثة أقسام، يخصص قسما منها للنفقة على الزوايا والمدارس (8).

هذه نظرة عامة على الحقوق التى خولها المجتمع الاسلامي للطفل باعتباره نواة المجتمع الانسانى. وأوجبها على ذويه أولا، ثم على المجتمع في صورة الدولة التي تتولى صيانة المجتمع وحفظ توازنه ورعاية مصالح أفراده. وهى حق التغذية والنفقة عليه. ثم حق الحماية الصحية وتقديم ضروب العلاج والوقاية، ثم حق التربية والتعليم والتكوين المهنى.

(5)

فاذا أردنا أن نعطى صورة أخرى عما يتمتع به الطفل من أهمية في حظيرة التشريع الاسلامى فقد نفتح أمامنا آفاقا فسيحة يتجلى للناظر فيها مدى عمق النظرة الشمولية التي غرسها الاسلام في صميم الفكر التشريعي لدى المسلمين.

فلننظر إلى الطفل من جهة الأهلية التي أعطاها التشريع الاسلامي له. وقبل ذلك نذكر بتعريف الفقهاء للأهلية بأنها الصفة التي بمقتضاها يكون الشخص محلا للحكم الشرعى أو للخطاب الشرعى. فهى كفاية وقابلية لتحمل المسؤولية. وهى بهذا المعنى الشامل نوعان ، **أهلية وجوب، وأهلية أداء.**

---

(8) تحفة النظار (ج 2/31).

وأهلية الوجوب هى صلاحية الشخص للالزام والالتزام، أى ثبوت الحقوق له كانتقال الملكية، وثبوت الحقوق عليه كالتزامه برد القرض الى من اقترضه. ومناط أهلية الوجوب في الشريعة الاسلامية هو الصفة الانسانية للشخص سواء كان طفلا أو راشدا، مجنونا أو عاقلا. فالشخص الانساني من حيث هو صاحب (ذمة) قابل «لأن يكون موضوع التزام والزام.

أما أهلية الأداء فهى صلاحية الشخص لممارسة الأعمال التي يتوقف اجراؤها على الرشد، وهى ما يشترط فيه الشرع الاسلامى العقل والبلوغ. فيستثنى من ذلك الطفل في العبادات والعقود الملزمة. وانما اشترط الاسلام ذلك باعتبار ما ينبغى أن تنطوى عليه الممارسة من حرية ووعي وادارك لقيمة ما يؤديه الشخص.

وعلماء القانون يقسمون حياة الانسان من جهة الأهلية للتحمل والالتزام الى خمسة أطوار،

(1) طور الاجتنان.

(2) طور الطفولة.

(3) طور التمييز.

(4) طور البلوغ.

(5) طور الرشد.

ولا يهمنا من هذه الأطوار كلها سوى الطورين الأولين في هذا المبحث، ولا سيما جانب الحقوق. والفقه الاسلامى بكل مذاهبه الاجتهادية يقر بالحقوق التالية للكائن الانساني في حالة الحمل والاجتنان وهي :

- النسب لأبيه وأمه ولمن يتصل بهما.
- الارث لمن يموت من مورثيه لأنه متفرع عنهم بواسطة النسب.
- استحقاق ما يوصى له به.
- استحقاق ما يوقف عليه.

وتأخذ شخصية الجنين صفتها القانونية أو أهليتها الشرعية في هذه الحقوق بحيث تصبح نافذة المفعول عند مولده أو خروجه من بطن أمه بالفعل أو بالاعتبار (9).

وبازدياد الطفل تصبح دائرة الحقوق أوسع، ويأخذ أهلية الوجوب أى أهلية الالتزام والالزام، في الحدود التى يذكرها الفقهاء. فالطفل يملك منذ ولادته ما يشترى له أو يوهب، ويعقد له وصيه أو وليه سائر العقود بشروطها المعروفة ويترتب على ذلك ما يترتب من نتائج. ولكنه مع ذلك لا يعتبر مسؤولا فيما يخص أهلية الأداء أى ممارسة العقود الملزمة.

---

(9) أنظر المدخل الفقهى العام لمصطفى أحمد الزرقا (2/ 750).

ولا يترتب على أفعاله الجنائية عقوبات بل تأديب وتوجيه واصلاح، وان كان يترتب عليها ما يترتب من غرم مادى ونفقات. ويحدد الفقهاء المسلمون بعد ذلك تصرفات الطفل المضمونة وغير المضمونة والتى يترتب عليها ما يترتب من النتائج والتحملات القانونية، ثم أحكام المأذونية والمحجورية، مما يعرفه الفقهاء في التشريع الاسلامى.

ويظهر لنا من كل هذه المعطيات أن الشريعة الاسلامية سواء في مجال تحديد مبادئ النظام الاجتماعي، أو في مجال الحث على مكارم الاخلاق أو في مجال ما نشأ في ظلها من مؤسسات اجتماعية وتربوية وانسانية، قد وضعت أسس رعاية الطفولة كاحدى مسؤوليات الانسان المسلم، الحريص على كرامته وكرامة مجتمعه وكرامة الانسانية كلها. اسهاما منها في المجهود الانسانى المستمر لصيانة النوع الانسانى وضمان سعادته وتقدمه واستمراره على نحو أفضل.

وما هذه النظرة التى ألقيناها على ماض لنا في روحه ودوافعه، أو في مؤسساته الاجتماعية، سوى نبراس يلهمنا ما يجب أن نواجه به عالم اليوم والغد من مسؤوليات جسام، لرعاية الانسانية وصيانة كرامة الانسان، وتحقيق العدالة والسلام الاجتماعيين.

وان عالمنا الاسلامى بوضعه، وتمثيله لشطر هام من سكان المعمور، ليعتبر مسؤولا أفرادا وجماعات، ولا سيما حكوماته، عن الاستجابة لتقاليده الدينية والانطلاق منها في تخطيط ثوري لتدارك أوضاع طفولية

غارقة في البؤس والفاقة، وسوء التخطيط والتوزيع، وأنها مع ذلك أو لأجل ذلك تحتاج الى مساعدة العالم الآخر المتقدم، لإسعافها بما يلزم لضمان نجاح هذه المحاولة التى تؤول لخير الانسانية من غير اعتبار لتفرقة في الجنس والمعتقد.

بل أعتقد أنه اذا لم تكفل حكومات العالم في الدول المتقدمة والمختلفة سواء بتعاون كبير فيما بينها على تحقيق توازن بين الخدمات الصحية والاجتماعية والتربوية التي تمنح للأطفال في جميع المجتمعات ولا سيما الفقيرة والمتخلفة فاننا سنورث الانسانية في غدها القريب أشأم ميراث من البؤس والتناحر والتفاوت الطبقى، والانحرافات الاخلاقية، واليأس من مستقبل البشرية. لأن أطفال اليوم هم مجتمع الغد.

وأذكر مرة أخرى بأنه يكفى المجتمعات الاسلامية أن يكون لها من الاسلام وشريعته وتاريخه الحضارى ما يحملها على الاسهام في تحقيق العدالة الاجتماعية والاسراع بتحقيق حقوق الطفولة لأن هذه الطفولة بمثابة الحقول التى سنجنى منها غدا ثمار ما نغرسه اليوم.

فاس　　　　　　　　　　**محمد الكتانى**

تأملات المعتمد بن عباد
(مستوحاة من سيرته)

عبد العلي الوزاني

من يوم ان استلمت مقاليد السلطة باشبيلية، ادركت ان الشعر قد ارتقى من مجرد فن اندلسي الى ان يكون دولة.. انا نفسي لم اكن استطيع تبين حدود فاصلة بين الحاكم والشاعر في شخصي.. كان يخيل الى ان تنظيم احوال المملكة كنظم أبيات من الشعر.. وان الهيمنة على القوافي اسلوب في سياسة الحكم.. يقوم على التعاطف والتجاوب التلقائيين.. وغالبا ما كان الشاعر ينتزع زمام المبادرة من الحاكم.. لان هذا الاخير عندما تهيأ له ان يظهر، كان الشاعر في استقباله.. سبقه الى دار الامارة.. للمشاركة في تتويجه ملكا على دولة السياسة ودولة البيان.. كنت اخرج للنظر في شؤون الرعية وفي لهاتي قافية حائرة.. ثم أعود الى قرطاسي ودواتي مشوقا حائرا بين الوقت الذي اهبه للناس، والوقت الذي

اهبه لفني.. وكان الاندلس ارضا وسكانا مقتنعا بان دولة الشعر ودولة السياسة ليس بينهما اي تعارض.. بل على العكس مما قد يظن، كان يرى الشعر حلية جميلة تزين رجل الحكم، وتزيده ابهة وفخامة.. واروع الحكام لديه، هو من قبض بيد على الصولجان، وبالاخرى على ناصية البيان. والعصر عصر الشعراء الفرسان.. وبين الشعر والفروسية أواصر قرابة.. كل منهما يحتفظ للقلب بنبضه السريع، وحرارته العالية.. وكل منهما غزو للعالم.. احدهما يغزوه بالسيف، والآخر يغزوه بالحرف..

لما كنت اتقبل من رعيتي فروض الطاعة والولاء، كان يتهيأ لي أن الشاعر في شخصي يحظى من الاعجاب بأكثر مما يحظى به الحاكم.. يسرق منه البريق.. ويدفع به الى منطقة الظل.. لحد ان الحاكم كانت تاكله الغيرة.. وتتلوى في اعماقه عقدة الشعور بالنقص.. وكل منهما بضعة مني.. فانا كنت احكم من دولة الشعر المؤطرة بدولة السياسة.. ولو لا اعراف سياسية ومراسيمية خاصة لجعلت كل قراراتي شعرا يرقص الناس على ايقاعها وهم يقومون بتنفيذها.. ونحن الاندلسيين نهيم بالشعر، نحزن كثيرا متى انكسر لنا منه بيت، او امتنعت قافية، واضطرب ايقاع.. هو مادة سمرنا والليل ساج، وفخر رؤوسنا والعز قائم، ومسيل دموعنا واللوعة موجعة، ومجمع اوطارنا والشمل جامع، ومجتلى آمالنا والاحباب أباديد.. حتى لقد كان الداخل الى الاندلس يلقى نفسه داخل ديوان ضخم من الشعر، ما لصفحاته من نهاية، وقد احتوى كل محاسن الطبيعة

الاندلسية، كما لم يغفل من نساء البلد الجميلات اية اختلاجة رف بها جفن، او بسمة افترعنها ثغر، او غنة رن بها صوت، او همسة وسوس بها لسان.. ويظل زائر الاندلس يقلب صفحات الديوان راقصا مع كل ايقاع، حالما مع كل كلمة،، منسكبا مع كل نغم، وكانه في حلم بديع، لا يفيق منه الا اذا ترك وراءه الاندلس، ليجد نفسه هابطا من منازل الشعر على ارضية النثر.. وما زال به اليها شوق وحنين.. فلا غرابة اذا اعتبرت بلادنا نصا شعريا بالغ الروعة، تألقت كلماته المشعة على جبين اوروبا، والتف وشاحا رائع الوشي حول خاصرتها اللطيفة الانحناء.. وربما كان الاندلس هو البلد العربي الوحيد الذي امتزجت فيه الحقيقة بالخيال، لدرجة ان الخروج من القصائد لم يكن يعنى سوى الانتقال من الشعر الذي قيل فعلا، الى الشعر الذي لم يقل بعد..! وان كانت مادته موجودة في ابهى زينة، وارفع سمت، وارق حاشية. ان النثر عندنا كان يصاب بعدوى الشعر منذ الخطوات الاولى.. فما يلبث ان يشعر بالانتشار معتنيا بزينته، متخيرا له ارق الازياء واقدرها على اثارة العواطف، وتحريك اجنحة الخيال، لدرجة ان قليلا من نصوصنا النثرية هي التي بقيت لسوء حظها بعيدة عن وهج الشعر وطبعه العصبي. فعاشت خجولا من نفسها ومن الناس، لا تملك من ازياء الفن ما يخولها حضور مجالس السمر والموسيقى والغناء.. وفقيهنا الأندلسي كان شديدا في غيرته على الدين، خصوصا ونحن في بلد مجاور للنصرانية، بل ومحتك بها، ولكنه رقيق

الشمائل، عذب الحديث، جميل الشارة.. وربما كان ارق كتاب في الحب من تأليف فقيه اندلسي طهره الدين، وشفه الحب، فكان إماما في المذهبين، علما من الاتجاهين رسخت له قدم في مجال النحل والعقائد، وارتفع له شأن في مضمار اللواعج وسحر الخرائد.. جلال العلم لم يقتل فيه رقة القلب، وجبروت العقل لم يهزم ثورة الوجدان، وهيبة الدين لم تصادر نداوة العاطفة...

شعرنا الأندلسي ينتسب إلى جد تخرج من خباء بجزيرة العرب ... هو القصيد ذو الكوفية والعقال.. المضمخ بريح الشيح والقيصوم الملوح بوقدة الشمس... جاء الى هذه الديار الجميلة خشن اللهجة، غليظ الصوت، جهم الملامح، مبحوح النغمة من عطش.. ولكن لم تكد تطول به الاقامة هاهنا، حتى تلطفت به نسمات من البحر الابيض المتوسط.. وشملته اضواء من قصور الخلافة.. وانعطفت به اهواء مستجدة نحو الجدول الرقيق، والروض العطر، والمروج الفيحاء، فرقت منه الحاشية، وراق المزاج،.وصفا الخاطر، وعذب اللفظ، وشف البيان.. وكان من شأن ذلك الاعرابي ان تحول الى دون خوان يتسلق اعناق الدوالي.. ويرغم الشرفات على ان تكون اكثر تواضعا. ويفتح الابواب بابا إثرباب، الى الحجرة المحظور فتحها على اي غريب.. دون خوان العربي سليل جد كان متمرسا بفضح اسرار الاخبية في الصحراء العربية.. خبير ابا ستغفال رجال القبيلة.. والضحك على سيوفهم وهي في اغمادها هادئات.. اثناء تسلله الانسيابي الى خليلته اللاهبة الشوق، المسحورة الفؤاد، راكبا صراط الموت، معتمدا

جناح الخطر.. وبحكم قانون الوراثة.. وقلما يتعطل - فان الدون خوان العربي ورث عن جده الغزل الشجاع الجنان، الذلق اللسان، هياما بمعتدل القوام، ومعتق المدام، وفاتن الالحاظ، ومغنج الالفاظ، مولعا بالجدران يزخرفها بالقصائد، وبالشرفات يوشيها بالغزل، وبالوهج يشعله في الاحداق، وبالمعاني يرقصها في الاعين، وبالكبرياء يزرعها في الخواصر، وبالحب يقيم به غصن الزهرة الذابلة، ويضرج الخد الباهت، ويشجع البصر الجبان، ويدفئ البيت البارد، ويلين القوام الصلب، ويبسط الجبين المتغضن، ويحيي الارض الموات، ويمد الحبال بين الشرفات المتقابلة، والمرابع المتجاورة، والمنازل المتناظرة.. على يده صار الحب الاندلسي أغرودة في كل فم، وبهجة في كل خاطر، وربيعا في كل قلب، وسناء في كل عين. كذلك كان الشعر وكان الحب في بلدنا الاندلس، ولم نحظ من سيرتهما الجميلة الا بالنزر اليسير، وانا الامير. كنت اميرا على الناس، وكان الشعر اميرا علي . بيده مفاتيح مزاجي، ومغاليق قلبي، وتحت تصرفه دواليب ازيائي الفنية.. نجيي في صبوات الفؤاد، ومؤنسي في سرحات الخيال، ونديمي لدى لحظات الانبساط.. ما اشتهت نفسي معنى بعيدا الا وجلاه في اروع صورة والطف سمت، وما حن خاطري الى طيف عسير المنال، الا وساقه في لألاء وصفاء. وما ضقت ذرعا بما حولي من ملل، الاوطار بي الى مباهج لا اروع ولا ارق، والى مفاتن تظن بجدتها الا تبلى مع مر الايام..

ورمانا الشعر في دنيا مسحورة، وجعل نظرتنا الى العالم مفتونة، وضخم نصيبنا من الاحلام، وحصتنا من الهواجس، وقسمتنا من الوساوس، حتى لقد ذهبت نفوسنا كل مذهب، والتمعت ظنوننا في كل الآفاق، فلم نفق الا والشعر قد سرق عقولنا وسحر افكارنا، وغشى ابصارنا، فحسبنا العيش نزهة جميلة على ضفة نهر هادئ رقراق، والحياة ترنيمة عذبة نحدو بها رواحلنا على بساط من سندس اخضر.

اخوتنا الكبار في العدوة المواجهة لم يكن يرضيهم وقوعنا بين فتنة الشعر وفتنة اللحن، ولا دوختنا بين همس الشفة، ورعشة الوتر، ولا حيرتنا بين عذاب الاحلام وقساوة الحقيقة، فعابوا علينا ان نسمر في ضيافة القمر، ونجن بحبب الكاس، ونخطب ود الجمال، وننام على امل الوصال، ونهتف بحياة الآمال، ونسر برونق العيش، ونرشف ثغر الزهور، والحال ان غيوما تتلبد في الافق، وكلفا يشوب وجه الايام، ومرارة تخالط رحيق العمر، وقلقا يهدد برد الطمأنينة. فقد كنا - نحن الاندلسيين - نكتب الشعر كما يشدو الشحرور رغم احساسه بنذير العاصفة، او كما يخر الجدول رغم خوفه من اقتراب الفيضان، او كما يستمر الشجر في الانجاب رغم قلقه من دنو موسم الجراد.. كانت قصائدنا مثقلة بحزن عميق، كانها العيون الجميلة المنطوية على مأساة مروعة.. او البسمات المشرقات، حين ينطلقن من قلب اسى دفين.. نرقص ونحن ننزف.. ونحب وسط بحر من الكراهية.. ونترنم بالقصيد، وطبول الحرب تقرع

غير بعيد.. كنا ـ نحن الاندلسيين ـ والحال ما عرفتم ـ نهيم باضمامة الورد، ورنة الخلخال، ووسوسة السوار، وغنة الصوت، وهفهاف الثياب، ورقة الخصر، وسحر الحديث، ومجلس المنادمة، ومقام المساجلة، ومجال المناظرة، كان شواطئنا لا تضربها العواصف، وأسوارنا لا تتسلقها الحبال، وضواحينا لا يزحف نحوها الموت، وزهورنا لا يهددها التسمم..

اخوتنا الكبار في العدوة المواجهة كانوا املنا الكبير.. طوق نجاتنا الذي هيأه القدر.. احتياطنا العظيم للايام العصيبة.. ربما كان اقتناعنا بذلك احدى نقط ضعفنا.. حيث كنا كمن يسبح ولا يعبأ بالموج، احساسا منه بأن يدا قوية ستمتد لانقاذه في اللحظة الحرجة.. او كمن يبدد ثروته، معتمدا على رصيد ضخم ينتظره ساعة يتهدده الافلاس.. نعم، كان المغرب يعني عندنا ما يعنيه الجبل للسهول الخصيبة، والشمس للمفاصل المسترخية، والشوك للورود الوادعة، وحماية العشيرة لفتية راق لهم العبث، وشاقهم سحر الصبا، وتطوحت بهم خمر الشباب، فجرينا وراء لذاتنا، نهز الخصور على ايقاع الانغام، ونطرز القصائد على طنافس المخادع، ونصطاد الغزلان في جنات المرابع، ونبت العناقيد في صفحات الدواوين، ونزوق الآفاق باحلام المنى، ولا يفارقنا الشعور لحظة بانه بالقرب منا يقف رجل قوي، قد لوحته الشمس، ودان له المجد، وسلست الايام، وتاكدت الاحلام، وتضاءلت امامه الخطوب الجسام. لن يتركنا اذا دهم الخطب، ووهن العزم، ونفذ الصبر، وعز النصير. فامر حي

ياقدود، وغردي يا اصوات، وأشمي ياكؤوس، وميلي يارؤوس، فان للبيت ربا يحميه، وان للعشيرة زعيما يسندها، وان للعرين اسدا يصون الحمى، ويطرد بغاث الطير..

والى ذلك، فقد كنا متاكدين من ان اخوتنا المغاربة غاضبون، لو وجدوا لحطموا كل ما بايدينا من آلات الطرب، واراقوا كل ما بخوابينا من بحيرات الخمر، وصادروا كل ما بمآقينا من اطياف الجمال، واحرقوا كل ما بخيالاتنا من عذاب المسرات، ولفتحوا لنا مراكز للتدريب الشعبي على شد القوس، واطلاق السهم، واللعب بالسيف، والهجوم بالخنجر، والتلويح بكرات مدببة من حديد، ولحولونا جميعا الى مقاتلين، مجرد مقاتلين، نستبدل حافر الفرس بقدم الجارية، ومقبض السيف برقيق المعصم، وحفر اللحود، بهصر القدود، وملح الدماء بحلاوة الخمر، ومزاولة الطعان، بمغازلة الحسان..!

ولم نكن نجهل فنون القتال، اذ اننا منحدرون من اصلاب محاربين، وكانت لنا مع علوج العجم جولات شهدت لنا بثقل الساعد، وبطشة اليد، والرسوخ فوق صهوات الجياد.. ولكن الفنان فينا لم يلبث ان ظهر على المحارب، فآثرنا الرقة على الصلابة، والنور على النار، ومجالس المنادمة على ميادين المناجزة، حتى صدئت سيوفنا في اغمادها، واستنامت ايدينا الى قطف الفواكه، وجني الثمار، ومداعبة الاوتار، ومغازلة بديعات الاصابع.. وويل للطبع القوي من رخاوة العيش، وترف الذوق ولين

المضجع، ومجنحات الاماني، ورقاق الصور..! كان في وسعنا ان تكون صهوة الفرس افخم منبر عندنا لانشاد الشعر، وان نحب على طريقة الا بطال من اسلافنا الاماجد، وان يكون اعذب اناشيدنا ما يستقبل به رجال القبيلة اثر موقعة حاسمة.. وبذلك ننزه الحب عن ان يكون مجرد آهة طويلة تمتد الى آخر الليل.. والشعر عن ان يكون مجرد باقات ورد، تطرح تحت اقدام الغواني.. والغناء عن ان يكون اغفاء لذيذا بين ايدي الندماء.. كان في امكاننا ان نقرن الحب بالغلبة، والشعر بالبطولة، والغناء بالرجولة، بيد اننا لم نفعل، فآثرنا فتح الدواوين على فتح الممالك، وتسلق الشرفات، على تسور القلاع الحصينات، وتدشين مجالس الطرب، على تدشين معسكرات التدريب.. كل هذا والمغرب، اخونا القوي الكبير، ينظر نحونا بغضب، ويشملنا بتأنيب، ويخطرنا بسوء المنقلب. كانت تجربته الحضارية تختلف عن تجربتنا، ونظرته الى الاشياء غير نظرتنا، ولذلك اشمأز من نوع الحياة الذي كنا نحياه، صادرا عن طبعه الخشن، وفكرته الشجاعة عن المستقبل. انصرف الى مهنة صناعة التاريخ، في ذات الوقت الذي كنا فيه نزوق المقاصير، ونموه الا بواب، ونرفع القباب، ونغرس فسائل الورد، حتى في مداخل البيوت، ونقضي اياما في نقش قطعة من جدار، او حفر انحناءة من سوار.. واذكنا نحصر انواع الزهور لونا وشكلا وعطرا، ونرتب الالحان صوتا ونغما ومقاما، ونصنف الاشعة انعكاسا ومعنى وايحاء، كان المغرب راكبا فرسه يجوب به البلاد

طولا وعرضا، وشمالا وجنوبا، يؤمن الحدود، ويبث الهيبة، ويحرس العشيرة

لا يكاد ينتهي من جولة حتى يشرع في أخرى، حتى تعودت على زياراته المفاجئة الاشجار في اعالي الجبال، والواحات في اعماق الصحراء، والربط في اقاصي الثغور، والزهور في نائي البراري.. ولم يكن في طاقتنا ـ نحن الاندلسيين ـ ان نجاري المغرب في طباعه الخشنة العنيفة، كي نفوز برضاه.. فنحن قوم نشأنا منذ نعومة اظفارنا على تذوق الجوانب الرقيقة من الحياة، ومن فنون العيش، حتى لا تدري ، اتكون فنوننا هي التي تحولت الى سلوك، ام تكون انماط سلوكنا هي المتحولة الى فنون.. علمتنا مؤدباتنا منذ الطفولة كيف نترفق بأفواف الزهر، ونتهامس بكلمات الشعر، ونتناغى بروائع الاناشيد، ونتناجى برقائق الكلم. واخذنا مؤدبونا بتذوق خفي المعاني، وارق الاساليب، وابرع شيات الخيال. تقدم بنا العمر، ونحن بين زهر وخمر، وحور ونور، وعود وناي، وتنقلنا في مدارج الحياة مشبوبي العواطف، مرهفي الاحساس، رقيقي الشمائل. فلماذا همتنا الاخطار، ونبت بنا الديار، وازعجنا عن مرتعنا الآمن، وملعبنا الجميل، ومجالينا الفاخرة، اصبنا بحيرة واضطراب، فنهضنا الى القتال مكرهين، وتقدمنا منه متثاقلين، بينما اكفنا مطوية على قصائد شاكية، ولهواتنا مزحومة بقواف باكية، وغير بعيد منا ينادي مخدع عاطر، ونعيم وافر، واحضان حنون.. يداعبنا غزل ما بين السجف،

ويخافتنا نجي الشراب، ويمنينا رحيق الرضاب.. فلا تاخذ الحرب منا الا عيونا متقدة بالحب، وسواعد حالمة بالعناق، وصدورا منخورة بالاشواق، واصابع الفت رخص المفاصل، وناعم الملامس. وكيف بنا وقد أبد لنا من الاقلام سيوفا، ومن المسرات حتوفا، ومن وثير الارائك، صعب المعارك، ومن هصر القدود، حفر اللحود..! هزيمتنا كانت مقررة من قديم، من يوم اقللنا من شعر الحماسة، وتخففنا من طبع الغضب، وتثاقلنا عن العاب الفروسية، وتجافينا عن ظهور الخيل، وتوانينا عن صناعة السلاح، فهزمتنا نفوسنا قبل ان يهزمنا العدو، انسحقنا من تزايل، وانعجنا من رخاوة، وانبعجنا من طراوة، وكان من واجبنا ان ندرك وفي الوقت المناسب، ان الجمال لا ينافي القوة، وان الشعر ليس دائما عدو الحرب، وان احضان النساء انما تحمى من فوق ظهور الخيل.. فغياب السيف يهدد حضور القلم، وانكسار النبل يغتال ممتع الاسمار، وتقاعد المحارب شر على وادعات الاطيار..

وكان ان اصبت بحب اعتماد، فارتفع بنا الحب معا.. هي ارتفعت من جارية الى أميرة.. وانا ارتفعت من أمير الى عشق.. فقد كان الحب أمير الأمراء عند الأندلسيين.. ولولا ذلك، ما وضعت نفسي تحت تصرف واحدة من الرعية.. بمجرد ما انفتح لها قلبي، واغراها بالتشريف.. تملكت رقبتها بالمال، وقلبها بالحب.. وباسم الحب صرت بين يديها رساما مهووسا بالريشة واللون.. عشرات المرات استوقفتني نفس

القسمات.. لأراها من زوا يا مختلفة.. وحسب انعكاسات الضوء.. كأني لم اكتف با بداع الطبيعة .. فأبيت الا أن أكمله بفني... وكان فني محظوظا لأنه عثر على النموذج الأروع.. وكانت ملكتي الفنية مستعدة لامتصاص رحيق العاطفة الصافية، كصباح ربيعي شاعري الملامح.. وكانت اعتماد هدية الطبيعة الي.. بين أحضانها كان لقاؤنا الأول.. اذ لمحتها بين انحناء غصن، وتبرج وردة، وشفوف ظل.. ولم يعطني سحر اللحظة فرصة لمراجعة حقيقة مشاعري.. فلم افق من السكرة الممتعة إلا على عينين جميلتين اشتبك باهدا بهما الوطفاء.. وكان الشعر وسيطا في هذا اللقاء الرائع.. تطوع بفتح عين أحدنا على عين الآخر.. وقدم أشعته السحرية لنقل الشحنات من هذا الطرف الى ذاك.. هي تعلقت بكلمة.. وأنا تعلقت بكلمة.. وكانت قافيتي حضنا لقافيتها.. وا يقاعي مقدمة لا يقاعها.. وبلغة الكتب : لقد أجازت شعري.. فعانقت حروفها حر وفي.. وتخللت انفاسها عذب بياني.. وانتظمنا معا عش شعري دافىء.. كانت الطبيعة الفاتنة له اطارا رقيق الحواشي.. عندما أجازت اعتماد شعري صاغت لكلماتي أخوات مجلوات.. سعين نحوهن مشوقات معجبات.. ذراع هذه حول خصر هذه.. وثغر تلك في مقبل الأخرى.. مع تجانس في الشيات والقسمات والنكهة واللون.. فلو سللت بعضها من بعض، لكنت كمن يفرز أشعة من نور صادرة عن مشكاة واحدة.. أو كمن يفصل الزهر عن لونه، أو الورد عن وداعته وعطره..

احببتها وانا في نحو العشرين. فتى لا يكاد يغادر جو الاسطورة.. او يفيق من اغفاءة الحلم.. يهم بان يلملم بين اصابعه اشعة النور.. وبأن يعلق القصائد على استار الليل.. وبان يدعو العصافير الى مادبة حافلة.. وما ظنكم بفتى اندلسي فتح عينيه على ابوة شاعرة.. وعلى بيت يتضوع اريج الشعر من كل اركانه.. وهو لغة الحوار الاثيرة لدى سكانه.. كان يخرج الشعراء بنفس الطريقة التي تخرج بها الخميلة جوقة البلابل.. اما الاب العتيد فكان يعتز بشيئين ، سيف بتار.. وقافية حاسمة.. وتحت طاعته كلفت باعتماد .. فازداد لحن جديد في ظل قيادة موسيقية ذات كفاءات عالية. كلما هم اللحن الوليد بالانفجار والعربدة بين بقية الالحان، كانت القيادة ترده الى الاعتدال.. وتضطره الى ان يخافت بصوته على استحياء.. لكنه كان احيانا يتمرد... فيحاول جاهدا الانبثاق، وكسر القالب الموسيقي.. فيرد الى المخافتة من جديد..

لحن حبي لم يلبث ان انهمر بعد استلامي مقاليد السلطة في اشبيلية.. فلم تبق شرفة او عريشة الا وتناقلت اخبار قلبي.. وفتحت صفحة وضيئة من روائع الفروسية العربية الموشاة بالشعر.. المثيرة للشجن.. المبشرة بعصر للعشق جديد.. وسمرت نساء مدينتنا الرقيقات، وشبابها المغتلم الاشواق، على قصة حبي الطريفة الفصول.. على حين اقتبست منها الحمائم مادة شيقة لاحاديث العشيات.. وتخمرت في احضانها الملكات الواعدات.. بينما جابت بشائرها الدنيا ما بين شرق وغرب..

حتى لقد انتشى بها فتيان العرب في ديار نجد.. وغنى اشعارها المنشدون في ديار العجم.. وسالت معانيها على اوتار قيثارات سحرية الرعشات.. وكنت شاعرا بأن اشبيلية كلها صارت تجوس خلال ابهائي الخصوصية.. فانا الذي فضلت ان احب بصوت مسموع.. فاذعت حبي قصائد حادة الايج.. وقلقت لذلك.. وازعجني ان يصير قلبي موضع تاويلات وظنون.. وعجزت - طبعا - عن ملاحقة نفحات العطر.. لردها الى قارورة الطيب.. وعن استرداد اشعة قلبي، بعد ان سافرت في جميع الآفاق.. واشرقت بها عيون كبيرة المعاني.. وتعلقت بها آمال عذبة الوقع.. واديرت حولها محاورات اذكت الافئدة وفجرت القرائح.. كان موقفي حرجا بل شديد الحرج ازاء كل العرب.. وازاء المغاربة بصفة خاصة.. إذ كان هناك يوسف بن تاشفين.. وهو رجل لا ادري كيف اواجهه.. وكيف اتبت لعينيه.. وانا من عرفتم، مجاهرة بالحب، ومعالنة بنزعات الهوى.. وهو من تعرفون انقباضا حتى عن خفيف الدعابة.. وعفة حتى عن باسمات الظنون.. وكان اللقاء لا بد من بين امير صاربطلا اسطوريا على لسان الاسبانيات والاندلسيات...

اشتهر برقة السمت، وبراعة الحلة، ونقاوة اللفظ، ولطف الغزل، وذكاء الملاطفة، وبين ملك عظيم لا يحسن من اللعب الا الاختيال على ظهر الفرس، والتحدي ببريق السيف، والتوقي بهمزات الخصوم.. وانا رجل لا تعوزني الشجاعة، فبين جنبي قلب يتسع لألطاف الهوى ولهب

الحرب.. بيد ان المعتمد العاشق كان قد شوه سمعة المعتمد المقاتل.. كيف امد ليوسف بن تاشفين يدا متعودة على ارخاء الاوشحة.. وحل الضفائر.. ومداعبة خدود الورد.. وتطريز نقي الصحائف.. وليت شعري كيف هي يد الرجل.. اليد المشهورة بشد اللجم.. وتفتيت الصخر.. وكسر أعتى السواعد.. وهل ستقف بيني وبين رجل المغرب الكبير كاسي ولحني.. وحبي وفني.. فيراني اخاصبوات، لا يحسن الا ان ينام على نسيم المراوح.. وان يفيق على همسات الشفاه.. وان يتصدى لمجلس الانس.. وان يذهب بحياء الفتاة.. وان يحلى مرهفات الاصابع.. الويل لي من عيني يوسف بن تاشفين.. ستفصحان سري.. وتكشفان امري..

وكان لقائي برجل المغرب الكبير.. دخل اشبيلية دخول اسد حقلا من الزهور.. كانت المفارقة صارخة.. لحد ان خيول المرابطين هاجمت خيولنا بعنف.. وبادر الناس الى اخفاء آلات الطرب.. والتخفف من مظاهر الزينة جهدما يستطيعون.. ومع ذلك قريننا أصرت على اظهار شيء من تبرج.. ولم يكن من الممكن ان نرتد الى الوراء.. لنحاكي القبائل الرحل.. وكيف نخفي زجاجنا الملون، وآنيتنا اللطيفة، وماعون بيوتنا البارع الصنعة.. وما ينام على ابوابنا وأركان مقاصرنا من آيات الشعر..؟ وهبنا استطعنا ذلك، فماذا نحن صانعون بانفسنا.. بالانسان.. بكل مزاجه الفني، ووجدانه الشعري وحسه الحضاري، وشمائله المطبوعة على الرقة والرهافة..؟

كان يخامرني احساس بالذنب، وانا أواجه العيون المغربية الموحية بتصميم بالغ الخطورة.. حضرتني حينئذ نزواتي.. وسخر مني شيطاني البديع الزي، المخضوب البنان، العذب اللسان.. لطالما خرج الى من وراء الف واجهة.. و بمختلف الصور والاشكال.. وكان في النظرات المغربية ما يشبه العقاب.. وما يوشك ان يتجسم سوطا شديد اللسع.. و بذلت جهدي لأخفي ارتباكي.. واداري حيرتي.. بيداني لم البث ان احسست بقبضتي تتكور بعنف.. وذراعي تتصلب بشدة.. وانفي يستعيد شمما موروثا عن سادات لخم البواسل.. لقد حقننا المرابطون ضد ضعفنا.. ونصرونا على رخاوتنا.. وجعلوا حنيننا الى سيوفنا اكثر انعطافا.. والى دروعنا اشد التفافا.. فاصبنا بعدوى الغضب المرابطي.. وخيل الينا ان نارا مقدسة صهرتنا.. حتى تكشفنا عن معدننا النفيس.. بعد زوال كل زيف.. واحتراق كل آفة..

كانت اعتماد يومئذ سيدة كبيرة.. النظرة الغزلة آلت الى شيء من تعقل.. ولو ان المرح يباغتها بين حين وحين.. والثغر المنضد البديع الصنع، الرخيم النغم، اصاب حظا من رصانة.. ولو ان مشبوه الكلمات كان يند عنه في لحظات الانبساط.. اما القد، فرحم الله ايام غصن البان، وقضيب الخيرزان.. لقد رسخ وثقلت له فروع واغصان.. بينما تثاقلت القدم الجميلة عن العبث.. وتورعت الاصابع الرخصة عن الاستهتار وكبر الخصر العتيد عن الافتتان والدل.. ومع ذلك فلم تكن قصة حبي قد

استوفت آخر فصولها.. فما زلت قادرا على ان اقيم الدنيا واقعدها من اجل فرصة جميلة سانحة.. او نفحة هوى سابحة.. او عودة ذكرى محببة موشاة المعاطف.. وما زالت في اعتماد بقية رائعة من صولة الحسن.. ولو انها صارت اما لاربعة رجال.. تفاخر بهم المملكة، وتعقد عليهم كبار الآمال.. ضمت الى حلية الجمال روعة الجلال.. والى بقية من دلال فضلا من نخوة وسحر حلال.. ادخل عليها بعد ان رشدت المعاني في شعري.. والاحلام في خاطري.. وادركت شيئا من صواب عند استجابتي لاشعاع في جبين.. او حسنة على خد.. او اعتدال في قوام .. فما ان اصل لحظي بلحظها.. واربط لفظي بلفظها.. فتنساب بيننا الملاطفات، وتخلبنا رقاق الهمسات، وجميل الملامسات، حتى انقلب بين يديها اخا نزوة وصبوة.. وعاشق وصال وخلوة.. قد خشع منه الطرف، وترنح الخاطر، وتوثب الفؤاد..

وبعد خطوب جسام جاء رجال يوسف لاخذ اعتماد.. لانها اقترفت خطيئة الحب.. والقت شباك فتنتها على اروع فتيان العرب.. وجعلت اشبيلية كلها ذات سمعة عطرة.. عطرها مشبوه.. لحد انها داخت.. وترنحت.. ولم تميز لها بين نهار وليل.. عاجزة عن اغلاق ابوابها كلما دهمها النوم.. وهي المدينة المهددة.. المطلوبة رقبتها على سنة المسيح.. وسنة الفونسو السادس.. كان الفونسو يريدها باي ثمن.. ماخوذا بشخصيتها الجذابة.. وطلعتها السنية.. لعب بضواحيها الشطرنج.. وقطف

الفاكهة.. وتسكع بين الاشجار.. فما ان يرتد عنها حتى يعود لاستئناف الغزل والطواف وقطف الفاكهة.. كان قد ادرك أنه أخطأ الاسلوب الحاسم.. فاشبيلية في ذمة شخص آخر.. ارتبطت به برباط شرعي.. تحبه احيانا وتخاصمه احيانا.. وتخدمه قدر ما تستطيع. فمن اراد المدينة الملتزمة باحترام الزوجية، فلا وسيلة بين يديه الا الاستلاب.. مستحيل ان يتنازل رجلها عنها.. مستحيل ان تعلن براءتها منه.. ورغبتها في الظفر بوثيقة الطلاق.. كي تقدم نفسها جارية مملوكة الرقبة للدخيل.. لانها عربية، ومسلمة.. وذات انفة عالية كاخوات لها في مشرق ومغرب.. كذلك كان وضع اشبيلية عندما دوخها حب اعتماد.. ولهذا جاء المرابطون لالقاء القبض على امراة اشبيلية وسيدتها.. وكان اسمي ينتظم حروف اسمها.. وأجمل أشعاري مطرزة على ارق ثيابها.. ومذابة في الطف عطورها وطيوبها.. فلما امسكوا بها سار وراءها تاريخي كله.. وتحركنا جميعا نحو العدوة الاخرى.. واحببتها في الاسر، اضعاف ما احببتها في الحرية.. كانت في هزيمتها مهيبة جليلة.. نفس الكبرياء.. ونفس التعالي المحبب.. لم تنزل لها دمعة.. ولم تنكسر لها رقبة.. ولم يذل لها صوت..
وتلاقت نظراتنا مرارا.. فكان يخيل الى اننا مخفورون في حركة رسمية.. واننا في رحلة ملكية الى المغرب.. لنكون ضيوف يوسف امير المرابطين.. وتركنا وراءنا اشبيلية الجريحة.. لاحلام كريهة مزعجة.. وكنت اعرف اننا سوف نبقى في ذاكرتها الى الابد.. وسوف تبقى قصة حبنا فصلا من تراثها المجيد الخالد..

اثناء مرورنا بطنجة، وقف ببابي الشاعر الحصري الضرير.. و بيده قصيد، جاء ليقدمه الى وانا اسير.. يالسخرية القدر.. ولم اتعود ان ارد شاعرا جاءني بباقة زهر.. ولم يعتد مني الشعراء ان اهمل ازهارهم حتى تذبل بين ايديهم.. لاني شاعر للكلمة الجميلة والزهرة الجميلة عندي شرف رفيع.. وتكوين اضمامات الزهور حرفتي.. حتى اني اعتبر امهر زهار اندلسي على زماني.. ولما ظفرت باعتماد، لم يكن لها من عمل اشهى من ان تهتم بازهاري.. لانها من عبيرها في نشوة دائمة.. تقضي اجمل ايامها غادية بينها رائحة.. كانها فراشة حائرة.. كان معي ستة وثلاثون مثقالا - وهي ما اصبحت املكه - علقتها حلية على قصيد الحصري.. فخرج الشاعر مثقل اليدين.. وخرجت انا من الموقف غطريفا من غطارفة بني لخم حتى وانا في اسري.. وعجبت مدينة طنجة ايما عجب للجوائز الملكية تصدر عن معتقل.. واهتزت اعتماد للحادث.. وتاكد لديها انها مازالت اميرة مرموقة.. تشع الدنانير الذهبية تحت قدميها.. وتفيض الجداول من اناملها.. وهرول نحوي كل شعراء طنجة.. وتالمت كما لم اتالم من قبل .. لاني هذه المرة لا استطيع لقياهم.. اذ كانت يدي فارغة.. ولو قبلوا ان اصرف لهم جوائزي قصائد من نظمي لفعلت.. الا ان هذا غير وارد اطلاقا.. ولا يوجد شاعر يرضى بان ياخذ مقابل قصيدته جائزة من نفس الصنف.. فهذا يخالف الاصول.. سمعت بعض حراسي يلوم الحصري.. دون ان اتفق مع اللائم، وكيف أفعل والشاعر أبى الا ان

يضعني في موضعي الصحيح.. وكان شيئا لم يحدث.. لاشك ان الشاعر الضرير كان قوي الخيال.. لحد انه الفى طنجة.. لياتى باشبيلية.. وتجاوز الاسير.. ليخاطب الامير.. وكان شجاعا حقا.. لان قصيدته كانت في حد ذاتها ادانة لكل ما حصل.. ورفضا للامر الواقع.. وصياغة جديدة للموقف كله.. وقلبا لمنطق الاحداث راسا على عقب.. وافراغا لها من مضمونها المفتعل.. لاعطائها مضمونا آخر.. وتحويلا للانظار عن الجانب المظلم من الصورة... الى جانبها المشرق.. كمشهد مرح في تمثيلية مؤسية...

أو كابتسامة مختلسة في مأتم قاتم.. وبصنيع الحصري أكون قد اتحفت الأدب المغربي... وأضفت الى أوراقه الندية ورقتين لامعتين.. صحيح اني لم أبدع القصيد.. ولكني كنت من بواعثه.. بل لعلى باعثه الأول.. وأصارحكم بأني لم أتذوق حلاوة المديح، كما تذوقتها وأنا أسير.. ربما لأنه كان بمثابة رد اعتبار.. بعض الاعتبار.. فالحقيقة اني لم أكن قد فقدت لحد لآن اعتباري كله.. والا لما سمح سجاني بأن أتلقى المدائح.. وان أهب الجوائز.. وأن تنتقى اعتماد أجمل ثيابها فرحا بالمناسبة.. كانت اعتماد رائعة في ثوبها الجميل.. تلبسه على ذل الاسر والغربة.. وتبدو فيه شامخة في محنتها .. كممثلة بارعة في دور بطولي مثير للشجن.. واحسست بانا مدينون للشاعر الضرير.. فهو على الأقل خلق لنا حلما جميلا في ظروف الانحدار والارتطام.. واتاح لنا أن نعيش لحظات كنا نظنها قد ولت الى غير رجعة.. لكن لم يلبث كل شيء ان عاد الى

الجهامة والكآبة.. ولو تهيأ لي ان استبقي تلك اللحظات الوضيئة ولو الى حين، لكنت أسعد الناس..

وبدأ تجرعنا للغصص.. وابتلاعنا لكتل ضخمة من المرارة والخيبة.. ها نبدأ بخبر جاءنا عن زايدة..؟ اني لأشفق على الشهامة العربية ان تصاب بالجنون.. اذا هي سمعت هذا الخبر.. يعز علي أن يضطر الشرف العربي الى الشك في حقيقة نقاوته.. وان ينكس فرسان العرب رؤوسهم من خجل، اذا انا أذعت حديث زايدة.. المرأة التي تركت فراش أحد أبنائي الى فراش الفونسو السادس.. في ظرف عصيب.. وتحت ضغوط قاسية.. كانت زايدة من ألمع سيدات البيت العبادي.. لدرجة ان اعتمادا صارت تغار منها.. فاذا التقتا في مناسبة عائلية، أحس الحضور أن كلا منهما تحاول أن تطفيء وهج الأخرى.. وبالرغم من أن اعتمادا كانت هي المستقبل بالقياس الى حاضر زايدة.. فانها ـ أي اعتماد ـ تخرج دائما من المنافسة مرحة الأعطاف.. مخمورة بنشوة الظفر.. اذ أنها عرفت كيف تستفيد من أسبقيتها في التربع على عرش الجمال.. وذكائها الغريزي المصقول بذوق الحضارة.. في اصطياد لمحات من اللطف والظرف.. يالله.. هل أنا أتحدث عن زنبقتى الندية تحت تأثير سناء يبهر العين.. وذيول تجر فوق بساط من سندس.. ولكن لماذا كنت أطمئن على انني الفائز دائما، عندما كنت أتطلع الى عيون الحاضرين، فألمحها تتمسح بحسان البيت العبادي، لتستقر أخيرا على اعتماد.. كأنها اقصى مطارح

المنى، وأروع مطامح الخيال.. أترون ؟ لقد انساني حديث اعتماد حديث زايدة.. لدرجة اني صرت أهذي.. واضطرب بمخاض شعري.

ترى كيف استقبل الفونسو زايدة..؟ وماذا كان يجيش بخاطره وهو يطل عليها من فوق غطرسته ليراها راكعة تحت قدميه..؟ لاشك ان العلج انتفخت لغوده.. واحتقن وجهه بدم ازرق.. وكان في أوج حقارته، وهو يظن نفسه في أوج عزته.. غير مدرك ان الانتصار على امرأة ليس دليل شهامة.. وحري بمن اغتر به ان يتوارى خجلا.. الا ان لحظة الانتشاء بمفاجأة لطيفة كهذه. خليقة بأن تصرف الذهن عن ادراك كثير من خلفيات المشهد.. خصوصا وان المرأة المستسلمة كانت تملك اجمل اسلحة الأنثى.. بعد أن تعهدتها عاداتنا الأميرية بالتربية.. وهيأتها للحياة الرفيعة بكفاءة عالية.. كانت زايدة قد آثرت نفسها وزينتها وأزياءها وعطورها وهي تشاهد الأقدام الغاضبة الحاقدة تقترب منها.. فالتجأت الى حليف الأمس القريب.. راجية عنده الحماية والأمن.. لكنه ما أن شرب نخبها بضعة كؤوس من الخمر.. حتى تراءت له المرأة في صورة أخرى.. فما أن أصبح حتى قرر تنصيرها وتنصير أولادها.. وهكذا حلت ايزابيل محل زايدة.. ولا يمكن لايزابيل أن تقتل زايدة.. لا يمكن للشخصية التمثيلية قتل الشخصية الحقيقية.. ستحس ايزابيل دائما بان امرأة اخرى تنازعها جلدها.. تسرق منها افكارها.. تترجم صلاتها للعذراء الى آية قرآنية.. ستسحب من تحت ناظريها اسم يسوع.. لتضع موضعه اسم محمد.. ستوحي

اليها بان صلاتها المسيحية ضرب من الخيانة.. وان مضاجعة الفونسو ضرب من الخيانة.. فهي واقعة ومتورطة في خيانتين ، خيانة نبيها.. وخيانة زوجها.. ستتعذب كل منهما بالاخرى تزوج الفونسو زايدة بعد مقتل زوجها.. فضم الى نسائه ارملة رجل مسلم.. وعندما نصرها كان يكتب نصا مزورا عن وثيقة اصلية.. كان يسمي السرقة بغير اسمها ليحل عليه امتلاك المسروق.. كان يعطي لاحد رعايا دولة اخرى جواز مرور مزيفا.. زايدة اكرهت على نصرانيتها.. اعتقد الفونسو انه بتنصيرها يكون قد انتقم للمسيح من محمد.. وللكنيسة من المسجد.. وللصليب من الهلال.. ومادرى ان تدجين زايدة اعتداء على المسيح ومحمد معا.. لانهما ضد الاكراه في الدين...

اثناء خروجنا من الاندلس سقطت بعض الجواهر من عقدنا النفيس.. وكادت ان تنفرط كل حبات العقد، لولا عناية الله.. وكان عقدنا كبيراً ورائعا، يكون ثروة في حد ذاته.. ويكفيه شرفا ان امير المرابطين خصه بعنايته.. ومع ذلك انفرط العقد وضاعت منه بعض الجواهر.. هي جوهرة ثمينة.. هي ابنتي بثينة.. اميرة اندلسية اعدتها الطبيعة اعدادا بديعا.. وتلطفت في معاملتها بشكل ظاهر.. بينما حام حولها الشباب عارضا ازياءه وادوات زينته.. مبديا استعداده لمنحها اجمل هداياه.. وتجليتها عروسا تسبي الناظرين...

افتقدناها ونحن نعبر نحو العدوة الاخرى.. حارت انظارنا في كل

الاتجاهات.. عادت انظارنا مرتدة الينا كسيرة بمرارة الخيبة.. التقت وتناوحت وتساءلت وترددت بين اليأس والامل.. ثم اعياها الامر فصارت تبحلق في غباء.. وتجول من غير ما هدف. اما السنتنا فصارت جافــة كأنها لحاء شجر ميت.. أين تكون بثينة الآن ..؟ ماذا صنعت الا يام بقدمها الرقيقة.. ويدها الانيقة.. وهندامها مفرط الادب.. واحساسها شاعري الا يقاع..؟ هل وفدت اين تضع نفسها.. وتصون عزها. وتحمي عرضها..؟ ماذا ستفعل اذا تشوك تحت جنبها المهاد.. وتنتن من حولها الجو.. وآذى ناظريها المشهد.. وخشن في اصابعها الملمس.. وغلظ في بلعومها الطعام..؟ ومن لتلك الشمائل يحفظها من التلوث.. وذلك اللفظ يمنعه من الا بتذال.. وهاتيك النظرات يبعدها عن مواطن الغواية..؟ هل سيقيض الله لها ان تجد ما يعوضها عن عطف الوالدة، وغيرة الوالد، واحتفال الاهل، وبرور الاخوة..؟ لهفي على البشرة النقية، والخطو الرزين، والسمت الجميل، والشهامة الرفيعة، والخواطر الحسنة الظن بالزمان والناس.. أمسكت بمخنقى هذه التساؤلات، وكلما امعنت فيها امعنت في هي نهشا وتمزيقا الى حد يدعو الى الاشفاق.. كنت افضل ان لو ماتت على ان تضيع وتخلف وراءنا لاقدار مجهولة.. كنا نقف بينها وبين قدرها.. فصارت واقفة وحدها امامه وجها لوجه.. الا انه يراها ويقرأغيبها على حين أنها لا تراه.. لاتعرف ماذا يريد منها.. ولاعلم لها بوجهته ونزواته.. وتقلبات مزاجه..

من راى منكم فتاة نبيلة الملامح، خجول الطرف، كريمة الهندام، عفة اللسان، رضية الطبع، فاليعلم انها بثينة.. ابنة المعتمد بن عباد.. من طباعها انها تمشي الهوينا، مرفوعة الرأس، مسبلة الاهداب، هادئة الاطراف، وانها عاشقة للورد.. دائما راشقة في شعرها وردة.. وفي صدرها وردة.. لحد انها انزعجت من اجل ورودها عندما اكرهنا على الرحيل.. كان الورد لديها ارق صديق.. واجمل انيس.. فرأت الاعتداء عليه كارثة.. ومن طباعها انها رشيقة الالتفات لما ينادى عليها باسمها لا تستدير على عقبيها لدى سماعها للنداء.. تكتفي بنصف انعطافة من خدها الايمن او الايسر، نحو مصدر الصوت، ثم تمضي وقورا مستقيمة القوام.. واذا حدثت، اختارت كلماتها بمهارة وذوق.. كانها تطرز لغتها.. او تنضد عقدها.. او تنسق وردها.. الى ان كلامها مبرا من الفضول، واقع بين العتمة والضوء.. يدنيك ولا يطمعك.. ويمنيك ولا ينيلك..

غابت بثينة عن أنظارنا خلف ذلك البحر، يخيل إلينا أننا نلمح وجهها الحزين وراء ضبابه، ونسمع استغاثتها خلال هديره. لكن عندي انطباعا بانها ستتماسك.. ستجفف دمعها، وتدبر امرها، ولو أنها ربيبة نعمة ورفاه، فان معدنها صلب.. خبرته بنفسي عدة مرات.. آخرها تفكيرها في سلامة الورد والخطر داهم.. ومن طبع النفوس القوية ان تتجاوز العناية بشانها، الى العناية بغيرها اثناء تعرضها لمحنة.. فاذا كان هذا الغير بضعة اشياء جميلة.. لا تنفع في شدة.. ولا ترد عادية.. كالصور

الملونة، والزهور الحالمة، والورود الوديعة، كان ذلك ابلغ في الدلالة على قوة الطبع.. وكفاءة الشخصية.. ألم تعش بثينة في بيت تحتل السيوف المذهبة المقابض، والخناجر المرصعة الأغماد، ارفع مكان بين اثاثه..؟ الم تجلس الى اخوة لها كبار، تختال اسلحتهم حول قاماتهم الرفيعة..؟ ألم تكن ترى كيف كنا ننهض من مخادع نسائنا الى القتال.. وكيف كنا نحترف الموت.. متى كانت صناعته امرا لا محيد عنه..؟ الا ان حسن ظني ببثينة لا يعني حسن ظني بالايام.. اخاف على الجوهر النقي ان يذاب.. وتسفح دماؤه على مذبح الشيطان.. اخاف على الجبين العالي ان ترين عليه السحب.. وتغشاه الغواشي.. فيصير قطعة من صفيح.. وعلى القامة المشدودة الى فوق.. ان تضطرها الاعباء المباغتة الى الانحناء..

لكن هاهو صوت بثينة يشق كتلا شديدة الضخامة ليصل الينا بعد طول تردد بين الامل والياس.. بثينة تحترف التمثيل لاول مرة.. تبدل عنوان بيتها.. وشجرة نسبها.. فتزعم للناس أو يزعمون لها انها مجرد جارية.. وليت شعري كيف صدقوها او كيف صدقوا انفسهم.. ألم يلحظوا السمو في عينيها.. والجلال في عطفيها..؟ الم يشككهم ذلك الخلق النبيل. وتلك اللغة العفيفة..؟ امن اخلاق الجواري أم اماء التصرف الا يسترخصن الغزل.. والا يبعن الحب.. والا ياكلن بأثدائهن..؟ ام من اخلاقهن الا يحترفن الغواية.. والا يساومن على اتاحة المتعة.. وتانيس المجلس.. وتحلية اللقاء.. وتفكيه الحديث.. وانالة المنى.. ؟ اما اكتشفوا ابنة المعتمد

بن عباد، في تلك «الجارية» ذات الصنف الطريف..؟ هلا عرضوها على اذواقهم.. وفحصوها بخبرتهم.. ليروا ان كانت حقا كما تزعم.. او كما زعموا لها.. مجرد جارية.. تمتلك بقبضة من ذهب.. وتطيع بأمر من شفة وتقوم باشارة من اصبع.. وتباح بايماءة من راس.. وتباع لطائف من ملل...

ظلت بثينة تمارس التمثيل.. لعلها عانت الكثير وهي تمرن لسانها على الاستعطاف.. وترغم خطوها على الاسراع.. وتاخذ لفظها بالتمويه.. وتحني راسها بالاغضاء.. وتعفى شمائلها من التعالي.. وتعطل عطفها من الخيلاء.. وماذا كانت الفتاة النبيلة تصنع، اذا هي باغتها طبعها الاصيل.. واخذها سمتها النبيل.. فنهضت الى شخصيتها المعطلة تتنحى لها عن الطريق.. وتغسل عنها الوحل.. وتعرضها على المرآة وتفضحها بالاعلان.. وتسلس لها في اللغة.. واهبة اياها لملكاتها العتيدة.. وتربيتها الفريدة.. وورودها ذي الأريج النفاذ..؟ أكانت قادرة بعد حين ان تعود الى ذل الجارية.. هابطة من قمتها الرفيعة.. متنازلة عن امتيازها الرائع. متعرضة لاخلاق السوق.. تحتك بها جنوب مشبوهة اللمسات.. وتلسعها عيون فاجرة المعاني.. وتخاطبها السن مغموسة في مستنقع الغريزة..؟

وأخيرا تزوجت بثينة.. اعياها التمثيل.. فاستعادت كامل شخصيتها لما عثرت على رجل يكافئها.. رمت امامه بكل ثياب الجارية واخلاقها والوانها الزائفة.. وانتصبت اميرة من اسرة بني عباد مرشحة لتكون آمرة

في بيت اسس على التقوى .. لاماورة في مخدع سكر وعربدة.. مزدان با بيات من شعر.. وكؤوس من نبيذ.. وتوافقا على الزواج.. لكن بقي على الفتاة ان تاخذ راي ا بيها أسير أغمات.. وبعد تبريكه للزواج زفت بثينة إلى زوجها، ليضم الى بيته ثروة ادبية وسيمة الملامح عبقرية الصفات.. ترى ا ية اصا بع حبكت ثوب عرسها.. وا ية مواهب تكفلت بصنع الخمار.. وتذهيب المحيا.. وافراد الضفائر.. وارخاء الوشاح.. وتشجيع الساعد.. وتأنيس الاذن.. وتطريب الخطو.. وتوشية الحلم.. وتطرية الخاطر..؟ وكيف استقبل الزوج بقية عطرنا هناك.. شاهد الروض على اناقة الهندام.. ونفاسة البقل.. ومسك التربة.. واصالة الفرس..؟ لاول مرة تشرد منا حمامة عن العش الحميم.. فتتيه بين الهضاب والآكام.. الى ان يبرز لها ذكر من جنسها يدعوها الى اتجاه جديد.. ويقتحم بها موجة هواء ذات امتداد آخر.. ويعلمها ان تنظم مواعيد التحليق حسب توقيت من نوع مختلف.. وما اكثر الحمائم الاندلسيات اللائي ضللن الطريق.. واضعن موضع الاقامة.. خصوصا ذلك الصنف غير المتعود على التحويم بعيدا.. بيد ان حمامتي الصغيرة الرقيقة ربما كانت اكثرهن اثارة للاسى وبعثا للاسف.. لكونها غير خبيرة بتقلبات الجو ومباغتات الريح بالقدر الكافي.. أتراني مجرد اب منكوب يجتر احزانه.. ويمضع مرارته بطريقة مؤسية..؟ قد يكون..

هل عثرت بثينة على عش زوجي آمن..؟ ارجو ان يملك زوجها من

الشجاعة الادبية ما يمكنه من تنصيبها اميرة على قلبه.. ومن لطف الشمائل ما يكفي لاحترام شعورها.. واحتمال عقدتها.. وتفهم ظروفها.. وكم يكون احسن لو انه كان قوي الخيال.. وأوتي حظا من ابداع.. ونصيبا من بعد الرؤيا واختراق الحواجز.. كى يرى بثينة في صورتها الحقيقية.. وفي اطارها الاصيل.. مستعينا باطياف الامس القريب.. والطاف مجد احاطت به المكاره.. حبذا لوتر فقت يده بالوردة المرشوقة في المفرق.. وبالماء المترقرق في الشباب وبالحساسية المفرطة في البشرة.. وبالثوب المحبوك على املود.. وبالذراع المحنية على وداعة.. اذا لم يكن فيه الزوج ملطفا بالعاشق.. فلا اقل من ان يكون مرفقا بالفنان..

وعدت الى شعري.. كما يعود الطائر الجريح الى عشه.. يلونه بلمساته من دمه النزيف.. وكلما ترنح من آلام الجراح، كلما انداحت البقع الحمراء، وعادت الجراح فامتصت ما افرزته من دماء.. كنت انظم بساتين اشبيلية وامسياتها الرئعات، واصباحها الغافيات، وانفاسها العطرات الشاعرات، فاصبحت انظم جرحي ونزيفي واحزاني.. وليس كالشعر صديقا، اي غذاء قدمت اليه يسيغه.. اذا اطعمته عسلا وفاكهة وحلوى، لا يرفض ان تطعمه بعد ذلك مرارة ونارا ودفلى.. كل المواد الغذائية تتحول في باصرتيه الى اشعاع.. وليست امتعته ذات طبيعة واحدة.. فعنده الاشعة المارة على براكين الغضب.. والمارة على مقاصف الطبيعة.. وان الشعر الندي برحيق وردة، هو نفس الشعر المرفوع فوق رأس حربة..

عدت الى شعري، فطرحت بين يديه قضيتي كلها.. والقيت اليه بكافة اعترافاتي وحججي.. بعد ان اعطيته توكيلا خاصا ليرافع عني في محكمة التاريخ.. وكنت اعلم ان القضية التي يتولى الشعر الدفاع عنها سيكون خصومها كثيرين.. لان لغة الشعر لا تقنعهم.. بالطرق نفسها التي يتولى الشعر الدفاع عنها سيكون خصومها كثيرين.. لان لغة الشعر لا تقنعهم.. بالطرق نفسها التي الفوها في الاقناع.. ولكنها بالمقابل، ستجد من ينحاز اليها بدون تحفظ.. وربما تجند لمناصرتها بكل ما يستطيع.. ولعل لغة الشعر وحدها هي التي انقسم الناس في شانها الى اعداء وعاشقين.. طائفة اتقتها بالمتاريس.. ورصدت لها من يطردها ويسد في وجهها السبيل.. وطائفة الفت لقاءها بالاذرع المفتوحة.. والاحضان الحانية.. والخاطر المتألق.. والقلب الجذ لان.. ولذلك تجد كلمات الشعر اما مذبوحة بسكين حاقدة.. واما مترقرقة في احداق متوهجة.. تطرف إلى حد العداء أو الى حد الفداء.. الشعر بطبعه اناني.. مفرط في النرجسية.. يريدك كلك.. منفذا لجميع بنود شريعته.. مستعدا لمجاراته حتى النهاية.. ولاسبيل لك الى التخلص من هذه التبعية الخطرة، الا ان تعاديه على طول الخط.. فلو وقفت موقفا وسطا، لكنت عرضة لاسلحته التي لا تقاوم.. وضحايا الشعر كثيرون.. ذهبوا ضحية غرام قد لا يكون محمود العواقب.. وان القصيدة الاولى لكالكأس الأولى.. ما ان ترشفها حتى تحن الى ايام الرضاع حنينا لا يقاوم..

وصدرت الكلمات عن شفتي مزهوة الاعطاف كعادتها.. موفورة الجمال كعادتها.. لم اردها على ذلك.. طبعها وحده هو الذي يختار لها الهندام... ويقترح عليها عطره المفضل.. وما ان انتهي من اعطائها حرية مسامرتي، حتى تقوم الى زنزانتي فتمسح على جدرانها الكالحة فاذا بها تنقلب ذات وجه بشوش.. وتحوم في جوها الكئيب فاذا به يتشبع من طلاقة ورواء.. ثم ترتمي على صدري رشيقة الحركة، ناعمة الجانب، فتنزاح عنه القتامة ويطرفه الانشراح.. لكن كلماتي لا تلبث ان تمل لعبتها المرحة، ويعاودها وجوم كوجوم الشجر الحزين.. ويقبضها هاجس منكر يشيع الاسى ويرميها بالتوتر.. وهكذا اجد تعاستي في اسباب سعادتي.. وقلقي في صميم راحتي.. وجحيمي في قلب جنتي.. فاشرق بالماء الذي حسبته زلالا.. واشنق بخيوط الحرير.. وقد ظننتها مادة عش دافئ ناعم المهاد.. والعن الشعر بعد ان رفعته فوق كل اعتبار.. واطرحه جانبا ضيقا به عزوفا عنه.. كانه خطيئتي الفاضحة.. بعد ان صليت لله لحظة مولده.. واعتبرت نفسي محبوبا عند الله.. لانه اقدرني على الخلق.. حتى وانا في محنتي.. بالامس فقط، زارني الشاعر ا بن اللبانة.. فوجدني في خصام مع شعري.. لحد ان كلماتي كا يد تني.. وسخرت مني.. كأنها ذنوبي تطالعني في لحظة ندم.. بجانبي قصيدة فرغت من نظمها قبل حين.. اخفيتها عن ا بن اللبانة.. رميت عليها بعض اسمالي.. وكتمت اريجها حتى لا يفضحني.. بيد ان الشاعر الزائر اكتشف بغريزته الفنية

ان في غرفتي او زنزانتي انفاسا شعرية.. وانني أحضن قصيدا من اروع الشعر.. وكيف أتمادى في اخفاء شعري عن ا بن اللبانة وهو الذي يتنبأ بالجنين الشعري اذكر هو أم انثى..؟ ولم تلبث قصيدتي المخفية ان برزت له فتلقفها بيدين نهمتين.. وماهي الا لحظة حتى خلتني ارى طيور اصفيرة جميلة الالوان ترفرف حولي وتغازلني بلمسات من اجنحتها الوديعة.. وتهمس في اذني همسات لطافا ولكنها حزينة كانها نجوى عشاق خائفين متوجسين.. فعاد الى شيء من مرح.. ورقص خاطري برقيق المعاني.. وما ان انتهى الشاعر الزائر من قراءة كلماتي، حتى كنت في حالة اشراق وجداني عبقري الايحاء.. وبعد انصراف ا بن اللبانة الفيت الطيور الجميلة الالوان تسقط ميتة على مرأى مني.. لحد اني بدأت اشم رائحَة التعفن.. حتى ليخيل الي ان التعفن صادر عني .. وامتدت يدى الى الجثث الهامدة تواريها عن الاعين.. كمن يصحو آثار جريمة ارتكبها.. لكن لا تكاد تمر بضعة ايام او بضع ساعات، حتى احس بالجثث تضطرب من جديد، فيكون لها بعث.. وماهي الا ان يبدأ التحليق .. ويسلس النشيد.. وينتعش الجو.. كنت اموت وابعث شعريا بين لحظة واخرى.. ما بين تطوافي في آفاق الخيال، وارتطامي بارض الواقع الا فاصل وهمي.. ارتفاعي يخيفني.. لأنه مصحوب بالقلق.. معروف غده الآتي لا محالة بعد لحظة تقصر أو تطول..

وماتت اعتماد.. استاثر بها ملك الموت دوني.. ذهب بارق سيدة

عرفتها اسبانيا الاسلامية.. واجمل شاهد على ان ذوقي كان من الذكاء في قمة عالية.. قمت بتمريضها بنفسي.. اقرأ لها شعري الذي تحبه كثيرا.. لم اكن اعلم ان الشعر مركب طبي يمكن اضافته الى عقاقير الصيدلية العربية. الا عندما لمست اثره العجيب في اعتماد. اثناء مرضها القصير.. واحبه اليها ما كان مستمدا منها.. مردودا اليها.. طائفا حولها .. وتزداد به شغفا متى انشدتها اياه بصوتي.. حيث تحمر وجنتاها.. ويشرق جبينها .. وتحار يدها بين خصلات شعرها تداعبها.. وبين معصمها تعصره عصرا خفيفا وكانها تستنجد به من هواتف وجدانها المستثار.. ولم يكن لدي من الادوية ما استعين به على مرضها الا آيات القرآن وشعري.. ونحن في عزلتنا النائية.. كان ترتيل القرآن على مسمعيها يهبها الطمأنينة.. ويمنحها الصفاء.. وكان انسكاب شعري فيهما يعود بها الى ايام جرالذيول.. ولبسة المتفضل.. والغزل بين الشرفات.. فتنهض من مرقدها واهمة أنها ذاهبة إلى بستان الورد لتعود الي بباقة منه كعادتها.. مختالة في خطوطها كانها تمشي على طنافس من ديباج.. فما ان تتقدم قليلا حتى يتعبها الداء. فتلقي بنفسها الى الارض في تهالك.. وكل يوم يمضي كان يقتطع منها جزءا. الى ان ذهبت كلها تاركة اياي لاصابعي آكلها.. ولحزني اجتره واتخذ منه غذائي اليومي.. وغذاء الاحزان مرهق. يجثم على النفس وكانه الكتل الجوية الحارة في يوم شديد القيظ.. ولطالما ابتلعت كتل حزني حتى تحول باطني الى مخزن للفحم قبيح المتنفس..

ولست ادري ما الذي استدعى الى ذاكرتي في هذه الا يام الشاعر الراحل ابن عمار.. كما لست انكر ان تمثله لخاطري كان لي مفاجأة ممزوجة ببواعث الاسى وبواعث الابتهاج.. فقد كان ابن عمار جزءا من حياتي الوجدانية في عهود دخلت.. دوخ شبابي بلطائفه، ووشى ايامي بمباهجه، واتحف مجالسي بروائعه، ينظم مجلس الانس، ويرخي عقدة اللسان، ويقرب بعيد المنى، ويطوع عصي الشعر، ويبسط جهم الاسارير، ويغافل سنات الدهر، ويلفق اجمل الاكاذيب، ويفتح منغلق الشفاه، ويلاعب زهرة العمر، ويمد في عمر المسرات، ويسكر اعطاف الليالي، ويباشر تشقيق الاحاديث.. تتبخر همومي في محضره، ويعذب بياني بانصاته، ويخف روحي لمرآه، ويطيب عيشي بعشرته، لحد اني اشركته في فراش نومي، وسقيته كاس شرابي، وكسوته جميل ثيابي، وابحته رواية شعري، ووكلته تصريف شؤوني، فاقترنا في ذاكرة الناس اقتران القد بظله، والصوت برجعه، والقصيد بوزنه.. الى ان كان من امري وامره ماهو معروف.. وطويت صفحة من حياتي معه لازلت اقلبها وانتشي بجمالها وآسى لاحزانها بين الحين والحين.. والآن تحضرني ذكراه، فيخيل الى اني معه على ميعاد لم يبق له الا بعض الوقت.. وان كل يوم يمضي يد نيني منه خطوة او خطوتين.. وان يده تمتد نحوي من وراء ما بيننا من تخوم، لتعينني على اجتياز البرزخ المخيف بشجاعة..

لو ان ابن عمار كان بجانبي في هذا الظرف، لربما تبدلت الاشياء

في ناظري.. ولربما اشتق لي من صميم مأساتي اسباب مسرتي.. فهو الرجل الذي صرف الفونسو السادس عن غزو اشبيلية بلعبة شطرنج.. وهو الرجل الذي ترك مخلاة الشعير الى مرقاة الوزير.. وسوق الحمير الى بلاط الامير.. وهو من يملك الراي ونقيضه، ومدخل الامر ومخرجه، ومبدا المشكل ومنتهاه، وقبيح الشيء ومرتضاه.. فمن لي به الآن ينجدني بذهنه الثاقب، ويرفعني بجراته العجيبة، ويسليني بمنطقه العذب، ويوهمني بمبتكراته المستملحة، ويحملني على منهجه المختار، ويدنيني من خطته المحكمة، ويريحني من وساوس نفسي، ويحميني ضد غوائل خاطري.. رحمك الله ياابن عمار، وغفر لي ولك ما اذعناه من هوى، وما اعلناه من استهتار، وما تعشقناه من فتون..

فاس **عبد العلي الوزاني**

الحرب المغربية الإسبانية

على لسان أنجلس

-2-

محمد الخطيب

واخيرا ا بتدأت معركة المغرب، وهي البداية الحقيقية لتلك المعركة التي كانت نهاية اللون الزاهي الذى كانت الصحافة الاسبانية وكان حماس الشعب الاسباني يصبغانه على الجنرال ادونيل الذي اصبح مجرد جنرال متوسط الاعتبار. اذ انه بدلا من قيادته الخيالية لجيوش كاسطيا وليون، اصبح مجرد قائد لجيوش الاميرة. وبدلا من (ارتدائه) السيوف الطليطلية، لم يعد غير قائد يزاول عمليات المدفعية المحدودة (التي ترمى) القنابل المجعبة.

فقد شرع الاسبانيون يوم عشرين ديسمبر في بناء الطريق الصالحة لسير المدفعية والعربات على ارض منعرجة تنزل وتصعد انطلاقا من جنوب سبتة. فلم يحاول المغاربة قط مزاولة اية عملية من شأنها افساد

الطريق وتحطيمها. فكانوا يقتصرون في عملياتهم على الهجوم مرة على جيوش بريم التي كانت تقوم بحماية بناء الطريق او يشنون مرة اخرى هجومهم على المعسكر نفسه. فلم يكونوا بعملهم ذاك يصادفون اي نجاح، اذ لم تتعد تلك العمليات الحربية كونها كانت مجرد اشتباكات امامية كان اهمها اشتباك يوم 27 ديسمبر التي لم يخسر فيها الاسبانيون غير ستة اشخاص وجرح ثلاثين آخرين.

وقبل انصرام السنة تم بناء الطريق، الا ان هبوب عواصف مفاجئة وهطول امطار غزيرة، قد حال دون امكان تحرك الجيش الاسباني.
ولكن الاسبانيين كانوا بانتظارهم يرمون لاطلاع المغاربة على سائر التحركات التي كانوا يعتزمون القيام بها. اذ في تلك الاثناء قام الاسطول الاسباني الذي كان مكونا من عدة مراكب شراعية ومن بعض مراكب للخطوط وثلاث بوارج حربية من ذوات الرياش وثلاث مراكب اخرى من ذوات العجلات محملة باربعة وعشرين مدفعا، بالهجوم على مصب نهر تطوان فقامت بقصف ما كان هناك من حصون، وذلك يوم الرابع والعشرين من دسمبر. وقد استطاع الاسطول الاسباني اسكات الحصون (المغربية) في ظرف ثلاث ساعات فتمكن من تحطيمها. وكانت تلك الحصون نفسها قد تكبدت قصفا آخر قبل شهر وذلك من طرف الاسطول الفرنسي الذي كان عدده اقل من ذلك.

وقد ابتدأت الجيوش الاسبانية تحركاتها يوم اول يناير بعد ما

تحسن الطقس يوم 29 دسمبر. وابقى على فرقة من الفرقتين اللتين تم نزولهما بسبتة من افريقية وذلك قصد القيام بحماية المدينة بقيادة، اشاكدى.

وبالرغم مما كان قد تفشى من امراض بين تلك الجيوش فان حالتها كانت قد تماثلت للتحسن نظرا لتطبعها بطبيعة الاقليم. وقد اصبح عدد الجيوش الاسبانية، خلال تلك الفترة، يبلغ عشرة آلاف جندى بالإضافة إلى الفرقتين الثانية والثالثة زيادة على الفرقتين اللتيـــن كـان يقودهما كل من ثبالا وريوس دى أولانو والجيوش الاحتياطية بقيادة بريم. فاصبح بهذا مجموع الجيوش الاسبانية يتراوح بين واحد وعشرين واثنين وعشرين الفا من الجنود. وقد شرع الجيش الاسباني في تحركه يوم اول يناير، وكان كل جندي يحمل معه عدة ستة ايام، فبلغ مجموع حصص التغذية مليون حصة تكفي لتموين ذلك الجيش مدة شهر كامل. والمليون حصة كانت تحملها قطع الاسطول البحري الذي كان يرافق الحملة من البحر.

وقد قامت تلك الجيوش باختراق المنطقة الجبلية جنوب سبتة، فكانت جيوش بريم تسير في الامام وجيوش ثبالا في الوسط واوكلت المؤخرة لجيوش ريوس دى او لانو.

لم تكن الطريق الجديدة تمتد اكثر من ميلين ابتداء من المعسكر

العام وتسير في سهل شبه دائري حدو الشاطئ، بينما الطريق الجبلية لم تعد القوس الجبلي الذي يخترق الجبال لغاية بداية السلسلة.

ان جيوش بريم لم تتحرك الا بعد ما وقعت الاشتباكات الحربية. فقام جيش المشاة الاسباني بدفع المغاربة بسهولة والقيام بابعادهم عن السهل واجلائهم الى الروابى التى كان السير فيها صعبا.

ووقع في هذه الاثناء سوء تفاهم بين الجيوش الاسبانية، اذ أن بعض فرق من جيوش الاميرة شنت حملة ضارية قامت بسببها باختراق خطوط المغاربة وتمكنت من التوغل في اراض جبلة كانت ملتوية في كل الاتجاهات. ونظرا لكونها لم تعثر على خيل او بغال تقوم باطلاق النيران عليها، اضطرت للتراجع للوراء فتكبدت خلال تراجعها خسارة سبع ضباط كانوا يقودون تلك الحملة زيادة على ماسقط في تلك المعركة من جنود. اذ باستثناء بطرية او بطرتين من بطريات المدفعية التي كانت تحمى جيش المشاة فان الجيش المذكور قد تكبد عبء تلك المعركة بعدما اضطر لخوض غمارها. وقد ساعدها في ذلك عامل معنوى بسبب شعورها بالتأييد من طرف المدفعية وبالقصف البحرى الذي قامت به قطع الاسطول من البحر.

يستنتج من هذا ان خطة اودونيل كانت ترمى للعمل في السهول والمكث بها دون القيام باحتلال الجبال التى جعلت حدا للمعركة من

جهة الجنوب. وتنفيدا لهذه الخطة وعملا للحفاظ على المراكز (المحتلة) صدرت الاوامر لبريم للقيام بطرد المغاربة من سفوح الروابى الشمالية ثم العودة أثناء الليل الى مراكزها. وقد قام بريم وهو احسن الجنود مقاتلة بخوض معركة ضارية انتهت بقيام الفيلق كله بغزو تلك الجهات رغم تكبده من الخسائر. وبذلك عسكرت امامية الجيوش في الجبل وتحصنت فيه. وقد خسر الاسبانيون خلال تلك المعارك 73 قتيلا و481 جريحا.

ويدعى المركز الذى وقع احتلاله بكسطيبيخوس (الفنيدق) الذي هو عبارة عن بنايتين صفراوتين تقع احداهما عند سفح الجبل قرب السهل، وتقع الاخرى عند قمة الجبل الذي قام بريم باحتلاله مساء.

والاسم الرسمى الذي يطلق على ذلك المكان هو معسكر كونديسه.

وقد شن المغاربة في اليوم نفسه غارة بسيطة على سبتة وهجموا على الحصن الواقع عند الجناح الايمن محاولة لفصله عن الحصن الآخر الواقع على الميسرة. لكن جيوش اشاكوى قامت بسهولة برد ذلك الهجوم.

اما الفترة التي عسكرت فيها الجيوش الاسبانية بمعسكر كونديسه فقد دامت ثلاثة ايام تمكنت خلالها مدفعية المعركة وكذا بطرية من بطريات المركز مع فرق المشاة التي كانت تتألف من فرقة كاملة تضم ثمان فرق اخرى كانت تابعة للحرس الملكي وكذا اربعة فرق فولاذية مع اربعة فرق من حاملى الرماح للوصول الى المعسكر العام. وبلغ عدد

تلك الجيوش 1200 جندي. وقد تخلف في الوراء جيش من أجـــــل المحاصرة كان يضم بطرية مدفعية من عيار 12.

وفي اليوم الثالث توجه اودونيل صوب جبل نيكرو الذي هو الخط الجبلي الثاني صوب الجنوب ان الطقس كان لا يزال صحوا والنهار دافئا وان كان الليل شديد الرطوبة. غير ان وباء الكوليرا كان لا يزال متفشيا في فرقتين اثنتين الامر الذي كان سببا في الانهيار الحاصل بين تلك الفرقتين. وقد اصبح عدد المهندسين لا يتجاوز رقم 135 من مجموع التسعين الذي يشكل عدد كل فرقة من الفرقتين.

والى هنا نعتمد في القول على ماجاء ضمن التقارير الرسمية. ونحن نعتمد فيما بعد على البرقيات القليلة الوضوح والتي يكون الاطمئنان اليها ضعيفا.

ففي اليوم الخامس استأنف الجيش زحفه وقد عسكر في اليوم السادس شمال وادى نيكرو بعد ان اخترق الطريق دون ان يلقى صعوبة تذكر او يلقى اية مقاومة. وليس من الواضح ما اذا كان هذا الجيش قد قام باحتلال نيكرو او انه قد عسكر في السفح الجنوبي له.. وطبقا لما اشيع فان الجيش (الاسباني) قد اصبح على بعد لسان واحد من تطوان وانه قد قام برد هجوم قام المغاربة بشنه.

وفي اليوم الثالث عشر قام الجيش الاسباني باحتلال جميع المراكز

برأس نيكرو فحتق بذلك نصرا كبيرا اصبح معه في مواجهة لتطوان حيث ستقوم المدفعية بسبب ذلك بقصف للمدينة ؛

وفي اليوم الرابع عشر نزلت فرقة ريوس عند مصب نهر تطوان وكانت الفرقة المذكورة قد تجمعت بمالقة. فقامت باحتلال جميع الحصون التي كان الاسطول قد قام بقنبلتها قبل خمسة عشر يوما. وقد اصبحت تلك الجيوش في اليوم السادس عشر من الشهر على اهبة اختراق النهر والقيام بالهجوم على تطوان.

ويستحسن هنا طبقا لسير الامور ان نشير الى ان الطريق لتطوان (من سبتة) تعترضه اربع خطوط جبلية فيما بين هذه المدينة ومدينة سبتة. وهي جبال يتحتم اجتيازها. فالخط الاول يبتدىء مباشرة من معسكر سبتة ويسير بعدها الى سهل كسطيبيخوس (الفنيدق). ويأتي الخط الثاني الذي ينتهي جنوب السهل الذي يحده. ولقد احتل الاسبانيون الطريقين في اليوم الاول للهجوم. ويمتد خط جبل نيكرو جنوبا نحو مرتفعات اخرى ذات اعتبار اكثر تدعى رأس نيكرو الذي يجرى في الجنوب منه نهر تطوان. وقد كان المغاربة بهجومهم في اليوم الاول على جناحي الجيش الغازى يحاول سد الطريق الى تطوان في وجهه. وقد كان من المنتظر ان تجرى معركة حاسمة عند رأس نيكرو قصد الاستيلاء على الطريق الى تطوان. وذلك ما وقع يوم 13 من الشهر.

وحسبما يظهر فان الاستعدادات لتلك المعارك لم تكن مشرفة لاي من الطرفين حيث لم يكن منتظرا من المغاربة ان يقوموا بعمليات غير نظامية مستعملين الشجاعة والحيل شأن اناس شبه متوحشين. وبذلك تبين انهم ناقصون. فلم يظهروا حتى ذلك التعصب الذي اظهرته القبائل الشاطئية الجزائرية ولم يقوموا حتى بما قام به الريفيون في مواجهة الفرنسيين. وطبقا لما يظهر فان المناوشات التي جرت امام معسكر سبتة قد بردت الحماس والقوة التي اظهرتها عدة قبائل عند البداية في المعارك وحتى المفهوم الاستراتيجي قد وصل من الرفعة درجة ما ابداه الجزائريون. اذ بنهاية اليوم الاول وقع التخلي عن الخطة التي كانت منحصرة في الهجوم على الجناح ومؤخرة الفيلق الذي كان يسير سيرا حثيثا وكذا القيام باي تهديد للخطوط التي كانت تشده الى سبتة. فهم بدل القيام بذلك اجهدوا العمل للاستيلاء على الاراضي التي كان الاسبانيون يحتلونها محاولة لسد الطريق في وجه الجيوش الزاحفة على تطوان فقاموا بما كان يلزم اتقاؤه وهو خوض المعركة وجها لوجه. ولعلهم قد ادركوا الآن ان القيام بحرب صغيرة هو الامر اللائق من اجل انهاك العدو نظرا لعدد رجالهم وطبيعة اراضيهم. فالاسبانيون يفوقونهم من ناحية الانضباط والسلاح وهم رغم ذلك يجابهون صعوبة في تحركاتهم نظرا للعراقيل الكثيرة التي كانوا يجهلونها والتي تكون كل تحرك معها صعبا نظرا لضحالة الأراضي وانعدام الطرق بها.

لقد تابع الاسبانيون العمل بمثل ما ابتدأوا به فهم بعد الراحة الكسولة التي دامت شهرين بسبتة، قد قاموا بقطع مسافة عشرين ميلا خلال ستة عشر يوما. اى انهم قطعوا خمسة اميال في طرف كل اربعة ايام. ومع الاعتراف بجميع الصعوبات الطرقية فان ذلك يعتبر بطأً لا يتناسب مع مجريات الحرب الحديثة. ان العادة في ادارة فرق مهمة من الجيش وتهيئ القيام بعمليات مكثفة وتحريك جيشي هو وان كان لا يساوي فرق الجيوش الفرنسية خلال معركتها الاخيرة بايطاليا قد وقع تناسيه من طرف الجنرالات الاسبانيين. اذ كيف يمكن من غير هذا تفسير البطء الحاصل ؟ ان الجنرال او دونيل بمدفعيته كلها كان يوم ثاني يناير موجودا بكسطييخوس (الفنيدق) باستثناء قطار المحاصرة. ومع ذلك فقد مكث يومين اكثر من ذلك ولم يتحرك الا في اليوم الخامس. ان مسيرة الفيلق على ما يظهر كانت منتظمة. ومن الصعب ان تكون غير ذلك نظرا للابطاء في السير. ويظهر ان الاسبانيين بما كان يصلون من نيران، قد كانوا يسخرون من العدو نظرا لتفوقهم في الانضباط ونظرا للحظ الذي كان يواتيهم في المعارك التي خاضوها. الا ان هذا التأكد من النصر سيظهر اذا ما استمر عندما تنخفض المعنويات وتنخفض الناحية الفيزيكية للجيش بسبب الطقس واتعاب المعركة فتتحول الى تراشق وحرب عصابات. هناك قليل مما يمكن القول به نظرا لما تقوم به القيادة الآن ونظرا لكون التفاصيل المعروفة حتى

الساعة تعتبر غير كافية باستثناء ما هو معروف عن المعركة الاولى. وأؤكد هنا على خطأين مهمين من اخطائنا هما : الحمولة التي يحملها الفرسان، والتقدم الذي احرزه بريم معرضا عن التعليمات التي تسلمها. اذ ان الجيش اذا ما تعود عليهما سيصبح الامر خطيرا بالنسبة اليه.

من المحتمل ان تكون مدة الدفاع عن تطوان قصيرة، لكن الدفاع سوف يكون شديدا فمما لاشك فيه ان التحصينات هناك رديئة، غير ان المغاربة اشداء جدا في الدفاع داخل الحصون. تجلى هذا في القسطنطينية وفي غيرها من المدن الجزائرية. وقد تحمل الينا انباء باحتلال تطوان. واذا ما تم ذلك فان من المنتظر ان تعقبه فترة هدوء بالنسبة لسير المعركة. فالاسبانيون سيكونون في حاجة لوقت ضروري من اجل تحسين الطريق بين سبتة وتطوان، والى جعل تطوان قاعدة جديدة للعمليات وانتظار وصول نجدات جديدة، وبعد ذلك ستكون العرائش او طنجة هدفا لتحركات الجيش.

(نيويورك دايلي تربون 8 فبراير سنة 1860)

تطوان **محمد الخطيب**

تحيّة (●)

علي الصقلي

باكـر الـروض شـذى عــطـ ـــر يساقـــي الزهـــر خمـــره
ويثيـر الـدوح، حتـــــى تنطـق الخمـــرة طيــــره
فسألنـــا : أهـــو الزيـــــ ـــتون، قـد أقبـل بكـــره ؟
جـاء يهدينــا ربيعـــــا ثانيـا، أنصـع خضــــره
وعلــى شـــم روابيـــــ ـــنـا جـرى حسنــا ونضـــره
ليـس إلا هــو ! يابـى الـــ ـــطيــب ان يكتـــم ســـره !
ليـس مـادون الــذي قــد بـارك الرحمــن خيـــره
وعلـى أغصانـــه شـــــا د الســلام السمـــح أمـــره

(●) ألقيت في حفل العشاء الذي أقامه السيد الحاج محمد أباحنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية تكريما للسيد محمد اليعلاوي وزير الشؤون الثقافية في الجمهورية التونسية.

أوسـع الأنفـس يـا زيـ ـتـون بشـرا ومسـرة
وعلـى أربعنـا سـل نفـس الخلـد وعطـره
أيهـا الوافـد مـن تـو نـس، مـن معقـل عقبـه
والهـوى يزجـي مطايـا ه، ويحـدو الشـوق ركبـه
نحـو دار لـم تكـن يـو مـا سـوى دار الأحبـه
لـك، ياخيـر أخ، كـ ـل أخ فتـح قلبـه
لـم يـزل يسـأل، لـلقـ ـيـا، لهـذا العيـد، ربـه
ناظـرا يومـك هـذا شاخصـا بالقلـب صوبـه
فإذا الحلـم الـذي هـد هـده، لـم يسـل جنبـه
عـاد مـلء العيـن، يغشـى في الحنايـا كـل حبـه
وإذا زهـر الأمانـي خضـل، زركـش دربـه
وإذا الأقصـى إلـى الأد نـى عنـاق بعـد غربـه
كـم هفـا كـل إلـى صـا حبـه، ينشـد قربـه
لـم يجـد ـ عنـد تجافـي الـ ـحـق ـ إلا فيـه حبـه
لا ! ولـم يـرض سـواه يفضـح الظلـم وصحبـه
إنمـا تونـس والمغـ ـرب فـي شـرع المحبـه
مثـل كـان، ويبقـى للـذي أخلـص حبـه

●●●

عيدنا هـذا بنـور الـ ـفكـر والفـن أهـلا
رائعـا، أو مـض فـي أعـ ـماقنـا ساعـة حـلا
كشعـاع الشمـس فـي أكـ ـنـاف ديجـور تجلـى
حمـل البشرى إلـى الظـا مـىء والملهـوف حمـلا
وكجسـر وصـل الأر حـام، طـاب الجسـر وصـلا
لكأنـي بابـن خلـدو نِ علينـا قـد أطـلا
ومـن الزيتونـة الكبـ ـرى، ألا جلـت وجـلا
حيـث لـم ياتـل مـن مـو ردهـا نهـلا وعـلا
هـب يدعـو اللـه ان يـر عـى سنـا العيـد ويكـلا
وبصحـن «القرويـيـ ـن» التـي آوتـه طفـلا
قام يبنـي، ثـم فـي سـا حتهـا - روحـا وعقـلا
ويبـاري القـوم، مـن أضـ ـحوا لـه صحبـا وأهـلا
وكـذي قبـل لهـم مـن مجتنـاه كـل أغلـى
فليفـز واردهـم كالـ ـأمس، بالقـدح المعلـى
وليـدم للفكـر مـا قـد شـاده فرعـا وأصـلا

• • •

أيهـا الوافـد كـن بـر دا، كمـا أنـت، ورحمـى
خلنا، في ظـل هـذا الـ ـعيـد، نحيـا العيـد سلمـا
نتساقـى أكـؤس الافـ ـكـار آدابـا وعلمـا

خلنا ننهب وقتا — لم يشب حقدا وظلما
بعد ان لم يالنا إخـ — واننا غدرا وهضما
آه كم ذا نحن، فيما — بيننا، للسلم أظما
فمتى نصحو ؟ ويغدو — شبح الفتنة حلما
يالقومي، ولخلف — بينهم ما انفك أعمى
لتضيء أيامنا في الـ — أفق الأسحم نجما
وليكن غصنك يا زيـ — تون، منذ اليوم، أسمى

الرباط — علي الصقلي

ملاحظات عن سيرة الثعالبي

للدكتور قاسم السامرائي
ترجمة : د. ابتسام مرهون الصفار
عن مجلة : Bibiotheca Orintalis
Juli 1975

ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي هو المؤلف الذي الف اهم الاعمال الادبية، وخاصة ما يتعلق بتاريخ الادب في العالم الاسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين على وجه الدقة.

ومن المعلوم انه الف اكثر من ثمانين مؤلفا، وما يقارب الخمسين منها ما يزال موجودا في المكتبات المختلفة (1).

اتفق مترجمو حياته بالاجماع على انه ولد في عام 350 هـ/961 م وتوفي اما في سنة 429 هـ/1037م او في عام 430 هـ/1038 م (2). وعلى

1) - بروكلمان 337/1 وذيله ج 499/1 - 502.

الرغم من شهرته كعالم واديب لا يعرف الا القليل عن حياته. هذه هي الحقيقة المحزنة التي تظهر من خلال مترجميه الذين صمتوا عن تفاصيل حياته ووقفوا عند العموميات فقط.

واقدم اديب ترجم للثعالبي هو ابو اسحاق القيرواني الحصري المتوفى سنة 453 هـ/1061 م والذي قال (وابو منصور هو فريد عصره ووحيد زمانه) (3) واعجاب الحصري بادب الثعالبي جعله ينقل عدة صفحات من مؤلفاته المختلفة في كتابه زهر الآداب (4).

اما المعاصر الآخر الذي تحدث عنه فهو تلميذه الباخرزي الذي وصف استاذه بقوله (الثعالبي هو جاحظ نيسابور... ولم تر عيني مثيلا له في حياته) (5).

---

2) ـ انظر ابو الفداء ـ المختصر في اخبار البشر في حوادث سنة 429 هـ ابن كثير : البداية والنهاية ج 44/12 القاهرة 1351 ـ ج 1355 هـ/1932 ـ 1939 م، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج 3 : 264 ـ 266 القاهرة 1351 هـ/1931 م ـ 1937 م.
طاشن كبرى زادة : مفتاح السعادة ج 262/1 حيدر اباد 1329/1911، العباسي : معاهد التنصيص ج 91/2 ـ 93 القاهرة 1316 هـ

3) ـ القيرواني الحصري : زهر الآداب 127 (تحقيق البجاوي) القاهرة 1953 م ويقول فيه وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا على طريق التخمين لا على حقيقة اليقين، وهو فريد دهره، وقريع عصره ونسيج وحده، وله مصنفات في العلم والادب تشهد له باعلى الرتب (المترجمة).

4) انظر : 88، 127، 131، 137، 312، 360، 501، 1035.

5) الباخرزي : دمية القصر 183 طبعة سنة 1349 هـ/1930 (ونص الباخرزي هو : وقد ادركت بنيسابور المقيمين بها، أبا فضلها، وابن ميكالها، المستوفي للفضائل بوافر مكيالها، وثعالبيها ابا منصور اسد الصناعة... (المترجمة).

واوسع ترجمة للثعالبي وردت بقلم ابن بسام المتوفى سنة 542 هـ/1147 م واوردها ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان (6) وعلى الرغم من اهميتها فانها لا تزيد ولا تنمي معلوماتنا عن الثعالبي.

ونبدأ القول بان اعماله الادبية، وترجماته المختلفة لا تقدم اي معلومات ترسم معالم حياته، او تتحدث عن عائلته ما عدا ما ذكر من انه كان له مؤدب علمه الشعر واللغة (7).

وانه درس الادب مع ابي بكر الخوارزمي المشهور، المتوفى سنة 393 هـ/993 م، والذي يظهر في معظم مؤلفات الثعالبي مصدرا رئيسيا من مصادر معلوماته.

وعلى اية حال نحاول تتبع بعض الحقائق - وان كانت غير كافية - من خلال ملاحظات عابرة وردت في مؤلفاته المختلفة.

---

6) - ابن خلكان ؛ وفيات الاعيان 391 طبعة وستنفلد، كوتنجن، وطبعة باريس 1871/1842 التي نشر فيها البارون م.ج مصطلحات ملخصة عنه.
ونص ابن بسام كما ورد في الذخيرة ج ، 2 من القيم البرابع ص 286 (كان ابو منصور وقته راعي تلعات العلم، وجامع اشتات النثر والنظم، راس المؤلفين في زمانه، وامام المصنفين بحكم اقرانه، سار ذكره سير المثل وضربت اليه اباط الابل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب طلوع النجم في الغياهب، وتواليفه اشهر مواضع، وابهر مطالع واكثر راويا لها وجامعا من ان يستوفيها عد أو رصف او يوفي حقوقها نظم او صف المترجمة. .

7) - الثعالبي ؛ اللطف واللطائف ، 29 (القاهرة 1324 هـ/1906) م.

قضى الثعالبي معظم حياته في مدينته نيسابور عدا زياراته الرئيسة إلى مختلف الاقطار حيث بلاطات الحكم، والتقى خلالها بالعلماء من انداده.

وكانت نيسابور حتى سنة 384 هـ/994 م ضمن الاقليات التي يحكمها الامراء السامانيون من عاصمتهم بخارى. وفي الوقت الذي ولد فيه الثعالبي (350 هـ/961م) اصبحت بخارى اشهر مركز ثقافي في الاقاليم الشرقية من الامبراطورية الاسلامية وكان الامراء ورجال حاشيتهم البارزين مثل (Balamis) وعدد من رجال الجيش من جماعة سيمجور يشجعون رجال التعليم لاستعمال الفارسية لغة الادب لهم (8).

ويبدو ان الثعالبى لم يستهوه استعمال اللغة الفارسية في كتاباته حين استعمل اللغة العربية في مختلف الاغراض الفكرية المنهجية. وتتضح هذه المسألة من الحقيقة التي نراها في كتبه من انه لم يؤلف كتابا بالفارسية عدا بعض الشواهد الشعرية المترجمة عن بعض الشعر الفارسي في كتابه يتيمة الدهر وتتمته.

وتاتي نيسابور - موطن الثعالبى - بعد بخارى واحدة من اهم المدن المزدهرة ثقافيا واقتصاديا في شرق الامبراطورية الاسلامية على الرغم من ان المدينة شهدت عدة كوارث وهجمات، وكانت هدفا لحملات

---

8) - دائرة المعارف الاسلامية : (مادة ايران) المجلد الرابع 1973 ص 600 ب.

يشنها عدد من القادة العسكريين المتمردين في تلك الاقاليم. ولم تكن مدينة نيسابور وحدها هدفا دائما للاضطرابات السياسية. والحروب المستمرة بين العناصر المتنافسة بل كل شرق اقليم خراسان كاد ان يكون مخربا (9).

والجدير بالملاحظة ان النزعات. المذهبية كانت تحدث في نيسابور اضافة إلى المجاعة الكبيرة التي انتشرت في سنة 401هـ/1010 م (10) ومن المحتمل ان يكون الثعالبي قد غادر هذه المدينة إلى اخرى حيث أقام سنتين قبل ان يبزغ نجمه في جرجان في سنة 403 هـ (11).

وقد اشار الثعالبي بوضوح إلى سوء طالعه، او النائبة التي اصابته (12)، ربما عني بها المجاعة الكبيرة على الرغم من أننا لا نملك أدلة قاطعة على ذلك. فقد وردت في بعض كتبه عدة ملاحظات ثانوية يفهم منها انه كان في بخارى خلال العام 382 هـ/992 م حيث التقى بالشاعر ابي طالب الماموني سليل الخليفة العباسي المامون والذي احتل مكانة

---

9) لزيادة المعلومات عن التاريخ السياسي والديني للمدينة راجع كتابي عن نصوص من كتابات المتصوفة ج 1/10 ـ 28 بغداد 1968.

10) ـ العتبي ، التاريخ اليمني مع شرح وتعقيب الشيخ الميناني الفتح الوهبي 125/1 القاهرة 1869 م/1286 هـ

11) ـ الثعالبي تتمة اليتيمة طبعة عباس اقبال ج 144/1 طهران 1353/1908.

12) ـ ن.م والنص هو (وكانت النائبة) يجب ان يقرأ هكذا ولما كانت النائبة .

واضحة في كتب الثعالبي ـ وقد توفي المأموني في عام 383 هـ/993 م بسرعة بعد ان غادر الثعالبي بخاري (13).

وقد ورد ثناء الثعالبي على بخارى كما يلي (كانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع الازمان، ومطلع نجوم ادباء الارض، وموسم فضلاء الدهر) (14).

ويهمنا المناخ الثقافي الذي ازدهر في ظل السامانيين في بخارى اكثر بكثير من التاريخ السياسي لها اذ لا نستغرب ان يتردد الثعالبي على بخارى ليلتقي بالمثقفين ويجمع مواده ومقتطفاته بواسطتهم او مباشرة عنهم. ومعظم كتبه ـ وخاصة اليتيمة مليئة بالمعلومات التي جمعت من الادباء الذين التقى بهم في تلك المدينة او في اي مكان آخر. ولدينا معلومات ممتازة لمادة جمعت من مصدر اصلي من كتب الثعالبي والتي لم تجذب لحد الآن انتاجا قليلا منذ عمل ريشارد في (Recher)

---

13) ـ الثعالبي ؛ يتيمة الدهر 171/4 ـ 172 طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد. القاهرة 1366/1947، ثمار القلوب 479،633 طبعة محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة 1384/1965.

14) ـ يتيمة الدهر 101/4 ترجمة بابيه دومينار في مجلة الشرق السلسلة الخامسة المجلد الثالث 1953 ص 291 ـ 292 ـ وانظر أيضا أ. ج. براون ؛ تاريخ الادب الفارسي مجلد 365/1 ـ 366، وترجمة س تد بوسورت للطائف المعارف للثعالبي مع مقدمة وملاحظات 4،3، ادنبرة 1968 ويظهر ان الثعالبي زار المدينة اكثر من مرة. انظر ياقوت ارشاد الاديب الى معرفة الاديب 20/2 طبعة مارغليوث لندن، القاهرة 1923 ـ 1925، اليتيمة 157/4.

بعض قوائمه مبكرا في هذا القرن (15) ومست س. م بوسورث حيـــاة الثعالبي في مقدمته لترجمة لطائف المعارف فقد اتسمت هذه الكتابات المعاصرة بالرصانة وانها كتبت بكل عناية واهتمام.

كانت بخارى في الوقت الذي زارها فيه الثعالبي سنة 383 هـ محتلة من قبل اشد اعداء السامانيين المتحمسين وهم الخوارزميون (16).

واتخذ الملك الساماني نوح بن منصور المعروف بالملك الرضي (المتوفى سنة 387 هـ/997 م) مدينته آمل (الشاطي) ملجأ له. ولكن هارون بن موسى لم يلبث ان اصيب بمرض مفاجيء (الاسهال) مما اضطره إلى التنازل عن المدينة. وقد قدم الثعالبي تقريرا عن هذه الغزوة التي يظهر انه شهدها واعتمد على سكرتير بغرخان ابي الفتح احمد بن يوسف الذي اخبر الثعالبي عن المرض المفاجيء الذي الم ببغرخان بسبب اكله من فواكه بخارى، واثر مياهها وهوائها الفاسد عليه (17) وتوفي بغرخان غير المحظوظ وهو في طريقه إلى منزله.

وفي هذه الاشارة التاريخية المحضة نستطيع ان نلاحظ تقرير الثعالبي الذي يبدو مهما خاصة لانها تبين بشكل عام ان شخصية سامانية

---

15) ـ بوسورث : اللطائف المقدمة صفحة 8.

16) ـ العتبي 173/1، الصابي : تاريخ هلال الصابي 402 طبعة هـ ق امدروز بيروت 1904، ابن الاثير : الكامل من التاريخ مجلد 70.68/9 طبعة تورنبرغ. ليدن 1851/1876، ابن العمراني : الانباء من تاريخ الخلفاء : 183 (طبعتي في ليدن القاهرة 1973).

17) اليتيمة 192/4.

خائنة تدعى أبا علي سيمجور هي التي حرضت بغرخان على غزو بخارى ووضع نهاية حكم السامانيين في المدينة (18). ولكن استنادا إلى تقرير الثعالبي فان المحرض هو الواثقي سليل الخليفة العباسي المتوفى سنة 232 هـ/846 م الذي كان مصابا بخيبة امل من قبل الامير نوح بن منصور. لان الرسالة تشير اليه كصاحب البريد او المظالم (المتحكم بالبريد الملكي او موظف العدالة) والذي ذهب فيما بعد إلى بلاط كرخان التركي حيث لقي هناك نجاحا اكبر.

لقد ترك الواثقي وحده لملاقاة قدره يائسا لانه لم يحقق حلمه القديم وليعلن نفسه خليفة عباسيا في الاقليم الشرقي من العالم الاسلامي. ولم يخف الثعالبي اشمئزازه لتصرف الواثقي الصعب الفهم والذي قاده (الى فقده لوقاره وحشمته) (19). كما لم يخف مشاركته الوجدانية لمحاولة الامير الساماني الرضى لاعادة سيطرته على بخارى. ومن الناحية الاخرى فان الثعالبي مع اكثاره الاستشهاد بالحكايات التي تخص الامراء السامانيين فاننا نعرف بانه لم يهد اي كتاب من كتبه إلى واحد منهم وهذا يبدو اكثر اثارة للانتباه.

---

18) - دائرة المعارف الاسلامية مادة السامانيين في حين نبه بوسورث إلى ان بغرخان جذب جنوبا لفراغ القوة بسبب انحراف السامانيين انظر الحكم الاسلامي 112 (ادنبرة 1967.

19) - اليتيمة 192/1.

وقبل سنة 287 هـ/900 كانت خراسان محكومة من قبل الصفارين السلالة التي وطد حكمها يعقوب بن الليث بعد انهيار حكم الطاهريين - وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة الصفارية تسير نحو نهايتها فان نيسابور كانت هدفا لطموح قوى مختلفة وحتى ان رجلا في الرعاع (مكاريا) أصبح أميرا لنيسابور وبعدها لخرسان(20)وحتى إذا كانت هذه المقولة غير جديرة بالتصديق فانها تعطينا بعض الدلالات على وجود سمة عامة للفوضى السياسية والاجتماعية في خراسان. وتبدو هذه الفوضى هي الغالبة على الاقليم خلال حكم السامانيين استنادا إلى ابن الاثير الذي سجل بان نيسابور احتلت ست مرات من قبل اعداء متمردين وفي غضون ست سنوات (21).

ان قوة السامانيين ضاعت من أيديهم حين بدأت قوهم ترتجف تحت الضربات الموجهة اليهم من غزنة حيث يوجد منافسوهم الغزنيون الجدد ومن اعدائهم التاريخيين في الشمال - الكرخانيين. - وأخيرا انهار حكم السامانيين تماما في سنة 395 هـ/1005 م وصار جميع اقليم خراسان - بما فيه العاصمة نيسابور تحت حكم الغزنويين في غزنة للاربعين سنة التالية والى ان ظهر السلاجقة.

20) نظام الروضة 27ـ29 - ترجمة بروان لندن 1921.

21) ابن الاثير : الكامل في التاريخ مجلد 175،28/8 القاهرة 1303.

ومن الواضح ان الثعالبي اصبح الآن في مسار الغزنويين او اصبحت نيسابور مرة اخرى مركزا حكومة الغزنويين في خراسان. وخلال هذه الفترة (389 هـ ـ 429) كتب الثعالبي معظم اعماله المعروفة لدينا إلى جانب تكريسه قليلا من اعماله لقابوس بن وشمكير وخوارزمشاه ـ أسمي اعظم موظفين من ذوي المقام الرفيع الذين عاشا في ايام الغزنويين ـ كما يظهر من عدد من مؤلفاته.

وكتابه لطائف المعارف المشهور اهداه إلى الوزير المأموني الذي صار وزيرا لمحمود في سنة 404 هـ/1013 إلى ان اهمله او بغضه السلطان في سنة 415 هـ/1024 وقد جمع الكتاب ما بين سنة 404 هـ ـ 407. وعلى اية حال فهو يعود إلى فترة مبكرة من حكم الغزنويين.

واهدى الثعالبي كتابه الآخر مرآة المروءات إلى شخصية معينة هي شخصية اكفى الكفاة واستناداً إلى ملاحظة وردت في التتمة (22) (التي الفت ما بين 424 هـ ـ و429 هـ) فان اكفى الكفاة كان ما يزال في مركزه. ومن دليل داخلي نستطيع ان نفترض بانه الف الكتاب في ايام السلطان مسعود. واهداه إلى اكبر موظف يحتمل ان يكون الوزير ـ واكثر من ذلك فان الثعالبي ذكر ناصر بن نصير الذين في حكايتين

---

22) التتمة 2/79.

يرى مؤلف كتاب (الثعالبي ناقدا واديبا) وهو الاستاذ محمود الجادر ان الثعالبي قد اهدى الكتاب إلى ابي سهل الحمدوني انظر ص 136 «الترجمة».

بضمير الغائب (وكان) مما يوضح بان الكتاب الف ـ على اية حال ـ بعد وفاته التي كانت في سنة 412 هـ/1021 م.

وقال الثعالبي في مكان آخر من المرآة (23) : وكان السلطان الماضي رحمه الله ـ يعني السلطان محمود المتوفى سنة 421 هـ/1030 م.

ان لقب التشريف (اكفى الكفاة) يمنح لأعلى مركز اداري واجتماعي لا يقل عن الوزير. وكما مارس الوزراء خلال الفترة البويهية مسألة اتخاذ الالقاب مثل اكفى الكفاة واوحد ووحيد الكفاة او شمس الكفاة وسيد الكفاة (24) فكذلك يجب ان يطابق لقب اكفى الكفاة لشخصية احمد بن عبد الصمد، وزير محمود الثاني الذي عينه مسعود وزيرا له مباشرة بعد وفاة الماموني في سنة 424 هـ/1032، ومع ذلك يجب ان نتحفظ لان الكتاب كتب في الحقيقة ما بين سنة 424 هـ ـ 429 هـ.

وكان حكام جرجان وجرجانيا ونيسابور واقاليم اخرى من القسم الشرقي للامبراطويرية، الاسلامية كانوا يتنافسون فيما بينهم لجذب المبدعين من الرجال إلى بلاطاتهم ليجعلوهم مراكز اشعاع وسمو (25). وسواء كانوا جميعا امراء متنورين ثقافيا ام لا فان ذلك ليس من مهمتنا.

---

23) الثعالبي مرآة المروءات 966، القاهرة 1808 وانظر ص 8 خاصة حيث يستشهد مشيرا إلى السلطان محمود.

24) ـ بوسورث ، ألقاب الغزنويين الاوائل مجلة الشرق صفحة 227 سنة 1962 العدد 15.

ولكن هناك علامة مقنعة بشأن الولوع بالادب والشعر. وذلك ان بعض هؤلاء الامراء كانوا مثقفين وشعراء اذا اردنا ان نصدق معلومات الثعالبي عن قابوس بن وشمكير، ومامون بن مامون، وخوارزمشاه وغيرهم من الوزراء، وكبار الموظفين من السامانيين والبويهيين والغزنويين. ولم تكن مودة ذلك العصر جمع الكتب فحسب بل تجاوزتها إلى الرجال المبدعين البارعين من اجل اضفاء الهيبة والاحترام لبلاطاتهم.

ومن كلمات بوسورث (ان الاشعار والكتابات هي السياسة في ذلك العصر، وكان القواد يتوهجون في دفء وحرارة المدائح والعواطف ويحتفظون بها مع مكافأة عملية في اذهانهم) (25) وكان تاليف قصيدة او اهداء كتاب يقدم نفس النتيجة وهي التقدم المالي الذي يؤمن للشاعر او الكاتب ان يعيش في عمل مستمر. في هذه الصفوة من الملوك الارستقراطيين تربى الثعالبي وتثقف.. وقد فعل الشاعر او الكاتب ما كان يفعله التاجر في العناية بتجارته وبيعها لمن يرغب فيها ولا نستثني الثعالبي من هذا. وقد اشار البيروني ضمنيا الى ضرورة وجود بعض الاتفاقيات غير المكتوبة بين الجانبين (27) وتكون هذه الرعاية ـ

---

25) بارتولد : تركستان تحت الغزو المغولي صفحة 289 لندن 1928.

26) ـ بوسورث : الغزنويون : 133 الطبعة الثانية، مطابع لبنان بيروت 1973.

27) ـ وصف الهند للبيروني تحقيق معالي الهندي 432 لندن 1910 ومذيل مع الغزنويين 132 ـ 133.

على اية حال ـ حتمية في بنية بعض السياسة او المجتمع للشاعر او الكاتب الذي يتمنى ان يبقى على قيد الحياة كما يظهر بوضوح في القائمة المذيلة بالاعمال والمؤلفات في نهاية هذا البحث.

أهدى الثعالبي اكثر من سبعة من اعماله لخوارزمشاه واثنين لقابوس بن وشكمير، وثلاثة لناصر بن سبكتكين وثلاثة لابي سهل الحمدوي وغيرهم من مختلف الوزراء او الموظفين سواء كانوا في خراسان او غزنة.

الثعالبي والميكالي :

ان اهم اعمال الثعالبي هو يتيمة الدهر الذي كتبه اول مرة في سنة 383 هـ (اليتيمة 4/1 ـ 7) وكتبه واعاد ترتيبه في شكله النهائي في سنة 403 هـ (28).

وفي هذا الكتاب ذكر الثعالبي بوضوح اربعة من اعماله كان قد كتبها قبل اليتيمة وهي :

أ ـ سحر البلاغة (اليتيمة 234/2)

ب ـ فضل من اسمه الفضل (اليتيمة 265/4)

ج ـ الاقتباس (اليتيمة 265/4)

د ـ احسن ما سمعت (اليتيمة 242/2)

---

28) ـ انظر مادة الثعالبي وخوارزمشاه.

والكتابان الاولان اهداهما لصديقه ابي الفضل الميكالي، والثالث لناصر بن سبكتكين الحاكم الغزنوي في خراسان، والرابع لصديقه الحميم، وزميله ابي الفتح البستي الذي توفي سنة 400 هـ.

وكتب الثعالبي لابي الفضل الميكالي الذي ينتمي الى اشهر العوائل النيسابورية كتب اكثر من خمسة من اعماله والف له بصورة خاصة كتابا في تمجيد من اسمه الفضل بصورة عامة (29) وخصص فصلا كاملا في اليتيمة (الفصل الثامن من القسم الرابع ليذكر نثره وشعره. لقد كان الميكالي عالما (لاهوتيا) متمسكا بالتقاليد (سنيا) وشاعرا كاتبا واديبا مؤلفا. وقد عدد السمعاني صفات الميكالي الرائعة اديبا وشاعرا طول حياته وحتى وفاته في سنة 436 هـ/1044 م.

وكان يلقي دروسه ومحاضراته في نيسابور التي كانت غاصة بالمثقفين. وكانت اعماله وديوانه معروفة تماما، ومحبوبة من قبل كتاب الرسائل(30)لذلك يبدوأمرا غيرعجيب ان نرى الثعالبي وعددا من المثقفين قد نموا انفسهم حول ابي الفضل الميكالي الذي لم يكن مثقفا نفسه فحسب بل راعيا جيدا للمثقفين وعائلة الميكالي ايضا لها تقاليد عريقة خاصة فيما يتعلق بالعلم ومبادئه وكانت - من الناحية الاخرى - ممسكة

---

29) - الثعالبي ثمار القلوب 292، اليتيمة 311/4.

30) - السمعاني كتاب الانساب : 548 - 549 طبعة د.س مرجليوت لندن 1912.

بالشؤون الداخلية والوظائف الرئيسة في ظل حكم السامانيين والغزنويين.

وقد ظل ابو الفضل مقدما وحائزا على مكانة عالية في رعاية مسعود الغزنوي (31) واستنادا إلى الحصري فان ابا الفضل كان رئيس نيسابور حين انتهى الحصري من كتابه زهر الآداب في سنة 405 هـ (32). ولكن هذه المعلومات لم يوثقها دليل آخر. وقد ذهب ابو الفضل واخوه ابو ابراهيم ضحية حين طردا من مناصبهما، واراضيهما من قبل قريبهم الحسن بن محمد بن عباس الميكالي المعروف عموما ب حسانك (33)، والذي صار رئيسا لنيسابور وقد استردا ملكياتهما ومصادر دخل عائلتهما (الاوقاف) في سنة 421 هـ/1030 م، مبكرا في حكم مسعود، وذلك بشفاعة القاضي ابي العلاء مسعود مع الشخصية السابقة السلطان مسعود (34).

ولاحياء ذكرى هذا الحادث الف الثعالبي كتاب برد الاكباد في الاعداد ليبهج صديقه، وسيده في عودته إلى داره. وقد اهدى الكتاب -

---

31) الغزنويون 181/ اللطائف المقدمة : 5.

32) زهر الادب 126/1.

33) الغزنويون : 183 وقد اخطأ بورسورث بتحديده لتنفيذ حسانك او حسنك في سنة 482، لانه في الحقيقة نفذ سنة 422 هـ انظر التتمة 93/2 وناظم في كتاب حياة وعصر السلطان محمد الغزنوي 137 - كمبردج سنة 1931.

34) - الغزنويون : 176.

بصورة خاصة ـ إلى مولانا (سيدنا) الذي عاد إلى مقره ومكانته بين الاشراف، ولكن اهداءه للوزير المامونى الذي اعيد إلى وظيفته من قبل السلطان مسعود في سنة 421 هـ/1030م يجب ان يناقش لاننا لا نملك دليلا آخر يؤيد ما اذا كان الثعالبي يقصد بمولانا الميكالي او المامونى ولكن لمحة عجلى في مقدمتي كتابيه برد الاكباد. وفقه اللغة تعطينا على اية حال ـ انطباعا بان الكتابين قد الفا لنفس الشخص، وتبقى الحقيقة ثابتة بان الكتاب الف في سنة 421 هـ أو بعدها بقليل.

ويظهر الاخلاص العميق، والعواطف الكبيرة التي يكنها الثعالبي للميكالي في اقتباساته المتكررة لرسائله وشواهده الموجودة في معظم كتب الثعالبي ولم تفت الاخير اية فرصة يذكر فيها اسم الميكالي لاظهار تقديره له (35).

وقد جمع الثعالبي في عدد من مؤلفاته اماديح الميكالي نثرا وشعرا مثل ابدائه اعجابه بذكاء الميكالي وحلمه (36).

اما ابو الفضل الميكالي فانه من جهته اظهر اعجابه بالثعالبي وسمح له بزيارته في داره، وارسل له رسائل بليغة بل حتى اشعارا في اطرائه (37).

---

35) ـ ثمار القلوب : 3، زهر الآداب 131/1 ـ 132، سحر البلاغة للثعالبي طبعة احمد عباد، دمشق 1350 هـ/1932، التتمة 89/1، فقه اللغة للثعالبي طبعة باريس 1861 ص 1ـ8 وفيات الاعيان ترجمة 391 ارشاد 66/1 اليتيمة 226/2/ 242.

36) ـ وفيات الاعيان ترجمة(Deslone) 129/2.

37) ـ زهر الآداب 127 128،501،502،955.

واقتبس الثعالبي بشكل عام اشعار الميكالي، واقواله المرسلة في اعماله الادبية مثل المخزون، وكتاب نزهة اللواحظ، والديوان وكتاب ملح الخواطر، وصباح الجواهر، والتي فقدت جميعا الآن (38) وحتى كتاب المنتحل الذي يسمى احيانا كنز الكتاب يحتمل ان يكون الميكالي قد كتبه اصلا ثم اختصره الثعالبي، استشهد ابن خلكان في ترجمة ابن العميد ببيتين من الشعر للسابق الذكر من كتاب المنتحل لأبي الفضل الميكالي (39). وهي اشارة ممتعة تستدعي التحقيق، وهذا ما أتمنى ان يبحثه شخص ما.

والقسم المهم من حياة الثعالبي التي قارب الوصول اليها بصعوبة كل من بروكلمان وبوسورث هي الاشارة الوحيدة التي وجدت عن ثقافته الطويلة فقد كرر ابو الفضل الميكالي طلباته للثعالبي لتأليف كتاب فقه اللغة في مدينة فيروز اباد حيث بقي الثعالبي هناك اربعة شهور (40) ثم استأذن الثعالبي الميكالي ليعود الى مدينته الاصلية التي سادت فيها الفوضى والتي يصعب الوصول إليها لبعدها (41).

---

38) ـ انظر مثلا اليتيمة 3/ 166ـ 239، و 4/ 356، ثمار القلوب 463،206.

39) ـ وفيات الاعيان (المترجمة) 707، فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي 2/ 35 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة 1951 والبيتان اللذان استشهد بهما كل من ابن خلكان وابن شاكر موجود في المنتحل صفحة 221.

40) ـ فقه اللغة، زهر الآداب 1/ 131 ـ 133.

41) ـ ن.م

ونحن لا نعرف المدة التي قضاها الثعالبي في مدينته، وببدو انها كانت مجاورة لكرمان، وتبتعد عن نيسابور بضعة آلاف من الكيلو مترات لقد بقي في مسكنه لأن مدينته سلبت وتعرضت لغزو القفصيين الذين قال عنهم الازهرى بانهم قطاع طرق او سراق يعيشون على جبال كرمان، ولهم خبرات في القتال.

قال الثعالبي في وصف سوء طالعه : ان عدة اسباب وظروف اطالت غيابي وحالت دون وجودي في بلاط الميكالي أعني صفقة الاحزان (والتي قد تعنى سد أو دفع الأموال التي طالبه بها القفصيون بالتهديـد والدمار، والطغيان الذي قاموا به ويبدو جميلا جدا ان يسرع الميكالي لمساعدة صديقه بتقديم الكميات الكبيرة من الاموال التي ابتزت منه الى ان ابتعد القفصيون. وقد علمنا من الثعالبي نفسه بان ظلام الهجوم قد انقشع بسرعة، وان الطرق فتحت (43). ومن هنا كان بامكانه ان يلتحق بصديقه في نيسابور ويذكره في فقه اللغة.

الثعالبي وخوارزمشاه

قال الثعالبي عن نفسه في اشارة فريدة وجدت في تتمة اليتيمة

---

42) ـ لسان العرب مادة قفص، الكامل في التاريخ 3/100 ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صقعا : 356، طبعة وستنفلد، جوتنجن 1846، تجارب الامم لمسكويه 2/298 ـ 301 القاهرة 1332 هـ/1914 م وتكملته : ذيل تجارب الامم : 58، القاهرة 1334 هـ/1916.

43) فقه اللغة . 7

حين اصابني نكد الطالع رحب بي ابو سعيد محمود بن منصور رئيس جرجان في داره سنة 403 هـ حيث انهيت هناك تأليف كتابي يتيمة الدهر. وكان ابنه اول شخص قرأه، واستظهر قسما كبيرا منه. ولم يعد هناك ما يفرق بيننا الى ان دعيت بالحاح من قبل الامير ابي العباس مامون خوارزمشاه منّ الله على روحه بالرحمة. ومن هنا انتقلت من جرجان الى جرجانيا (44).

واشارة التتمة هذه تمكننا من استنتاج حقيقتين رئيسيتين.

1 ـ ان اليتيمة تمت بشكلها النهائي في سنة 403 هـ/1012 م وان زعم عباس اقبال وبوسورت الذين ادعيا بان عراقيل مختلفة قد حالت دون اتمام الثعالبي كتاب اليتيمة إلى ان وصل بلاط ابي العباس مامون الذي وضعه تحت رعايته في مكتبته وحثه على اكمال الكتاب (45) هذا الزعم يجب ان يصلح.

2 ـ انه قدم إلى بلاط ابي العباس مامون لاول مرة وهذا واضح في اليتيمة التي لا تحتوى اية اشارة لخوارزمشاه او وزيره السهلي في الصفحة التي خصصها للحديث عن الرجال البارزين وكتاب الرسائل في خوارزم ما عدا ملاحظة عرضية بشأن الحميدي الخوارزمي الذي كتب إلى السلطان في سنة 402 هـ يسأله ان يختار اسما لابن ولد له حديثا (46).

---

44) ـ التتمة 1/144 ـ 145.

45) ـ ن.م كمقدمة اقبال عباس 5،4 للطائف المقدمة 4، 5، 10.

46) ـ اليتيمة 4/254.

واستنادا إلى ابن الاثير فان مامون بن محمد توفي سنة 387 هـ/997م وان ابنه علي حكم بعده حتى وفاته في سنة 390 هـ/1000 م، وخلفه اخوه ابو العباس مامون على الحكم إلى ان قتل في سنة 407 هـ/1016 من قبل بعض الامراء.

وبعد محمود الغزنوي بسنة واحدة هزمت جماعة محمود الغزنوي البتكين بخارى، وهدأت حركة المتآمرين بعد ان صلبوا على الاشجار قرب قبر مامون اخي محمود بالرضاعة الذي وضع حدا للاضطراب السياسي في خوارزم وبناء على هذا اضيف الاقليم إلى الاقاليم الغزنوية. ولم يكن هذا تصرفا وحشيا للعدوان كما ذكر بورسورت (48)، ولكنه اكثر من ذلك تصرف للانتقام كما يقول ابن الاثير وغيره من المؤرخين (49) ضد وحشية وقساوة اخ محمود بالرضاعة، وتبدو الحقيقة تماما، بان سقوط ابي العباس مامون قد انهى اسعد الفترات في حياة الثعالبي، الفترة التي قضاها في جو ملائم لطبيعته ومزاجه في جو تشجيع الثقافة (50).

ومع ان حكم المامونيين كانت قصيرة الامد فان المثقفين من كل

---

47) الكامل في التاريخ 2/ 93 ـ 184، 185.

48) ـ الغزنويون 237 اللطائف المقدمة 5.

49) ـ العتبي 39 (لقد كان السلطان في الحقيقة محرضا بحوافز الانتقام).

50) ـ اللطائف ؛ مقدمة ؛ 5.

انواع العلوم كالفيلسوف ا بن سينا والبيروني العالم المتعدد جوانب الثقافة، وعالم الرياضيات ا بي نصير العراقي، والفيزياوي ا بي الخير الخمار (51) وا بي صالح المسيحي وآخرين غيرهم بما فيهم الثعالبي نفسه عاشوا في جو من النعمة والتشجيع. وقد الف الثعالبي لمامون بن مامون عددا من مؤلفاته ومن بينها الغنية والطرد الذي الف في سنة 400 هـ/و1009 م، واعاد كتابته وتنظيمه تلبية لطلب ا بي العباس واهداه اليه وكتاب اللطائف والظرائف الذي اهداه إلى مولانا الامير الملك المؤيد العادل العالم ا بي العباس مامون بن مامون خوارزمشاه مولى امير المؤمنين. هذه الصفات تظهر في كتاب ادب الملك الخوارزمشاهي (52). وتظهر ا يضا في مواضع عديدة من كتاب نثر النظم وحل العقد (53). ونجد في مقدمة كتاب نثر النظم مقاطع يتحدث فيها الثعالبي بشكل عام عن نفسه ليس كرجل صاحب مهارات ادبية عالية ولكن كرجل متمكن يستطيع ان يتخيل ما يمكن ان يعهد اليه خوارزمشاه من مهمة تناسبه وتلائمه. لقد

---

(51) - البهيقي : تاريخ حكماء الاسلام 26،28،95 طبعة ليبزج 1320/1903.

(52) - مقتبسة من اللطائف : المقدمة (5) عزة الفندي رقم 1808 ب الورقة أب.

(53) - انظر مخطوطة الكتاب في ليدن رقم 1527 الورقة 12 35 فما بعدها والنسخة المطبوعة في القاهرة 1317 هـ/1899 الصفحات 2/8، 10 وقد كتب الثعالبي هذا الكتاب تلبية لرغبة خوارزمشاه ايضا لشرح كتاب مونس الاديب الذي ظنه بروكلمان (مادة الثعالبي 731) لمؤلف مجهول وقال بروكلمان في نفس المادة وهناك تشابه في المقتطفات الادبية التي لم تذكر اسماء شعرائها وهي كتاب خاص الخاص وكتاب المنتحل) وهذه الاشارة تقدم في الحقيقة - الدليل بمجرد تشابه محتويات الكتابين.

تحدث عن الصفات والجدارات التي يجب ان يستفيد منها الشاه في حكومته وقد وجه كلامه إلى الشاه حين وصف يده في سرعة الكتابة بالضوء، وقلمه في سرعة الكتابة بضوء النجوم الخاطف واما انشاؤه، فهو مثل الحديقة بعد ان يصيبها الطل... ثم يستمر في سرد مؤهلاته وصفاته سواء كجندي مقاتل او رجل من رجال الحاشية (54).

اما كونه قد خلف اولادا فهناك اشارة وحيدة نجدها في الرسالة او بالاحرى التضرع الذي سأل فيه الثعالبي خوارزمشاه وتذلل فيها (55).

ونستطيع ان نحكم اكثر من ذلك بوضوح بقوله : انا اكتب - حفظ الله حياة سيدي - بالحضرة في جورجانيا، واشكر الله لانني موقر في خدمة سيدنا الملك المؤيد، ولي النعم خوارزمشاه (57).

ولكن السؤال يبقى في تعيين الوقت الذي كان فيه الثعالبي في عاصمة خوارزمشاه. وعلى الرغم من ذلك فاننا نعلم - متاكدين - بانه كتب كتاب لطائف المعارف حين كان في بلاط خوارزمشاه في وقت يتراوح بين سنة 404 هـ/407 هـ وهناك اشارة واحدة وجدت في كتاب

---

54) - ليدن رقم 1527 الورقة 9ب،10ب (لم نلتزم بترجمة النصين، لان كتاب الثعالبي المذكور غير متوفر بين ايدينا وما ذكرناه يمثل اشارة موجزه الى المعنى الذي اراده الثعالبي (المترجمة).

55) - ن.م الورقة 11 أ.ب.

56) - ن.م 16 أ، ب 15.

57) - ن.م ب 59.

اللطائف والظرائف الذي اهداه إلى خوارزمشاه حيث يذكر الثعالبي الخلفاء العباسيين الذين هم من امهات احرار (ويقول وقد ذكرتها في كتاب لطائف المعارف الذي كتبته في مكتبة. الملك المؤيد (58)) وقد اهدى كتاب لطائف المعارف إلى موظف غزنوي عالي المقام اعتبره بوسورت مطابقا لشخصية الوزير الماموني (59). الذي اصبح في سنة 404 هـ/1013 وزير السلطان إلى سقوطه في سنة 415 هـ/1020 م. واخيرا سجن حتى بقية مدة حكم محمود. ثم اطلق سراحه مسعود بن محمود وجعله وزيره إلى ان تولى الاخير في سنة 424 هـ/1033 م (60) ويبدو ان الثعالبي بقي مدة طويلة في بلاط ابي العباس حيث كتب معظم مؤلفاته التي اهداها للشاه مستفيدا من مكتبته الرائعة. ومن هنا نستطيع ان نفترض ـ بتحفظ ـ بان الثعالبي كتب اكثر من خمسة من كتبه في جورجانيا ما بين سنة 403 هـ 407 هـ بما فيها لطائف المعارف.

ونستطيع ان نستنتج من اشارات متكررة، وعدة اقتباسات من اقوال الثعالبي بانه كانت بينه وبين خوارزمشاه ووزير السهلي صداقة حميمة. صرح في كتابه لطائف المعارف قائلا : كنت ذات يوم ابحث في الاسماء المكررة المتتالية مع الوزير خوارزمشاه وقد سمى ابنه في ذلك

---

58) ـ الثعالبي اللطائف والظرائف 68 القاهرة 1324 / 1906.

59) ـ اللطائف المقدمة 18،6.

60) ـ الغزنويون 72،71.

الوقت بسجستان مامون ومن هنا كان يسمى مامون بن مامون بن مامون (61)، وحتى انه كتب عدة اماديح موجهة لسيده وكررها في ستة من كتبه على الاقل. (62).

وقد قال الثعالبي في وزيره خوارزمشاه ابي الحسن احمد بن محمود السهلي في احد كتبه المفقودة والتي نقل عنها ياقوت (كان وزيرا وابن وزير، ورث الوزارة كابرا عن كابر، موصولة الاسناد بالاسناد، قال وكان يجمع الآت الرئاسة وأدوات الوزارة، ويضرب من العلوم والآداب بالسهم الفائزة... خرج السهلي من خوارزم سنة 404 هـ الى بغداد، وتوطنها، وترك وزارة خوارزمشاه ابي العباس مامون خوفا من شره) (63) ويخبرنا هذا الوصف بان الوزير كان قد ابتعد خوفا من خوارزمشاه، وترك خوارزم واستقر في بغداد في سنة 404، ومات في سامراء سنة 418 هـ/1027 م.

وللوزير خوارزمشاه الثاني المسمى أبو عبد الله الحمدوني الف الكتاب المثير للخلاف تحفة الوزراء والذي نسبه بروكلمان الى الثعالبي

---

(61) ـ لطائف المعارف ـ الثعالبي 57ـ58 ـ ليدن 1867.

(62) ـ اللطائف والظرائف 68 من غاب عنه المطرب للثعالبي 75 بيروت 1309 1891 ـ 1892 ثمار القلوب 203 لباب الادب الثعالبي أيضا 111 استانبول 1301 هـ/1824 احسن ما سمعت للثعالبي 188 ـ القاهرة 1324هـ/1906م.

(63) ياقوت ، ارشاد 2/96 ـ 97 102ـ103، الوافي بالوفيات للصفدي 8/147 نشره نجم (بيروت وهذا الوصف (التقرير) غير موجود في اليتيمة وهو دليل آخر يعضد ما افترضه من ان اليتيمة الفت قبل سنة 404 هـ

(الملحق 19/1 501) وتابع بوسورت سورديل (64). في ملاحظة على الكتاب استنادا على دليل داخلي بانه يجب ان يكون قد كتب في نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد للوزير خوارزمشاه من قبل مؤلف يصعب تعيينه. وعلى اية حال فانني حين كنت في شهر حزيران 1973 اختبرت مخطوطة تحفة الوزراء بشكل عام في دار الكتب (رقم 5 نحو) وسجلت الحقائق التالية ؛

في الورقة 2 قال المؤلف ، انا الفت كتابي الملوكي واهديته لابي العباس مامون بن مامون.

وعلى الصفحة ـ 5 ب ذكر اسم السلطان ملكشاه السلجوقي ووزيره نظام الملك ونحن نعرف ان قوتهما ظهرت بعد سنوات من وفاة الثعالبي واكثر من ذلك ذكر في الصفحة 8 B اسم عون الدين بن هبيرة وزير الخليفتين العباسيين المقتفي والمستنجد والمتوفى سنة 560 هـ

وفي الورقة 11 ذكر اسم ابي عبد الله حمزة العلوي (65) الذي توفي في سنة 614 هـ/1217 م ضمن اسماء اخرى.

---

64) الوزارة العباسية 749 ،132،936 ،324 (دمشق 1959/1960) 1/14،13، اللطائف المقدمة ؛ 5 لم يرد في المخطوط مأمون بن مأمون وانما قال (وبعد فاني حين خدمت مولانا ملك الزمان، وفريد العصر والاوان خوارزمشاه ثبت الله ملكه...) وانظر المقدمة التي كتبناها في نشرنا لكتاب تحفة الوزراء للثعالبي (طبع في وزارة الاوقاف بغداد) وانظر مجلة المورد 1979 (المترجمة).

65) ـ الزركلي ؛ الاعلام 2/213، الطبعة الثانية 1954/1959.

وعلى الرغم من هذه الحقائق التي تجبرنا على انكار تاليف الثعالبي للكتاب فان ثمة دلالات بان معظم الكتاب يجب ان يكون قد كتب بقلم الثعالبي فمثلا على الورقة 3 B ،4 A قال المؤلف ، (قال لي يوما ابو الفتح البستي الكاتب (صديق الثعالبي الملازم له) بنيسابور، وقد اخذنا باطراف الاحاديث بيننا ما احوج الامير سيف الدولة يعني السلطان المعظم يمين الدولة وا ين الملة ـ اعز الله تعالى انصاره ـ لانه كان اذ ذاك صاحب الجيش للامير الرضي نوح بن منصور السامانى رضي الله تعالى عنه ويلقب بسيف الدولة ـ إلى وزير كما انشدتني لنفسك ... اشعار).

وكتاب الملوكي او ادب الملوك الخوارزمي كتبه الثعالبي، واهداه بالفعل إلى خوارزمشاه مامون بن مامون ليوضح لامراء خوارزم السلوك النبيل الممتاز (66).

وفي كتاب تحفة الوزراء اوضح المؤلف تماما بان هذا الكتاب مؤلف لوزيره المعظم ابي عبد الله الحمدوني والذي يجب ان تطابق شخصيته شخصية ابي عبد الله محمد بن حميد الحميدي الخوارزمي، معاصر الثعالبي والبستي وصديقهما.

---

66) ـ نسخة هذا الكتاب محفوظة في استانبول عزة الفندي 1808 الورقة 1 حاجي خليفة : كشف الظنون صفحة 7343.

لقد خصص الثعالبي سبع صفحات من اليتيمة للحديث عنه وألف بضع ا بيات من الشعر في مديحه (67).

لقد كلف الحمدوني بمهمة رسول لبق (دبلوماسي) ما بين بغداد، وبلخ إلى السلطان محمود والى بلاط قابوس بن وشمكير في جرجان حيث اثرت صفات الحمدوني تأثيرا كبيرا في نفسية قابوس لذلك عرض عليه مكانا لخدمته ولكن الحمدوني رفض العرض اخلاصا لملكه خوارزمشاه (68).

ومن جميع هذه الملاحظات نستطيع ان نفترض بان العمل بشكله الحالي لا يمكن أن يكون للثعالبي مع اننا متاكدين من ان قسما منه ـ على الاقل ـ قد كتبه الثعالبي وحتى الصفدي، وا بن شاكر الكتبي، وا بن قاضي شهبة ذكروا خلال كتب الثعالبي كتاب سير الوزراء، فهذا العمل يجب ان يكون قد ادرج في تحفة الوزراء من قبل مؤلف متأخر غير معروف في القرن السابع الهجري.

الثعالبي ومكارم الاخلاق

وندرس الآن كتاب مكارم الاخلاق بطريقة مماثلة لتلك التي

---

67) اليتيمة 4/248ـ249 خاص الخاص للثعالبي 45 (تونس 1293 هـ/1876، من غاب عنه المطرب 12، الايجاز والاعجاز للثعالبي 37 (استانبول 1301/1884).

68) اليتيمة 4/245ـ250 واسم الحمدوني يصحف بسهولة الى الحميدي.

درسنا بها قبل قليل كتاب تحفة الوزراء. طبع كتاب مكارم الاخلاق شيخو (69) ونجد نسخة معدلة عنه موجودة نسبيا في كتاب الامثال المسمى بالفرائد والقلائد والمسمى ايضا بالعقد الفريد. ونزهة الجليس المطبوع في القاهرة في سنة 1324 هـ 1906 م بهامش كتاب نثر النظم. ثم طبع منفصلا في سنة 1909/1327 م وقد رفض بروكلمان تماما نسبة الكتاب للثعالبي (ج 7356/17) ويضعف رايه التعرف على نسخة شيخو المختصرة لكتاب الفرائد والقلائد لابي الحسين محمد بن الحسين الاهوازي وزير حكومة الصغانيين طبعت النسخة الاخيرة في استانبول في سنة 1301 بعنوان احاسن المحاسن. ونسبت لابي الحسن بن الحسين الرخجي، والكتاب مهدى لابي المكارم مسلم بن قريش المتوفى سنة 478 هـ/1085 م) والذي اعان اباه في سنة 451 هـ/ كحاكم للموصل وديار ربيعة (70) وذكره الثعالبي في اليتيمة (الفها سنة 403 هـ) ضمن مثقفي فارس والاهواز. وذكر ملاحظة (وهو مؤلف كتاب القلائد والفرائد وهو من المقيمين في صغانيان (71).

---

69) مجلة المشرق 1/28ـ31 بيروت 1900.

70) ـ الانباء في تاريخ الخلفاء 197، الكامل في التاريخ 10/10.

71) اليتيمة 3/417، سحر البلاغة 200، الايجاز والاعجاز 110، المتشابهة 14 تحقيق ابراهيم السامرائي مجلة كلية الآداب ـ بغداد 1967، خاص بخاص و احاسن كلام النبي للثعالبي ليدن 1042 ، الورقة 99 نسخة العقد النفيس المنسوب إلى أبي الحسين الموجودة في المتحف البريطاني 3193

وقد اعطى بروكلمان تاريخين مختلفين لوفاته ففي الجزء الاول ص 94، والملحق ج 153/1 اعطى سنة 330 هـ/941 م. وذكر في مادته ج B/4 731 ذكر سنة 1053/544 م، وهذان التاريخان يظهران مشكلة كبيرة. إن مؤلف الفرائد استنادا إلى الثعالبي كان وزيرا لحاكم صغانيان (72) وهو من سلالة عائلة المحتاجي التي بقيت على قيد الحياة تحت سلطان الغزنويين. ولم يعرف بعده اي عضو من عائلة المحتاجين خلال حكم محمود المتوفى سنة 421 هـ/1030 م استنادا إلى جهار مقاله فخر الدولة ابي المظفر احمد بن محمد امير صغانيان (73)

ويبدو الامر اكثر متعة ان يكون الاهوازي قد ترك صغانيان ليجد سيدا جديدا في شخص مسلم بن قريش الذي اعاد لاجله كتابة كتابه واهداه اليه. وفي مجموعة المخطوطات العربية بليدن وجدت نسخة قديمة تحت عنوان مكارم الاخلاق، ومحاسن الادب، وبديع الاوصاف، وغرائب التشبيهات (300) والذي اعتقد انها من كتب الثعالبي المفقودة ويقع في 56 ورقة مكتوب بخط نسخي جميل وناسخه محمد بن ابراهيم الكاتب في الثالث والعشرين من صفر 619 هـ واسم المؤلف غير موجود.

---

72) اليتيمة 417/3.

73) الغزنويون 237.

لقد عدد حاجي خليفة خمسة كتب في مكارم الاخلاق وذكر بروكلمان ثلاثة (74) ومع ذلك ما تزال هوية مؤلف مكارم الاخلاق في ليدن غير معروفة. وحين كنت في القاهرة قارنت نسخة ليدن بما يقرب من ستة اعمال على الاقل لمؤلفين مجهولين في مكتبة الازهر تحمل هذا العنوان ولم يطابق اي كتاب منها ـ لسوء الحظ ـ نسخة ليدن لذا ليس لنا اي خيار سوى ان نحول تحقيقنا إلى النص نفسه.

يحتوى الكتاب مقدمة قصيرة نسبيا وثلاثة ابواب كل باب من هذه الابواب مقسم إلى بعض الفصول : الباب الاول يضم اثنى عشر فصلا. والثاني احد عشر. ويبحث الباب الاول في مكارم الاخلاق ومحاسن الاداب بشكل عام مثل فضل اكتساب العلم، وفضيلة العفو... الخ. ويحوي الباب الثاني بشكل رئيسي التزكي في محاسن الاخلاق، ومقابح الشيم (الابتعاد عن الاعمال والتصرفات الحقيرة كذم الاشخاص غير الملائم والهجاء الفاحش... الخ).

والباب الاخير يحتوى على بدائع الاوصاف وغرائب التشبيهات وقد اهدى الكتاب إلى صديق فاق الاشراف بمقامه الرفيع وزكت نفسه عن الاخلاق الدنيئة، الصافي كالذهب. وقد الحق في نهاية نص المكارم جمعا للامثال مرتبا حسب الحروف الهجائية مكتوبا بنفس خط ناسخ الكتاب.

---

74) ـ انظر بروكلمان 1/60 والملحق 1/709،502.

وهنا نستطيع ان نجد النص المفقود من كتاب الامثال للثعالبي والذي ذكره الصفدي ضمن اعماله.

لقد لاحظنا من قبل نزعة الثعالبي تجاه المواد الهامة في كتبه والاستفادة منها في كتاب آخر والتمثل بشواهد من أشعاره في كتبه. هذه النزعة والشواهد نجدها واضحة في مخطوط ليدن (المكارم). اما الباب الاخير فلا شيئ فيه سوى انه نسخة صحيحة (موثقة) لمن غاب عنه المطرب وهو عبارة عن مقتطفات ادبية من الاشعار التي نصادفها غالبا في جميع كتبه، ومن هذه اشعار الصاحب بن عباد والبستي، وابي بكر الخوارزمي وابن لنكك ومن شابههم. وقد ظهر اسم الثعالبي خمس مرات في نفس المواضع التي ظهرت في كتاب من غاب عنه المطرب ولكن بدلا من قال الثعالبي نجد في المكارم قال مؤلف الكتاب ويظهر اسمه في الكتاب الاخير مرة واحدة في موضع واحد هو في الورقة 37 A حيث يظهر قبل ثلاثة ابيات من الشعر. وهذه الابيات هي المفتاح لمعرفة هوية المؤلف ولم اتمكن من العثور عليها - على الرغم من المحاولات - في اي كتاب من كتب الثعالبي او في اي مصدر من المصادر المفيدة وتكون صدفة غريبة اذا شابه مؤلف آخر الثعالبي في الاسلوب ومادة الموضوع كما هو واضح بغزارة في كلا الكتابين مكارم الاخلاق، ومن غاب عنه المطرب. وعلاوة على ذلك فان القسم الكبير المتبقى من البابين وقائمة الامثال يمكن ان نجدها بسهولة في اي

كتاب من كتب الثعالبي، وبصورة خاصة من كتاب التمثيل والمحاضرة وفي الحقيقة فان الاسم الذي نستطيع تثبيته لنص مكارم الاخلاق هو اسم الثعالبي. وادخر هذه الملاحظة لنشرها كاملة محققة مع العمل نفسه.

الثعالبي وقابوس بن شمكير

يظهر من عدد من مؤلفات الثعالبي ومن المصادر المختلفة ان الثعالبي لازم شمس الدين قابوس بن وشمكير في فترة مبكرة من حياته. فقد اهدى واحدا من مؤلفاته المبكرة لقابوس بن وشمكير في جرجان والذي طرده عضد الدولة البويهي في سنة 371 هـ/981 م فذهب الى نيسابور حيث عزز هناك بجيش لتحرير عاصمته.

ولكنه هزم مرة اخرى بسبب تصرف احد الخونة (فائق الخاصة) ، ولم يستطع استعادة سيطرته على عاصمته حتى سنة 388 هـ/998 م وقد تاثر الثعالبي تاثرا كبيرا بنصر قابوس لذلك سجل عواطفه بقصيدة وجهها إلى صديقه (75) وقتل قابوس اخيرا في سنة 1012/403 م (76) .

لقد وطد قابوس بن شمكير علاقة صداقة قوية مع الثعالبي خلال نفيه في نيسابور كما هو واضح. واعتز الثعالبي بهذه العلاقة، وافتخر بها

---

75) - المتنبي 1/ 78.

76) - الكامل في التاريخ 9/8 - 163،176،99،9.

في كتابين من كتبه (لقد افردت قابوس بن وشمكير بكلماتي هذه في كتابي المبهج الذي اهديته له وبدات احفظها عن ظهر قلب بعيد عن انفعالات العواطف والاعجاب) (77) واظهر الثعالبي غروره بانفراده بعلاقته بقابوس لذلك ادمج مختاراته هذه في كتابه الاخير : التمثيل والمحاضرة واهداه (في الواقع) إلى قابوس بن وشمكير الذي كان كما يقول ابن الاثير مثقفا، ذا قدرة ادبية متمكنا في الكتابة والشعر (78).

الثعالبي وناصر بن سبكتكين

ان عددا من كتب الثعالبي يحتوي ادبا ومحادثات شخصية مع الامير الغزنوي نصر بن ناصر الدين أخي السلطان محمود الذي عين اخاه اميرا للجيش في خراسان كما يقول العتبي (79) واهدى الثعالبي للامير ناصر ثلاثة من كتبه على الاقل منها غرر السير، والمتشابه، والاقتباس من القرآن.

وكان ابو المظفر ناصر بن نصير الدين - كما يسميه الثعالبي عادة - صاحب الجيش في خراسان حتى وفاته سنة 1021/412 م وقد وصفه بانه كان ذا ذكاء عال ومعرفة واسعة بالاضافة الى كونه رجل ادارة

---

77) - احاسن كلام النبي الورقة 106 ب، الايجاز والاعجاز 122.

78) - الكامل في التاريخ 169/9، ارشاد الاديب 144/6 فائق الخاصة ذكره الثعالبي في اليتيمة 27/4، 412 (المترجمة).

79) - كتاب اليميني للعتبي (ترجمة من الفارسية رونالد ج) 484 485 العتبي 333.

ممتاز، وحصل على سمعة كبيرة في نيسابور لكثرة اعماله الخيرية، ولنجاحه في عمله الاداري.

وقد صرح الثعالبي ـ بما لا يقبل الشك ـ بانه كانت بينهما صداقة، لذلك اقتبس اقواله وتعليقاته في معظم كتبه بما فيها الكتب التي اهداها لغيره مثل ثمار القلوب، وخاص الخاص، والا يجاز والاعجاز. ولا بد ان يكون الثعالبي قد حصل على ثروة مالية بسبب صلته بالامير الغزنوي الذي مكنه من تكريس معظم اوقاته لاتمام كتاباته الادبية.

الثعالبي والحمدوى

خاطب الثعالبي في كتابه لطائف الظرائف ابا سهل بن الحسن الحمدوى الذي كان قد اهدى له نسخة من كتاب سحر البلاغة وسر البراعة (81).

كان الحمدوى عارضا، واجباته الرئيسة النظر فيما فيه خير الجنود في اقليم خراسان، والمحافظة على مستوى الجيش العالي وكفاءاته. وكان ابو سهل عميد خراسان للسلطان محمود المتوفى سنة 1030/421 م استنادا إلى العماد الاصفهاني (82). وبعد وفاة محمود صار وزيرا لمحمد

---

80) ن.م.

81) ـ انظر تحقيقي لهذا الكتاب الذي سيصدر قريبا من مطبعة بريل بليدن.

82) ـ البيروني : زبدة النصرة، ونخبة اليسرة 7.5 ليدن 1889.

خلال مدة حكمه القصيرة وحين رقى مسعود العرش بعد فشل اخيه محمود تسلم الحمدوى وظيفة مهمة (83) وهي الحاكم للري والجبل. وفي سنة 422 / 1031م أرسل مسعود القائد (طاش فراش) (Tash Farrash) حاكما للري والجبل ومنحه واجبات مثل تفويضه وضع اليد على عدد من سكان الري الذين هجروا المدينة بسبب اشاعة طاش فراش للظلم والطغيان في الارض إلى درجة ضج فيها الناس ودعوا لانقاذهم من حكم الغزنويين. ولكن حين عين الحمدوى سنة 424 هـ/1033 م قضى على جميع الاعمال السيئة التي كانت لسلفه. واستعاد الاقليم نشاطه مرة اخرى (84) وخلال الاعوام السبعة التالية وجه الحمدوي نفسهفيحرب مع الحاكم ابن كاكاويه حاكم أصفهان الذي كان في استطاعته ان يحتل الري مدة. ولكن الحمدوى افقده عاصمته في سنة 423 هـ/1034 م ولكن ابن كاكويه جند بعض الجنود التركمان حتى صار بامكانه في سنة 428 هـ/1034 م ان يحتل الري نفسها فاجبر الحمدوى على الانسحاب إلى نيسابور (85). ومن معلومات ابن الاثير نعلم ان الحمدوى هجر نيسابور عند اقتراب السلاجقة في سنة 429 ولكنه عاد إلى المدينة في سنة 431 هـ حين طرد مسعود السلاجقة لمدة (86) واخيرا اعيد احتلال المدينة في نفس السنة من قبل السلاجقة تماما.

(83) ـ انظر الغزنويون 71، اقتباس البيروني في 159 وانظر التتمة 2/60.

(84) ـ الكامل في التاريخ 9/291ـ292.

(85) ن.م 9/279،304.

(86) ن.م 9/312ـ316.

حين عين الحمدوى حاكما مدنيا للري، ومنح اسم الشيخ العميد بدا ان وظيفة العارض في خراسان قد سلمت للمدعو أبي الحسن مظفر بن الحسن الذي اهدى له الثعالبي عمله خاص الخاص.

وقد ذكر الثعالبي في هذا الكتاب لاول مرة اسم الحمدوى مقترنا مع استشهاد ببعض اشعاره (87) التي اعادها في لطائف الظرائف والتتمة (88) وقد اهديت التتمة لموظف غزنوي كبير هو ابو الحسن محمود بن عيسى الكرجي (89) احد مشتشاري محمود المقربين. وهنا نستطيع ان نستنتج بتحفظ بان هذه الاعمال الثلاثة هي آخر ما كتبه الثعالبي في الفترة ما بين 424 هـ/429 ونستطيع ان نتبين هذه الحقيقة من دلائل مادية من الكتب نفسها.

لقد كتب التتمة بلا شك في وقت ما بعد وفاة المأموني (90) في سنة 424 هـ ونفترض ان تكون بعد أن كلف الحمدوي بوظيفته حاكم للجبل والري (91). ويظهر ايضا ان كتاب خاص الخاص الفه قبل التتمة، ولطائف الظرائف، ولكن من الصعوبة القول فيما اذا كانت التتمة قد

---

87) ـ انظر ص 170 ـ 172.

88) ـ التتمة 2/ 60ـ61.

89) التتمة 2/ 67.

90) ن.م 1/ 155، 2/ 49، 79،85.

91) التتمة 2/ 60 سطر 19 بدلا من ولى ولي.

الفت قبل او بعد لطائف الظرائف مع ان كليهما تحويان مديحا متماثلا موجها للحمدوي (92). ولطائف الظرائف فيه صيغة أدام الله ايام مولانا في حين ان الثعالبي يعطينا في التتمة انطباعا بانه في الوقت الذي كان يكتب فيه كتابه فقد الحمدوي منصبه حاكما للري والجبل فقد قال : وحين ولي الري وجميع قطر الجبل (اي عين واليا) مما يوضح بانه كان يتحدث عن حدث ماض. واذا كان الامر كذلك فاننا نستطيع ان نقول بتحفظ بان لطائف الظرائف كتب في الحقيقة حين كان الحمدوى ما يزال في منصبه حاكما للري والجبل في بعض الفترات ما بين سنة 428/424 حين اجبره ابن كاكويه على التخلي عن الري واصفهان.

اعمال الثعالبي

في قائمة الصفدي لاعمال الثعالبي التي تحتوى ستا وثمانين عنوانا. والتي تمكن محقق كتاب لطائف المعارف (93) ان يضيف سبعة فقط يوجد عدد قليل من الكتب التي تنسب خطأ إلى الثعالبي :

ومع انه من الصعب تحديد عدد العناوين التي نسبت إلى الثعالبي خطأ فانه من المؤكد باننا نجد في قائمة الصفدي عددا من الكتب التي تصح نسبتها اليه.

---

92) التتمة 2/60 لطائف الظرائف الورقة 60ب.

93) - مقدمة ابرهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي القاهرة 1370/1960.

كان الثعالبي مؤلفا كثير الانتاج لا ينقطع عن الكتابة ومع انه ينسج مرات عديدة نفس الحكايات والامثلة والاستعارات والمجازات، ويعيد كتابتها فان تقديمه لها يكون مختلفا في كل كتاب من كتبه، ويصعب على القارئ ان يشعر بان المؤلف يستمد مادته من مصدر واحد لمعلوماته، (94) وقد رسم زوتنبرغ انطباعه عن نزعة الثعالبي نحو الاعادة وتعوده على نقل مواده من كتاب إلى آخر، وقد لا حظ هذه النزعة أيضا معظم الذين درسوا الثعالبي وهنا لاحظ بروكلمان بان مؤلفاته العديدة التي كتبها بلا طرق مدققة فيها خاصية عقلية تختلف عن سالفيه فهو نفسه يعيد في الغالب، بشكل رئيسي المواد المتعلقة بشعراء زمانه، ولكن بطريقة منمقة مرتبة (95). وطريقة الثعالبي هذه لم يقصر نفسه فيها على جمع الحكايات والنوادر فحسب بل كما قال ابن خلكان انه ألف عدة كتب اضافة إلى جمعه نوادر عن الرجال البارزين وملاحظات عن حياتهم ومختارات من اشعارهم ورسائلهم وما هذا النتاج الا صيغة تظهر معلومات ضخمة عن المؤلف (96).

وبغض النظر عن عملية الجمع هذه فان الثعالبي اديب مبدع متعدد البراعات، وله تعلق بجميع فروع المعارف العربية التقليدية والمكتسبة

---

94) - غرر السير للثعالبي (المترجمة).

95) - دائرة المعارف الاسلامية مادة الثعالبي 730 غرر السير المقدمة ١١ ، اللطائف المقدمة 8.

96) - الوفيات (المترجمة) 2/130.

التي عالجها بكتاباته بوعي وادراك عميق وتبرز خلال كتاباته ما تشتمل عليه العربية من غنى وتنوع. فقد اكثر الثعالبي من الكتابة في اللغة والبلاغة والبيان (97). والف مجموعة كبيرة من الاشعار ذكرها بنفسه او استشهد بها آخرون. قال الباخرزي بان مقاليد شعر الثعالبي وجدت طريقها اليه بعد موت مؤلفها. فقد الف الثعالبي اشعارا في فترة مبكرة من حياته واستشهد في بعض مؤلفاته بشعر قاله في صباه (98). ولاظهار مقدرته على كتابة الشعر تبع الثعالبي نصيحة استاذه ابي بكر الخوارزمي الذي اعتاد ان يقول لتلميذه ان من يروى حوليات زهير، واعتذاريات النابغة، واشعار الحطيئة في الهجاء، وهاشميات الكميت، ونقائض جرير والفرزدق، وخمريات ابي نواس وزهديات لابي العتاهية وقصائد ابي تمام، ومدائح البحتري واستعارات ابن المعتز، ووصف الحدائق عند الصنوبري، واشعار الطرد عند كشاجم، وقلائد المتنبى، ان من يروى هذه الاشعار ولا يستطيع ان يكتب الشعر لا بد ان يمسك الله عنه النعمة ولا بد ان يسلبه الخير (99). وكل هؤلاء الشعراء نجد اشعارهم متفرقة في كتب الثعالبي مما يبرهن بانه اتبع نصيحة استاذه

---

97) ـ اللطائف : المقدمة 8.

98) ـ خاص الخاص 174، من غاب عنه المطرب 77 التتمة 95/1 اليتيمة 395/3 مكارم الاخلاق الورقة 44

99) ـ ثمار القلوب 216.

في الكتابة الادبية، كما نستطيع ان نقول بان الاستشهادات الكثيرة اي الشواهد الضخمة تعني قبول الثعالبي لنصيحة استاذه.

ويستطيع الانسان ان يتخيل باعجاب لا يساوره الشك ذاكرة الثعالبي وولوعه الذي لا يتضمن اللاهوت والفلسفة والحديث والشعر وتفسير القرآن على الرغم من ان ذلك غير ناشيء عن جهل بمثل هذه الحقول من المعرفة. وهو امر طبيعي بالنسبة لمن اولع بالادب واللغة تماما بمختلف ميادينها كالثعالبي وذلك الذي جعل له الاعجاب والشهرة بين الاجيال من المثقفين المتاخرين. وادب الثعالبي ترك اثره على المثقفين، اما تاثيره على المتاخرين منهم فسنترك الحديث عنه إلى مجال آخر من هذا البحث ويكفي ان نقول هنا بانه بعد وفاته انتشرت كتبه واستشهد بها عدد من المؤلفين كالحصري المتوفى سنة 424 هـ وابن الجوزي المتوفى سنة 597 وياقوت المتوفى سنة 626، وابن ظافر المتوفى سنة 576 هـ والمؤرخ الحمدوني المتوفى سنة 681 هـ والصفدي، والسيوطي، وابن شاكر، والذهبي، وغيرهم كثير. ولا توجد لحد الآن - بالنسبة إلى معلوماتي اي دراسة تحدد مدى انتشار ادب الثعالبي على اجيال المتاخرين من الادباء والمتاخرين بشكل عام وعلى اية حال فنحن متاكدين من ان اعماله كانت مشهورة ومعروفة - وان الشهرة هي التي جعلت نسخها تنتشر على نطاق واسع (100) ويستشهد بها تقليدا

---

(100) - بروكلمان الملحق 1/499.

ومحاكاة او لتعلمها حقيقة (101)، او تضمينها في نظم قصيدة من الشعر (102).

وبعد الثعالبي كتب الباخرزي ـ تلميذه وخلفه ـ المتوفى سنة 467 هـ 1074 م كتاب دمية القصر الذي كتب له الحظيري تتمة سماها زينة الدهر (103) وبعد قرنين من تاليف الثعالبي ليتيمته كتب العماد الأصفهاني المتوفى سنة 597 هـ خريدة القصر محاكاة لليتيمة (104)، وكتب ا بن بسام المتوفى سنة (543) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة (105).

لقد قاد الثعالبي بنفسه طريق اكمال اليتيمة اذ ذكر ياقوت ا با الحسن المظفر النيسابوري المتوفى سنة (442 هـ) على انه اول من كتب تتمة لتتمة اليتيمة (106) واكثر من تلك الف كتاب محاسن من اسمه الحسن تقليدا لكتاب الثعالبي الاخر فضل من اسمه الفضل. وقد ذكر

---

(101) التتمة 81/2.

(102) ـ انظر اللامية من الشعر التركي كتب مجموعا في كنز الكتاب (بروكلمان 731/1) واعمال الثعالبي مثل فقه اللغة نظم شعرا من قبل مجهول في سنة 744 كما يظهر من مخطوط ليدن 149

(103) ـ ابن الجوزي : المنتظم 241/10 حيدر اباد 1357/1938 ـ 1941 ارشاد الاديب 232/4 بروكلمان الملحق 441/1.

(104) ـ انظر الاصفهاني المقدمة طبعة محمد بهجت الاثري (بغداد 1955 قسم العراق).

(105) ـ انظر مقدمة خريدة القصر طبعة الاثري ص 87.85 في ما يتعلق بمحتويات اليتيمة.

(106) ـ رشاد الاديب 219/3، حاجي خليفة 2050/2.

ياقوت ايضا ابراهيم بن محمد الخوارزمي مؤلفا لتتمة اليتيمة، واسامة بن منقد مؤلفا لذيل يتيمة الدهر (107).

وقد لاحظ بوسورث سابقا تعود الثعالبي الاعتماد الشامل على اعماله السابقة التي تماثل بطبيعتها ما ضمنه في كتابه لطائف المعارف (108) واكثر من ذلك فان اعمال الثعالبي الاخرى مملوءة بتنويهات او اشارات لاعمال غير معروفة اولا نعرف عنها الا القليل من خلال استشهاد الثعالبي بها مثل :

أ ـ نتف الطرائف للسلمي

ب ـ شعراء مصر

جـ ـ فضل الشباب على الصحاب كتبه الصولي للخليفة العباسي المقتدر.

د ـ مثالب العرب لابي عبيدة.

هـ ـ الالآت والولائم للخليل بن احمد الفراهيدي.

و ـ التحف والظرف لابن لبيب.

ز ـ الوساطة بين الزناة واللاطة لابن هندي .

حـ ـ اشعار الندماء للممشوق الشامي.

---

(107) ـ ارشاد 321/1، 182/2 لوافي بالوفيات للصفدي 382/8.

(108) مقدمة اللطائف 17 فما بعدها.

ط ـ الرؤساء والجلة للقاضي الجرجاني.

ي ـ كتاب المسالك والممالك.

وغيرها كثير وبصورة خاصة كتب الغزي. وقد استشهد كذلك باشعار كثيرة مهمة من دواوين مفقودة او بالاحرى غير معروفة لنا.

وآخر كتاب في القائمة وهو كتاب المسالك والممالك استشهد الثعالبي بصفحة منه في كتاب لطائف المعارف. وقد ظن بوسورث بانها ماخوذة من العمل الضائع للوزير الساماني الجيهاني المتوفى سنة 330 هـ 932 م في حين لا يظهر الاستشهاد المار من السمات الموجودة فيه اي احتمال مطابقة او مماثلة له. ولكن الاحتمال الاكثر هو ان يكون كتاب مسالك الممالك المفقود من تأليف الوزير الساماني عبد الله بن احمد بن محمود الجيهاني (109).

لقد وجدت ـ كما هو معلوم ـ عن اتجاه الثعالبي في اعادة مواده في أكثر من مكان من كتبه ـ وجدت بانه اقتبس من كتاب المسالك والممالك في اربعة مواضيع من اعماله هي ثمار القلوب صفحة 110 و303، و343، وواحدة من الصفحات المقتبسة وهي الصفحة 303 تحدثت عن اباحة الزنا والشرب في الهند. وتجدها بنصها معدلة بعض الشيء في كتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك ص 66 (111).

---

(109) ـ ن.م 140،30.

(110) ـ طبعة ابي الفضل ابراهيم القاهرة 1965.

(111) ـ طبعة دي غوية ليدن 1889.

ويبدو ان ا بن رستة الذي كتب كتا به ما بين سنة 290 هـ 903 م وسنة 300 هـ / 912م (112) قد اقتبس صفحة من هذا الكتاب وقد اقتبسها الثعالبي من هذه الصفحة من كتاب المسالك والممالك لمحمد بن اسحاق الذي لم يذكره ا بن خرداذ به كما اقتبس ا بن الفقيه المتوفى سنة 289 هـ/902 م على اية حال عمل محمد بن اسحاق مرتين في كتاب البلدان صفحة 270،227 وقد اعيدت في ثمار القلوب صفحة 543، ويظهر ان بوسورث، فاته هذا ولم ينسبه اليه.

واضافة إلى ذلك فان الثعالبي قال في ترجمة الصابي (المتوفى سنة 384 هـ/994 م بانه حينما كان في فارس ارسل إلى اديب الدولة الثاني البويهي درهمين خسروانيين وكتاب المسالك والممالك (114).

ويبدو كما اتضحت المسألة الآن ان الصفحة المقتبسة في كتاب اللطائف والثمار لم تكن من كتاب الجيهاني الضائع، ولكن من كتاب آخر ضايع استفاد منه ا بن رستة، وا بن خرداذ بة، وا بن الوردي المتوفي سنة 850 هـ/1440 م الذي وصف المؤلف بانه المؤرخ ا بن اسحاق (115).

---

(112) بروكلمان الملحق 426/1.

(113) كتاب البلدان طبعة م.ج غوية ليدن 1885.

(114) اليتيمة 2/ 280 المونتريال 30.

(115) خريدة الغرائب، وفريدة العجائب 107،110، القاهرة 1314 هـ 1896 م.

قائمة تجريبية لبعض اعمال الثعالبي ومن اهدى اليهم :

1 ـ المهداة إلى قابوس بن وشمكير ، (حاكم جرجان المتوفي سنة 403 هـ/1012 م)

أ ـ كتاب المبهج بروكلمان الملحق 501/1 (24) وطبع في القاهرة سنة 1332 هـ، وطبعت مقتطفات منه في استانبول 1031.

ب ـ التمثيل والمحاضرة بروكلمان، الملحق 501/1 (17) طبع بتحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة 1961.

2 ـ المهداة لمامون خوارزمشاه حاكم نيسابور المتوفى سنة 407 هـ/1016.

أ ـ النهية في الطرد والغنية بروكلمان، الملحق 500/1 (65) وطبع في مكة 1201 هـ وفي القاهرة 1326 هـ.

ب ـ اللطائف والظرائف، بروكلمان الملحق 501/1 (25) طبع ببغداد سنة 1282 هـ/ وفي القاهرة 1273، وسنة 1300 هـ وسنة 1310 وسنة 1324 هـ وفي طهران 1286.

ج ـ نثر النظم وحل العقد ، بروكلمان الملحق 501/1 (11) طبع في دمشق 1300 هـ، وفي القاهرة 1317.

د ـ لباب الاداب بروكلمان الملحق 501/1 (50) ما يزال مخطوطا.

هـ ـ غرر البلاغة، ودرر الفصاحة بروكلمان الملحق 500/1 (8) ما يزال مخطوطا .

3 ـ المهداة إلى أبي المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين اخي السلطان غزنة محمود، وكان الحاكم العسكري لنيسابور حتى وفاته سنة 1021/412 م.

أ ـ كتاب المتشابه، ويسمى احيانا الجناس والتجنيس بروكلمان الملحق 500/1 (6) حققه ابراهيم السامرائي في مجلة كلية الآداب ببغداد العدد 1967/10.

ب ـ غرر السير، بروكلمان الملحق 581/1 (2). وقد انكر بروكلمان وكايتاني نسبته إلى الثعالبي، ولكن روزنثال وزوتنبرغ وبوسورث ايدوا نسبته اليه (انظر بوسورث مقدمة ترجمة لطائف المعارف 1 ـ 2، 8 ـ 16) نشره زوتنبرغ في باريس 1900 .

ج ـ الاقتباس من القرآن بروكلمان الملحق 502/0 (31) حققته بتسام مرهون الصفار، ولكنه لم يصدر بعد (المورد الملجد 1، الجزء 1 ـ 2 بغداد 1971 ص 127 (●).

4 ـ المهداة إلى ابي القاسم احمد بن حسن المأموني المعروف بشمس الخلافة والذي صار وزيرا للسلطان محمود في سنة 1013/404

---

x) حققته ونشر في بغداد، بمساعدة جامعة بغداد مطبعة الجمهورية 1975 (المترجمة).

إلى سنة 415 هـ/1620، وإعادة مسعود إلى السلطة في سنة 421 هـ/1030، م وبقي فيها حتى وفاته في سنة 424 هـ/1033 م.

لطائف المعارف بروكلمان ج 1 الملحق صفحة 338(2) ونشر في ليدن 1867، ونشره ابراهيم الابياري وحسن الكامل الصيرفي في القاهرة 1960، ونشر بوسورت ترجمة رائعة للعمل في ادنبرة 1960.

5 ـ المهداة إلى الصاحب اكفى الكفاة احمد بن عبد الصمد الذي صار وزيرا للسلطان مسعود بعد الماموني في سنة 424 هـ 1033 م وتوفي في سنة 435 هـ/1043 وهو في خدمة مودود بن مسعود.

مرآه المروءات بروكلمان الملحق 501/1 (6) طبع مرتين في القاهرة في سنة 1898 وسنة 1900/1318 م.

6 ـ ابو الفتح الحسن بن ابراهيم الصيمري :

خصائص اللغة (الظاهرية، مخطوط برقم 206)

7 ـ مسافر بن الحسن الرضي (كان يتمتع برعاية الحاكم العسكري الغزنوي في خراسان خلال حكم مسعود تتمة اليتيمة 68/2 ـ 71).

خاص الخاص، بروكلمان، الملحق 502/1 (33(ونشر في تونس سنة 1293، وفي القاهرة 1326 هـ.

8 محمد بن عيسى الخرجي (كان صديقا ملازما للسلطان الغزنوي محمود اعتمادا على الثعالبي تتمة اليتيمة 66/2 ـ 67 ؛

9 ـ ابو احمد منصور من محمود الازدي القاضي . ذكر الثعالبي

بانه التقى به حين كان كل منهما في طريقه إلى داره، وصارا صديقين حميمين (التتمة 46/2).

أ ـ الايجاز والاعجاز بروكلمان 340/1 (27)، الملحق 501/1 (29) نشر في استانبول 1301 هـ/ القاهرة 1897 واسم المهدي اليه لم يظهر في طبعة القاهرة، ولكنه موجود في طبعة استانبول صفحة 98.

ب ـ اللطيف في الطيب (ذكر في مقدمة الكتاب السابق، ولم يبق له اثر لحد الآن.

10 ـ ابو عمران موسى بن هارون الكردي (ذكر اسمه في نهاية مخطوط سحر البلاغة ولم استطع معرفة شخصيته، نسخة سحر البلاغة وسر البراعة، بروكلمان ج 1 ص338 (7) والملحق 500/1 (7) طبعه في دمشق 1350 احمد عبيد، وطبعت مقتطفات منه في استانبول 1301 واسم المهدى اليه ظهر في مقدمة العمل.

11 ـ أبو الفضل عبد الله الميكالي، المتوفى سنة 436 هـ 1044 م :

أ ـ النسخة الاخيرة المعدلة من سحر البلاغة وسر البراعة ذكر الثعالبي اسمه في الذيل.

ب ـ فقه اللغة وسر العربية، بروكلمان 1 صفحة 500 (4) طبع في باريس 1361، القاهرة 1325، 1341، 1345، 1357، 1381، بتحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الابياري.

ج ـ ثمار القلوب في المضاف المنسوب، بروكلمان ج 1 صفحة 338

(9) الملحق 500/1 وطبعه في القاهرة 1326 وسنة 1965 ابو الفضل ابراهيم.

د ـ خواص البلدان ذكره في ثمار القلوب القاهرة 1955 (صفحة ـ 545).

12 ـ ابو صالح احمد بن حسن الحمدوي (انظر تتمة اليتيمة 60/2 ـ 62).

أ ـ ذكره في ذيل سحر البلاغة وسر البراعة.

ب ـ لطائف الصحاب او لطائف الظراف، بروكلمان 340/1.

ج ـ البراعة في التكلم بالصناعة ذكر في مقدمة كتاب لطائف الصحاب .

د ـ عمل في الادب بروكلمان الملحق 502/1 (34).

13 ـ ابو سعيد الحسن بن صالح (؟).

زاد سفر الملوك جستربتي مخطوط رقم 5067 (3)، وقد كتب الثعالبي الكتاب وارسله الى المهدى اليه عند دخوله غزنة وهو غير مذكور في بروكلمان.

2 ـ قائمة اسماء المؤلفات التي لم يذكر فيها اسماء من اهديت له ،

أ ـ احسن ما سمعت ، بروكلمان 339/1 (2) والملحق 500/12 (23)، طبع في القاهرة سنة 1324 واسم المهدى اليه لم يذكر تماما في العمل نفسه، ولكن الثعالبي قال في يتيمة الدهر 268/3 ـ 269 بانه كتبه تلبية

لطلب صديقه ابي الفتح البستي المتوفى سنة 400 هـ/1009 م.

ب ـ غرر البلاغة ودرر الفصاحة. بروكلمان 332/1 (8) الملحق 500/1 (8) في ذيل مخطوط بشير أغا المرقم 150 الورقة 963 قال المؤلف بان العمل مهدى إلى مولانا الملك المؤيد المظفر، ولي النعم، اطال الله بقاءه.

وهذا الاهداء يطابق الاهداء الموجود في كتاب اداب الملوك الخوارزمشاهية والذي الفه الثعالبي واهداه الى خوارزمشاه والكتاب ما يزال مخطوطا.

ج ـ اللطف واللطائف. بروكلمان 339/1 (10) والملحق 501/1 (10) وهذا الكتاب مهدى لمولانا السيد الامير الصاحب، ويحتل ان يطابق هذا شخصية الميكالي أو ناصر بن نصير الدين سبكتكين وما يزال العمل مخطوطا الاسكوريال 363 الورقة 65.

د ـ يواقيت المواقيت في مدح قليلي الشأن. بروكلمان 340/1 (26) الملحق 501/1 (24) وهذا الكتاب اهدي إلى مولانا الامير السعيد العاقل الصاحب، وهي كلمات تشبه اهداء الكتاب السابق. وطبع هذا الكتاب في بغداد سنة 1282 والقاهرة 1296.

هـ ـ التوفيق للتلفيق : بروكلمان 339/1 (14) وهذا الكتاب مهدى إلى الشيخ السعيد، ومطابقة او معرفة هذه الشخصية ما تزال صعبة. برلين المخطوط. 8338، الورقة 2 ب.

و- غرر البلاغة وطرف البراعة ، بروكلمان ص 338 (8) والملحق 500/1 (8) وهذا الكتاب مهدى إلى القاضي السعيد الذي يحتمل ان يطابق شخصية ابي احمد منصور بن محمود الازدي القاضي ولكن يجب ان نقول ذلك بحذر لاننا لا نملك الدليل القاطع لصحة احتمالنا.

ز - من غاب عنه المطرب، بروكلمان 339/1، الملحق 500 (12) وهذا الكتاب مهدى للشيخ العميد الذي يحتمل ان يطابق شخصية ابي سهل الحمدوى ولكن لا دليل يؤيد احتمالنا هذا، واسم المهدى اليه لم يظهر في المطبوع ببيروت 1309 هـ ولكنه ظاهر في نسخة مخطوط برلين 8333 .

ح - نسيم السحر، بروكلمان الملحق 500/1 (36) او نسم الصبا، بروكلمان 340/1 (53) وهذا الكتاب مهدى للشيخ الذي لقيه الثعالبي في الغربة، والذى ربطته به صداقة قوية طبع في بغداد 1965 وفي سنة 1971 وطبع في المورد المجلد 1/ج 2/1 صفحة 127 ـ 142 بتحقيق ابتسام مرهون الصفار.

فاس **د. ابتسام مرهون الصفار**

قصة

مزارع الغضب

أحمد عبد السلام البقالي

وقف (خيسوس موراليس) ينظر من نافذة غرفته الى الثلج يتساقط كألياف القطن المحلوج.

كان يعمل حارسا ليليا بمصنع «طويز انترناشيونال» للعب الاطفال باحدى ضواحى مدينة (هيوستن) بتكساس. وفي نفس الوقت يتدرب على صناعة اللعب الاليكترونية الدقيقة ليصبح عاملا بالمصنع. فكان يقضى نصف وقته في تعلم اللغة الانجليزية عن طريق الكتب والكاسيت، والنصف الآخر في التدرب على تركيب اللعب الاليكترونية المعقدة.

ورغم ان ظلام الليل كان حالكا بالخارج، كان المصباح الكاشف المسلط على السياج الحديدى يكشف عن ملايين الريش الا بيض المتساقط في صمت ثقيل.

لم تثلج في (هيوستن) منذ عهد بعيد.. ولم يكن (خيسوس موراليس) رأى الثلج من قبل في بلده باميريكا الوسطى الاستوائية..

ونفخ داخل قبضته، كرد فعل غريزى لبرد الخارج، رغم ان غرفته كانت دافئة مريحة، واقفل الستار الاسود السميك، وجلس الى مائدة العمل، ووضع على عينيه نظارة مكبرة واشعل المصباح الباهر الذى انصب بقوة على اللعبة التي كان يركبها.. كانت عبارة عن كلب ميكانيكى فريد من نوعه يستطيع ان ينبح، ويلهث، ويجرى، ويخرج لسانه ويحرك عينيه وذيله، ويتبع صاحبه...

وانغمس في عملية تركيب الأسلاك الملونة التى اصبحت عملا روتينيا بالنسبة اليه. وطار به خياله الى قريته الصغيرة المعلقة باحد سفوح جبال الجنوب الشاهقة ببلاده... واستعرض وجوه صغاره الثلاثة، وزوجته الشابة الجميلة، وامه العجوز الحنون... وتصور فرحة صغاره وهم يلعبون مع كلابهم الاليكترونية العجيبة. وزاده ذلك شوقا إليهم جميعا وحبا..

كان يعيش حياته كلها من اجل الشهر الذى يقضيه مع عائلته في قريته الصغيرة (صانطا إلينا) كل صيف.. لم تكن له حياة اخرى غير حراسة المصنع وتعلم اللغة. فلم يكن يعرف احدا من ابناء قريته في مصانع المنطقة القريبة ليتبادل معه الزيارة. وكان هو بطبعه محافظا، صامتا، مغلقا، غير اجتماعي ولا ألوف..

ولم يكن يفسد زياراته لبلاده الا ماكان يعانيه من رجال الجمارك عند الدخول ورجال الدرك طول الطريق الطويل الى قريته في اقصى الجنوب. وفي المرتين اللتين عاد فيهما الى ارض الوطن، منذ قدم إلى (تكساس)، منذ سنتين ونصف، حاملا الهدايا الى اطفاله وزوجته، وامه، خاب امله خيبة مريرة.

كان يحمل مع تلك الهدايا، التي كان يختارها بعناية فائقة، ويصرف عليها قسطا غير يسير من مذخراته، وآماله الدافقة، وأمانيه وأحلامه التي عاش عليها طوال السنة.. يجترها ويمتصها، ويلوكها، مستمدا منها الدفء والانس في برد الغربة والوحشة، والبعد الطويل، والشوق المحرق الى وجوه صغاره، وزوجته، وامه...

× × ×

كان يشتري الهدايا قبل سفره بشهور طويلة.. وكان يضعها امام صور اطفاله وزوجته وامه، ملفوفة لفا انيقا جميلا، ويتخيل وجه كل واحد منهم، وقد اشرق بهجة وحبورا...

وفي الرحلة الاولى، اوقفه رجال الجمرك مع بقية العمال القادمين من الشمال كاحد قطعان البقر، واخذوا يدفعون بهم الى جانب قاعة التفتيش، بطريقة همجية شرسة لينتظروا هناك حتى ينتهوا هم من الاجانب..

وتذكر بوضوح النظرة التى رآها في عيني أحدهم وهو يدفعه

بيديه المكتنزتين الى الوراء دون ان ينظر الى وجهه.. ويستطيع أن يقسم الآن على الكتاب المقدس على انها نفس نظرة الجزار الى الخروف او البقرة التى يهم بذبحها. عيناه كانت عليهما غشاوة المتعامل مع غير الانسان.

وحين خرج الاجانب، اقفل احدهم الباب، وجاؤوا بهم، وهم يحملون حقائبهم ويضعونها على الباسط، ويفتحونها، وعيون الجمركيين تجحظ باحثة عن كل ذي قيمة، وتختطفه وتضعه تحت الباسط دون كلام. واذا تكلم عامل او رفع صوته بالاحتجاج اقتيد بعيدا للتحقيق معه، حتى لا يعدي الآخرين بتمرده واحتجاجه.

وحين خرج (خيسوس موراليس) لم يكن قد بقي في حقيبته شيء ذو قيمته على الاطلاق.. ووقف ينظر الى مابقى بها من ملابسه القديمة، وقد وقفت بحلقة غصة حامية فحمل الحقيبة وقد غلبه الغضب والقهر، وتوجه نحو الحافلة، وجلس في كرسيه ينتحب في صمت، ويغطى وجهه بمنديل.

ورغم انه استطاع تعويض ماضاع منه من الهدايا بشرائها من العاصمة فقد بقيت في حلقه مرارة النهب والخطف الذين تعرض لهما بالجمرك، وخسارة يوم كامل ثمين في البحث عن هدايا مناسبة..

اما مابقى عالقا بخياله من تلك الزيارة حتى اليوم، وربما الى الأبد، فهو نظرة رجال الجمارك وهم يدفعون العمال الى الوراء كالكباش

المختارة للذبح... لم يكونوا ينظرون في عيونهم كما ينظر الانسان في عين الانسان.. كانوا يدفعونهم كما تدفع الصناديق، ويفكرون في متاعب عملهم، ويحسبون ما سيدره عليهم هذا القطيع من ربح آخر النهار.

ولم يحس في أي لحظة من حياته، أنه فقد إنسانيته فقد انا كاملا، كما أحس في تلك اللحظة ! وكانت تترامى الى سمعه اصوات غيره من العمال، وهم يحتجون او يستعطفون بذلة وخنوع فكانت تلك الاصوات تترجم في سمعه كثغاء الماعز، ورغاء الشياه، وهي تتزاحم على ابواب الزرائب.

ومن تم ولدت في ذهنه الفكرة الجهنمية.. فطاردها وطاردته، وصارعها وصارعته، وسهرته وأرقته الليالي الطوال.. وعاش معها سنة كاملة، يحلم بتفاصيلها احلام يقظة ينفس بها عن ضيقه كلما فكر في بلاده، دون ان يجرؤ على تطبيقها...

+ × ×

وفي عطلته الثانية التقى في القطار ببعض عمال بلاده الذين تحدثوا أمامه بحماس وسرور كبيرين عن خطاب وزير الشغل فيهم بان عهد استغلال رجال السلطة لهم انتهى، وأن الأوامر أعطيت لجميع الموانئ والمطارات التي تستقبلهم بتسهيل دخولهم وعدم تفتيشهم بالمرة.

وارتفعت بعض اصوات السخرية والتهكم، والتشكيك. ولكن الاغلبية كانت متحمسة لما قاله الوزير.. فقد كان ذلك استجابة لعدد من العرائض

كتبتها نقابات العمال بالخارج ضد اللصوص من الجمركيين والدركيين..
وختم احد المتحمسين لخطاب الوزير كلامه بقوله :

- ولا تنسوا ان العملة الصعبة التي يدخلها العمال للبلاد اصبح لها وزن هام في ميزانية الدولة.

ولم يعلق (خيسوس موراليس) بشيء على ماسمع. فقد كان خجولا بطبعه، صموتا منطويا على نفسه. ولكنه لم يملك ان يحس بانفراج الغمة والانقباض الذى كان يزداد كلما زاد اقترابه من ارض الوطن.. فكان يعكر عليه فرحة اللقاء بالاحباب، ويقف ستارا كالحا رهيبا دون الاستمتاع بحبور الصبيان وهم يفتحون هداياهم، وابتسامات الكبار،

ودموع اشواقهم تنهمر بسعادة اللقاء..

ولكنه فوجئ على الحدود، وهو يستعد للركوب إلى بلده، بأحد المتحمسين لخطاب الوزير يقترب منه، وسط جماعة من العمال مثله، ويهمس اليهم، ويشير الى رجل سمين في بذلة انيقة :

- ذلك السنيور هو ممثل الاخوان الجمركيين على الحدود، وهو يطلب عشرة آلاف (بيسو) فقط لكل رأس، ندفعها هنا، ونمر بالجمارك دون تفتيش بالمرة.

واحتج أحدهم :

ـ ولكن، ألم تقولوا إن الوزير قال ! ؟

ـ ششش ! خفض صوتك، حتى لا يسمعك ويغضب !

ـ وخطاب الوزير ؟

ـ الذي سنجده بالجمرك هو ذلك السينيور.. وليس الوزير! هات العشرة آلاف ولا تكن مغفلا...

واخرجت الجماعة محافظها. ووضع (خيسوس) ورقته السمراء، هو الآخر، بين الاوراق والتفت ينظر الى الرجل المكتنز فتعرف عليه في الحال.. هو نفسه الذى كان يدفعه على صدره بوجه حمال متعت، يتصبب العرق عليه، في قاعة الجمرك، في الصيف الماضى..

والتجأ (خيسوس) الى عالم خياله اللانهائى، فوجد نفسه وجها لوجه مع فكرته الجهنمية، ترقص عارية أمام عينيه !

وعند وقوف الحافلة بالحدود عرف الجميع لماذا اضطر الجمركيون الى ارسال سفيرهم لا بتزاز العمال قبل وصولهم.. كان ممثلون عن وزارة الشغل يراقبون عملية الوصول ويرحبون بالعمال، ويحلون مشاكلهم..

ولا حظ جميع من اعطى العشرة الاف نظرات السخرية، والاستهزاء، والاستصغار والاستعباط، التى كان رجال الجمرك يرمون بها ممثلى وزارة الشغل، ونظرات التآمر وضحكات الاستخفاف التي كانوا

يتبادلونها وراء ظهورهم، فحركوا رؤوسهم اسفا على اولئك الشبان المساكين، ورثاء لحالهم.

وعاد الانقباض والياس الى قلب (خيسوس) مرة اخرى، حين اوقف حافلته دركيان وصعدا السطح يفتحان الحقائب وينتقيان من محتوياتها ما يشاءان..

وتنهد قائلا لنفسه : «ما أطول الطريق إلى صانطا الينا».

وحين عاد الى (هيوستن) بعد هذه الزيارة، كان متأكدا من ان فكرته الجهنمية، هذه المرة، ستنتصر على جميع عناصر التعقل، والحكمة، والاعتدال في ضميره.

وحين جلس تلك الليلة الى منضدة عمله، كان قد اتخذ قراره النهائي القاطع بتنفيذ خطته الرادعة.

نظر الى باطن الكلب الاليكتروني المثقل بالاسلاك الملونة، والترانزيستورات والواح الدوائر الكهربائية المغلقة، والمصابيح الصغيرة جدا في حجم حبات الارز، والبكرات المسننة، وحبال المطاط والبطاريات. كان يبحث في مكان فارغ داخل جوف اللعبة لوضع انبوب من البلاستيك في حجم بيطارية الترانزيستور الكبير...

ومع الفجر.. كان قد وجد الحل.. استطاع الاستغناء عن احدى البطاريتين وتركيب انبوبه مكانها.. ولم يبق له الا تجربتها..

ومرت بضعة ايام وهو ينتظر، ذوبان الثلوج حتى يستطيع الخروج الى الغابة لتجربة لعبته.

وفي تلك الاثناء عرض عليه احد العمال سيارته المستعملة، بثمن مناسب، فاشتراها منه. كانت عبارة عن (ستايشون فاغون) عائلية تسير بالمازوط. واخذ يتدرب عليها في المساء والليل حول اوراش المصنع، ويحلم بدخول قريته الصغيرة الفقيرة بسيارته فخورا على زملائه الذين تخلفوا عن الذهاب للخارج.

كان يتخيل ان هذه اعظم هدية سيحملها الى صغاره، وزوجته وامه.. ولكن حين كان ينام كانت تقف الغصة الحامية في حلقه، ويحتقن وجهه غضبا، وتتحول احلامه الجميلة عن العودة الى ارض الوطن، ولقاء الصغار، والاهل، والاحباب، الى كابوس مزعج على الحدود، حيث تطل عليه، من نوافذ خياله، اوجه الجمركيين السمينة المحتقنة، وعيونهم الجاحظة، فتتناوله من كل جانب، وتفتح حقائبه، وتعيث فيها نهبا، وخطفا، ويستطيع هو ان ينجو منهم بسيارته ونفسه ويخرج الى الطريق، فتقف امامه صفوف الدرك، في حللهم الرسمية، يصفرون في وجهه بصفاراتهم حتى تكاد تخترق اذنيه. ويتراكمون عليه، فيخرجونه من السيارة، وينزعون جميع ملابسه، ويفككون سيارته اطرافا فيفر هو منهم بجلده، ويهيم على وجهه في البرارى والغابات !

ويستيقظ من كابوسه فزعا جازعا يتصبب عرقا، ويلهث، وقلبه يدق بعنف.

وانحسرت الثلوج، واخرج (خيسوس موراليس) في سيارته عدة لعب، جربها بالغابة، واحدة تلو الاخرى، حتى تأكد من جودة اختراعه.

وعاش الفترة الباقية من الشتاء والربيع يصنع لعبه الغريبة من مرفوضات المصنع، ويلفها لفا متقنا في صناديقها ويخزنها في فراغات تحت كراسى السيارة وتحت صندوق السلعة بها.

وفى فاتح يوليو، ودع رئيسه وزملاءه بالمصنع، وركب سيارته وانطلق بها نحو الجنوب..

وطوال الطريق كان يتخيل ما سيحدث.. كان يريد أن يستحضر جميع المواقف الممكنة حتى لا يقع في أى مأزق، أو يفاجأ بشيء لم يتوقعه..

وفعلا، وقف، عند وصوله الى حدود بلاده، داخل قاعة الجمرك، ليشاهد المسرحية كما تخيلها مئات المرات، وهى تمثل عمليا امامه..

وقف امام ضابط الجمرك، وبينهما حقيبته المفتوحة التى لم تكن تحتوى ما يغرى، وما يثير الفضول غير ثلاثة صناديق من الكرطون، مغلفة تغليفا انيقا بورق مزخرف كهدايا ثمينة.

وتناول الضابط الشاب الجاحظ العينين، الطويل الشارب، احد الصناديق وقلبه بين يديه، ثم سال :

ـ ما هذا ؟

ـ لعبة ... هدية لاحد اطفالى...

ـ افتحها، من فضلك..

فتنحنح (خيسوس موراليس) وقال بصوت خجول خفيض :

ـ انها لعبة، فقط.. هل ضرورى فتحها ؟

فلم يزد الضابط على ان اعاد :

ـ افتحها، من فضلك.

وتجرأ (خيسوس) مرة أخرى :

ـ الا ترى ياسيدى، أن الغلاف سيمزق ؟

ونبح الضابط هذه المرة خاطفا الصندوق من يده :

ـ «كرامبا أومبري !»

ومزق الغلاف اربا، وفتح الصندوق، وأخرج الكلب الإليكترونى الذي كان شديد الشبه بكلب حقيقي، وقلبه بين يديه، ثم سأل :

ـ كيف يعمل ؟

فتناوله (موراليس) قائلا :

ـ انه اليكتروني.. يتبع صاحبه، وينبح، ويحرك ذيله وعينيه، ويخرج لسانه، ويحك جلده بقدمه الخلفية.

فقال الضابط الشاب غير مصدق :

- لا يمكن..! أرني كيف ؟

فوضعه (موراليس) على الارض، وتناول مشغله اللاسلكي، وابتعد، وأخذ يصفق له ويناديه فتحرك الكلب وتبعه. وعاد (موراليس) فتبعه الكلب. ووقف ينبح على ضابط الجمرك، ويخرج لسانه ويلهث. ثم أقعى وحك كتفه بقدمه الخلفية، ثم وقف وانتفض انتفاضة الكلاب أمام اعين رجال الجمارك الجاحظة، وافواههم الفاغرة !

وكان رئيس المركز المكتنز قد انضم الى رجاله يتفرج على اللعبة الاعجوبة، فمد يده والتقط احد الصندوقين، وجاء نائبه فأخذ الصندوق الثالث. واحتفظ الضابط الشاب لنفسه باللعبة الاولى .. ووقف (خيسوس موراليس) ينظر اليهم، ويستعطف :

- أرجوكم..! إن لي ثلاثة أطفال، وقد اشتريت هذه اللعبة لهم !

فاقفل الضابط الشاب الحقيبة بعنف، وانقلبت ضحكته ومرحه لرؤية اللعبة الى تكشيرة ثعلبية متنمرة.

وتنهد (خيسوس موراليس) وهو يحمل حقيبته ويضعها في سيارته قائلا في سره «لقد حاولت». وكشر الوحش بداخله عن أنيابه !

وابتعد عن الجمرك منحدرا الى مدينة (خواريس) وهو ينظر الى الخلف في المرآة.

وفي المدينة الصغيرة التى كان يعرفها جيدا، اوقف السيارة في زقاق خالى من المارة، واخرج من تحت كرسى السيارة ثلاث لعب اخرى، وضعها في الحقيبة تحت الملابس البالية، والاحذية المستعملة، واستانف طريقه نحو العاصمة..

وتحول منظر رجال الدرك الذى كان يخيفه الى لقاء سار يرحب به وينتظره ! وبرتابة عجيبة كان يقع نفس الشيء عند كل نقطة يوقفه الدرك عندها. كانوا يطلبون منه فتح الحقيبة، وحين يعثرون على الصناديق المخباة تحت الملابس، يفتحونها، ويطلبون منه تجربتها امامهم.. وحين يشاهدون ما تفعله الكلاب الميكانيكية العجيبة يقعون في غرامها، ويضعونها في حقائب دراجاتهم النارية، كل واحد لطفله، أو أخيه الأصغر، أو ابن أخت رئيسه.

ومع كل واحد كان يستعمل جملته الاستعطافية :
- إنها لأطفالي الثلاثة.. أرجوكم بحب الله !
وكانوا هم يستعملون معه نفس الاشارة بايديهم، والتى تعنى :
- «تحرك.. !» أو «إذهب، والا. !»

وكان هو يكرر بعد ذلك في سره، وهو ينظر إليهم في مرآة السيارة :

وبقى كذلك يملا الحقيبة كلما فرغت، حتى انتهى ما كان معه من اللعب.. وبقيت تحت الكرسى ثلاث لعب ملفوفة لفا جميلا، وعلى كل واحدة منها اسم احد اطفاله.

وكان قد مضى على دخوله ارض الوطن ما يقرب من ست وثلاثين ساعة حين سمع اول خبر كان ينتظره، على أمواج الاذاعة.. قال المذيع :

وقعت ليلة امس ثلاث انفجارات متقاربة في منازل ثلاثة من رجال الجمارك بمدينة (خواريس) ذهب ضحيتها السيد رئيس مركز الجمرك، ونائبه، واحد الضباط بنفس المركز، كما جرح عدد من افراد عائلاتهم، ونقلوا الى المستشفى، وبعضهم في حالة خطيرة، ولا يعرف لحد الآن سبب الانفجارات. وترجح ادارة الامن ان يكون سببها راجعا الى شحنة جديدة من قنينات البوطاغاز المصابة بعطب من المصنع.

وذهب المذيع ينادى جميع من اشتروا القنينات الجدية ليراجعوا الدكاكين التي اشتروها منها...

كانت جميع اللعب ملغومة ومزودة بجهاز تاخير الانفجار مدة ربع ساعة من بداية الاستعمال.

وخفق قلب (خيسوس موراليس) لسماع الخبر، وارتعشت يداه على عجلة القيادة واصطكت ركبتاه، حتى خاف ان يخرج عن الطريق.. فمال

بالسيارة جانبا. وخرج منها واطلق صرخة ابتهاج عظيمة. ورفع يديه منتصرا في الهواء..

وتوجه نحو الراديو. واخذ يخاطب المذيع. وكانه فعلا يسمعه :

«بدأتم تخفون الحقيقة على الشعب ! هكذا أحسن ! ستتركون الفرصة لكلابي العزيزة لتفترس بقية اللصوص. وعند ذلك سيعرف الناس الحقيقة».

وعاد الى سيارته. وتابع طريقه يغنى مع الاذاعة بانطلاق لم يالفه في طبعه. حتى وصل الى مفترق طرق. وانحرف ناحية الغرب..

كان يعرف ان الشرطة ستتبع خط الانفجارات للقبض عليه. لذلك اخذ طريق الشرق عند خروجه من العاصمة. ووزع في طريقه عبواته الناسفة. وحين انتهت أخذ الطريق الغربي ثم الجنوبي الى قريته.

وقبل ان يصل الى قريته كانت ثلاث عشرة لعبة قد انفجرت في عدد من رجال الدرك والجمارك على طول الطريق. وكان (موراليس) يرسم صليبا بقلم احمر على كل نقطة يقع فيها الانفجار فوق خريطة بجانبه.

واستقبله على باب منزله صغاره الثلاثة بالعناق. والقبل والقهقهات. وعانقته زوجته وامه. ودخلوا جميعا فجلسوا الى مائدة عشاء فاخرة..

وجلس (خيسوس موراليس) يجيب عن اسئلة صغاره الفرحين بلعبهم دون ان يحول انتباهه عن صوت الراديو في انتظار الاخبار.

وبعد العشاء جلسوا يتفرجون على التلفزيون وامه وزوجته تحكيان له عن ماحدث في القرية اثناء غيابه، وصغيرة اطفاله في حجره، والآخران على يمينه ويساره.

وجاءت نشرة الاخبار الاخيرة، فعلم ان تسع عشرة لعبة من عشرين انفجرت وأخذت معها عددا من الضحايا من لصوص الجمارك والدرك.

ورغم أسف المرأتين لما حدث لعائلات اللصوص الرسميين فانهما لم يستطيعا اخفاء تشفيهما من لصوص الطريق الذين افسدوا حياة المواطنين، بما يمارسونه من نهب وسلب على المسافرين، وجعلوهم يكرهون السفر لكسب ارزاقهم، واعطوا للبلد سمعة بشعة بالداخل والخارج..

وفي العاصمة باتت اضواء وزارة الداخلية والامن، والجمارك باهرة، والتلفونات تدق والرسل تذهب وتجيء بين قصر الرئاسة وهذه المصالح...

وصدرت دورية برقية الى جميع مراكز الدرك، واذيعت عن طريق الامواج الخاصة بهم. ألا يأخذوا من المسافرين شيئا على الاطلاق، وإذا كانوا أخذوه فلا يلمسوه.

وأعطى رئيس الجمهورية شخصيا. امره لقائد الدرك. ورئيس مصلحة الجمارك والامن العام ان يجمعوا من رجالهم كل ما اخذوه من المسافرين بدون استثناء.

وصدر الامر الى رجال الشرطة بتفتيش منازل الجمركيين. صحبة افراد من الجيش والحرس الوطني، واعضاء من المجالس البلدية والبرلمان. وصدر أمر آخر الى الجمركيين بتفتيش بيوت الدركيين. والى هؤلاء بتفتيش بيوت رجال الامن.

فقد كان بين هذه القوات تنافس وعداء مستحكم.

وفوجىء اللصوص الرسميون بالتفتيش المفاجىء، وعثر على خزائن وكنوز هائلة من المسروقات التى كانت تنتظر التصريف في الاسواق...

وباتت الشاحنات، طوال الليل، تنقل الأمتعة المسروقة الى احدى حلبات مصارعة الثيران القريبة من القصر الجمهورى... ورجال الجيش يصنفونها حسب انواعها. ويسجلونها في دفاتر جرد سميكة.

وكانت مسروقات الثمانى والاربعين ساعة الاخيرة توضع جانبا. وتسلم واحدة واحدة الى افراد (فرقة المتفجرات) الذين كانوا يحتلون جانبا بعيدا من الحلبة الواسعة. الى جانب شاحنة ضخمة. تحمل برميلا هائلا من الصلب، ترمى بداخله القنابل الزمنية التي لا يمكن حلها أو شلها..

ومع الفجر كانت الحلبة الهائلة قد ضاقت بما تراكم في وسطها حتى اصبح جبلا عاليا..

وتناول احد رجال المتفجرات صندوقا من الكارتون فتحه بحذر. فإذا به كلب ميكانيكي يكاد ينبح من الاتقان. واخرج الكلب بحذر شديد واستمع الى داخله. فلم يسمع شيئا. واخرج ورقة طريقة الاستعمال. وأخذ يقرأ.. وطلب مفاتيح معينة. وجلس يفتحه تحت مصباح كاشف. وقد وقف خلف درع من الفولاذ.. وازال غطاءه الجانبي فانكشف العمل المعقد بداخله واخرج البطارية من حجرتها. فإذا أنبوب تحتها في حجمها. فمد إليه ملقاطا من حديد. وأخرجه بعناية. وفك عنه السلك الموصول بموقت كاد مؤشره ان يلمس الخط الأحمر الذي تنفجر اللعبة عنده.

وارتعشت يده وهو يضغط بالمقص ليقطع السلك. ويشل القنبلة.

وعندها تنفس الصعداء. وحمل التلفون اللاسلكي. ونادى رئيسه. واخبره.

وفي ظرف دقائق كانت اللعبة القاتلة على مكتب رئيس الجمهورية.. وكان رجلا هادئا بارد الدم. حاد الذكاء. فنظر الى اللعبة. ثم نزع نظارته. ورفع عينيه ينظر الى ضباط الامن. والدرك. والجمارك. واحدا . واحدا. وهم يتفادون نظرته الفاحصة. ولم يستطع احد منهم ان يلاحظ العصب الذى كان يرتعش بجانب فمه.

وتكلم رئيس الشرطة ليمزق حجاب الصمت الثقيل المشحون بالتهم :

- فخامة الرئيس.. في امكان مصلحتى العثور على مصدر اللعبة، والقبض على المجرم في اقرب وقت..

فارتعشت شفة الرئيس، مرة اخرى، وهو ينظر داخل عينى رئيس الشرطة بحدة واحتقار، ثم توجه بالكلام الى الاخرين :

- هل هناك اقتراحات اخرى ؟

فنطق قائد الدرك :

- سيدي الرئيس.. اذا سمحتم، فانى أرى أن نعاقب الجانى، حين نقبض عليه بتهمة غير هذه، حتى لا يفقد الشعب ثقته في رجال امنه...

ونظر الرئيس الى مدير مصلحة الجمارك دون ان يلتفت إلى ما قاله قائد الدرك. فقال هذا بكلمات متقطعة محرجة :

- حقيقة، هناك بين الجمركيين لصوص ومرتشون.. وما دمنا نتركهم لضمائرهم (وحرك كتفيه في استسلام) وقد حاولنا فرض نوع من الرقابة، ياسيدي.. ولكن وجدنا اننا في حاجة الى مراقبة الرقباء. واصبحنا ندور في دائرة مغلقة ..

وتشجع مدير الامن وقال :

- أنا ياسيدي، من رأيي، لو سمحتم، أن نقبض على الفاعل في أقرب وقت ممكن، والا سنصبح أضحوكة بين رجال الأمن في العالم.

وارتسمت على وجه الرئيس ابتسامة حادة وهو يجيب :

ـ الآن فقط ستصبحون اضحوكة بين شرطة العالم !؟ رأيي ياسعادة مدير الأمن، ان نسير في الاتجاه المعاكس أن نقبض على جميع من وجدت في بيته مسروقات من رجال الجمارك، والدرك، والأمن. وأن نقبض على جميع ضباطهم الذين يبيعون لهم الطرقات وكأنها غابات أو أنهار للصيد والقنص !

فنطق قائد الدرك :

ـ لا اعتقد ان ذلك من الحكمة ياسيدي.. فقد تصبح الدول بلا درك ولا شرطة ولا جمارك !

فوقف الرئيس وقد ظهرت حمرة خفيفة على خديه، وقال بصوت هادئ :

ـ لا يهمني على الاطلاق !. لن تصل البلد بدونهم الى ما وصلت اليه الآن من التعفن والفساد !

وصرفهم بحركة من رأسه وحين تحركوا للخروج نادى مدير الأمن :

ـ أريد أن تعثر على صاحب اللعب وتأتيني به.. دون أن يمسه سوء. فهمت ؟

فانحنى مدير الأمن موافقا، وخرج.

وفي المختبر الجنائى فحصت اللعبة الاليكترونية للعثور على بصمات الجانى دون جدوى. كان (خيسوس موراليس) حريصا على الا يترك اثرا عليها. فكان يشتغل في تركيبها بقفازات من المطاط الشفاف.

واستطاع رجال المباحث حصر التهمة في عدد من الافراد الذين دخلوا من مدينة (خواريس) ذلك اليوم.. وطلبت ادارة الامن مساعدة الاستخبارات الاميريكية. في تتبع خلفيات جميع الداخلين في ذلك اليوم من المقيمين بالولايات المتحدة.

وفي قرية (صانطا إلينا) كان (خيسوس) موراليس قد قضى بين اهله ثلاثة ايام ادرك خلالها فظاعة ما ارتكبه من اعمال..

كان يستمع الى الاخبار بحرص كبير. ويشاهد الاحداث الوطنية على التلفزيون وقد طغت عليها المآسي العائلية التى خلفتها الانفاجارت في منازل رجال الجمارك والدركيين.

وماتت فرحته بالانتقام وهو يشاهد صور الخراب والاشلاء البشرية. وجثث الاطفال. والامهات. والجدات.. لم يكن يتصور ان يحدث كل ذلك. واصيب بازمة ضمير خانقة. وانقطع عن الطعام والنوم والكلام.. وحاول اغراق همومه في الكحول. هربا من ضميره فلم يفلح.. كان السكر لا يزيد صور ضحاياه الا وضوحا وبروزا وضخامة في مخيلته.

وفي النهاية ادرك انه لم يبق امامه الا طريق واحد للتخلص من عذابه الداخلي.

اخذ سيارته، وتوجه نحو العاصمة.. ولما لم يكن يعرف شيئا عن المدينة الضخمة توجه رأسا الى القصر الجمهورى الذى كان زاره من قبل. وعلى بابه وقف يشرح لأحد الحراس سبب قدومه..

وامام ضابط حرس القصر اعترف (خيسوس موراليس) بجريمته بصوت هادئ مؤدب مما جعل الضابط يشك في ان يكون هذا المخلوق الدمث الاخلاق، الهادئ الطبع قادرا على اقتراف مثل تلك الجريمة.

ولكن حين وصف له اللعبة، وطريقة تركيبها، واطلعه على أوراق المصنع الذي كان يعمل به بضاحية (هيوستن) بتكساس، بدا الضابط يصغى بجد اكثر. واقتنع نهائيا حينما علم بالدوافع التى جعلت (موراليس) يفقد انسانيته، ويرتكب هذا العمل الذى اغرق البلد كله في حداد مفاجئ...

وحين علم رئيس الجمهورية بوجود (خيسوس موراليس) بالقصر، امر باحضاره في الحال.

وما ان وقف (خيسوس) أمام الرئيس حتى اجهش باكيا من الانفعال.. فاشار الرئيس الى الضابط والحرس لينسحبوا، ففعلوا، وتوجه اليه بالسؤال ليهدىء من روعه :

ـ ما اسمك ؟

- خيسوس موراليس، سينيور بريسدينتي.

فرفع الرئيس الحصيف حاجبيه معبرا عن اندهاشه :

- خيسوس موراليس ! خيسوس هو اسم السيد المسيح.. وهو يقترن بالسلام والتسامح، والمحبة. و(موراليس) تعنى «الاخلاق الحميدة». فكيف لم تتاثر بهذه المعالم النبيلة التي يحملها اسمك ؟

وركع موراليس على ركبتيه امام رئيسه باكيا :

- لا بد اننى كنت خارجا عن عقلى، حين فكرت في هذه الاعمال الشيطانية اعمانى الحقد على رجال الجمارك، والدرك، الذين كانوا ينهبون امتعتى وهدايا اطفالى وعائلتي، ويعاملوننى، وبقية العمال، كالحيوانات ! ولكن رغم ذلك، ياسيدي الرئيس، كان ينبغي لي أن أصبر، وأتسامح، وأحب عدوي. ولكنى تركت شهوة الانتقام تسيطر علي، لذلك جئت اليك.. لا لاطلب العفو او الرحمة.. جئت أطلب العقاب الذي استحقه، فلم اعد قادرا على الحياة مع ضميرى...

وفوجئ (موراليس) بصوت الرئيس الوقور يقول له :

- ولدى خيسوس، أنا لا ألومك على مافعلت مثقال ذرة !

ووضع يدا حنونا على كتفه :

- لا أدرى ماذا كان يفعل السيد المسيح مع هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق الرسميون... ولكن لو كنت انا في مكانك فربما فعلت نفس مافعلت. فلا خير في ضمير لا يثور ضد الظلم والفساد !

ودار حول مكتبه الفخم، وفتح درجا اخرج منه حقا مغلفا بمخمل اخضر، وفتحه، واخرج منه وساما ذهبيا، وجاء الى حيث كان موراليس راكعا، وقال له :

- قف يا ولدى ...

ووقف خيسوس وقد افحمته الدهشة، واخرس لسانه موقف الرئيس العظيم.

قال الرئيس بصوته الخطابى الذى يعرفه جيدا :

- (خيسوس موراليس).. حين تخرج من هنا، ستسلم نفسك الى العدالة لتقول فيك كلمتها، باسم الشعب، ولتعاقبك على مافعلت. اما من جهتى انا، كرئيس هذه الدولة، فانى اعتبر انك فعلت من اجل اصلاح جهاز الامن، والجمرك، والدرك، في البلاد، ما لا تفعله ألف محكمة ! ولهذا أقلدك هذا الوسام وسام الشجاعة الوطنى...

وعلق الوسام على صدر موراليس، وقبله على خديه، ونادى الحرس، فأخرجوه، وقد تقاطرت دموعه فخرا، وهو يردد :

- «غراسياس، سينيور بريسيدنتى، غراسياس.! غراسياس !»

ولم تطل المحاكمة..

فقد اعترف المتهم بجرائمه، وحكى تفاصيلها بدقة وامانة.. وروت الصحافة اعترافاته ودوافعه نحو الجريمة بعطف كبير، وانقسم الرأى العام

حول ما اذا كان للمواطن الحق في الدفاع عن نفسه او ماله. في حالة غياب حماية الدولة.. ونفى المعارضون هذا الحق. اذ ذهب ضحيته ا برياء مثل اطفال وعائلة اللص المعتدى.

ولم يجادل احد في حق المواطن في الدفاع عن نفسه وماله. ضد أى كان. حتى ولو كان يلبس بذلة رسمية.. كل الشرائع.. سواء السماوية منها. او الارضية. اعطته هذا الحق.

ولم يخف اغلب المعلقين تشفيهم من لصوص الجمارك. وقطاع الطرق من الدركيين

واصبح اسم خيسوس موراليس رمزا للثورة ضد التعفن. والرشوة. والفساد. واستغلال النفوذ وانعدام الرقابة على منفذي القانون. والمتعاملين مع الشعب.

ورغم ان المحاكمة لم تطل. فقد انشق مجلس المحلفين على نفسه. منهم من يطالب للجانى بعقوبة الاعدام. ومنهم من يطالب له بالمؤبد. نتيجة ظروف التخفيف. كوجوده في حالة جنون موقت نتيجة الظلم الصارخ المتكرر الذى وقع عليه.. ثم ان بقاءه على قيد الحياة سيبقى انذارا دائما وعبرة للمنحرفين من رجال السلطة.

الا ان طائفة الحكم بالاعدام استطاعت الفوز بصوت واحد.. وهكذا حكم على خيسوس موراليس بالاعدام شنقا.

وتقبل هو الحكم بهدوئه المعهود. وفي الحقيقة كان يحس في داخله بارتياح كبير.. قريبا ستنطفىء نار ضميره، وتنتهى المحنة.

وألقى نظرة شاردة نحو أمه وزوجته وهما يتباكيان لسماع الحكم الفاصل، واختفى بين حارسيه داخل قبو المحكمة.

ومرت عدة شهور على صدور الحكم والاستئناف. ونسيت الصحافة قضية موراليس وطوت ملفه.

وفي قصر الرئاسة ادخل مدير ديوان الرئيس ملفا يحمل وثيقة الحكم بالاعدام للمصادقة عليها.. ولكنها عادت اليه في المساء دون توقيع.. وظن انه لم يرها، فاعادها اليه على وجه ملف التوقيمات في اليوم التالى..

وحين عادت اليه دون توقيع في المرة الثانية اخذها، واستاذن على الرئيس ووضعها امامه..

ونظر رئيس الجمهورية اليه ثم الى الورقة، وتناول القلم وكتب عليها بخط واضح :

« يغير الحكم بالاعدام الى السجن المؤبد ». ووقع الوثيقة، وناولها اياه..

ـ سيدي .. لا شك انكم تدركون عواقب هذا التخفيف على حظوظ حزبنا في الانتخابات القريبة القادمة..

فنزع الرئيس نظارته، ونظر الى مدير ديوانه الشاب واجاب بصوته الهادى :

ـ نعم .. ولكن رئيس الجمهورية ليس رئيس طائفة من الشعب دون اخرى. (خيسوس موراليس) هو واحد فقط من مآت الآف المواطنين العاملين بالخارج، الذين يتعرضون لاضطهاد الجمرك، والدرك، والامن في صبر، وصمت، واستكانة.. وقد ثار موراليس من اجلهم جميعا.. ومن اجلهم جميعا اخفف الحكم على (موراليس)

واضاف :

ـ بل واكثر من هذا، انا افكر في اطلاق سراح (موراليس) اثناء المعركة الانتخابية.

ولم ييأس مدير الديوان فاعترض :

ـ ولكن هذا، ياسيدي، اعتراف ضمني من طرفكم بتعفن الوضع الأمني في البلاد.

ونزع الرئيس نظارته، وسرح داخل الغرفة الكبيرة المزخرفة، وقال وكأنه يفكر بصوت عال :

ـ اريد ان يكتب على قبري :

«هنا يرقد الرئيس الذي وقف الى جانب الشعب، حين عجز عن اصلاح جهاز السلطة في البلاد» !

وابتسم لمدير ديوانه المأخوذ، وأضاف :

ـ بعد عمر طويل طبعا !

الرباط **احمد عبد السلام البقالي**

الصمت والنقاوة

حسن الطريق

جاوزت كل حدود الصمت والجلد	كأنما عدت محجوبا عن البلـــد
جاوزتها وأطلت السير بينهمـــا	بلا تطامن قلب أو هنا خلـــد
يغلي بك النبض لا يرضيك معترك	قد طال فيه صراع الروح والجسد
أتشتهي خلوة للذات مطبقـــة	وتصطفي ما بها يأتيك مـن مدد
أتشتهيها وفي دنياك متســـع	تفتر فيه مصابيح بلا عـــدد ؟
لا يحتويك بها شيء إذا ارتعشت	عروق جسمك في الأحشاء والكبد
لم تحتجب عنك أضواء مؤلقـة	والغيم محتشد في طي محتشـد
يلقي الظلام عليك الآن ظلمتـه	من كف كل حسود ناقم وردي
فيجرف النور ماتبديه من علـل	حتى إذا غرقت فيه ولم تعـد

أجريت من مطر الأفكار مكرمــة ... فيها صفاء هوًى، فيها سماح يــــد
فيها نقاوة روح، وهي جاريـــــة ... تنساب في كل غصن وهو غير ندي
لم تجر من سلسبيل الشعر قافيــة ... (إلا وكان مداها غاية الأبـــــد)
إن كنت هكذا عند الليل متصفــا ... فما تكون غدا فيه، وبعد غــد ؟
فاصبر فما نفدت هذي الحياة ولا ... ضاعت مفاتيحها من كف مجتهد
وثق بربك فيما أنت تنشـــــده ... ولا تثق بعده بالناس في أحـــد

العرائش ... **حسن الطريبق**

IV ابن أبي زرع

عبد القادر زمامة

من المرددات التي ألفنا سماعها في المغرب في عدة مناسبات قول الناس عند سماعهم لكلام شخص يتحدث عن التاريخ والآثار والأخبار المتعلقة بالبلاد المغربية في القديم :

- **كتاب القرطاس في رأسه .....!**
- **حافظ كتاب القرطاس .... !** (1)

وبطبيعة الحال وسياق الكلام فإنهم يعنون مصدرا من مصادر تاريخ المغرب المفيدة. وهو كتاب :

---

1) الامثال المغربية. دراسة ونماذج مشروحة. عبد القادر زمامة - مجلة البحث العلمي - العدد السابع. المثل رقم 152.

= الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب، وتاريخ مدينة فاس.

وقد اختصروا اسمه فتارة يقولون : الأنيس المطرب. وأخرى يقولون : روض القرطاس. وأحيانا يبالغون في الاختصار من أجل الشهرة فيقتصرون على كلمة واحدة هي : الأنيس ... أو القرطاس....!.

وظل هذا الاسم = القرطاس = مرددا على ألسنة الناطقين. وفي أقلام الكاتبين حقبا طويلة من الزمن. لا يتطرق الشك عندهم إلى هذه = القاف = الموجودة فيه. رغم ماكان يبدو عند التأمل. وإمعان النظر من قلق وغموض في وجود كلمة القرطاس ضمن هذا الاسم الطويل الذي اختير ليكون علما على هذا الكتاب بهذه الصيغة منذ الربع الأول من القرن الثامن الهجري....

وزيادة في الإيضاح . فإن محط القلق والغموض في هذا العنوان جاء من إضافة الروض إلى القرطاس...! فهل هناك في واقع الأمر. روض من رياض فاس أو غيرها من المدن المغربية. يسمى بهذا الاسم.. اشتهر اسمه وذاع خبره، لما فيه من سحر وجمال على عهد المؤلف..... فأحال المؤلف قراء كتابه على شيء معروف ومعهود في ذاكرتهم.... ؟.

وهل تعني كلمة القرطاس الواردة في هذه الإضافة شخصا لقب بهذا اللقب... أم تعني المعنى المعروف وهو الورق المستعمل للكتابة... وتكون

الإضافة للشخص. أو للورق من أجل مناسبة ما. أو ملابسة مّا كانت على عهد المؤلف. أو في تصوره الخاص على أقرب تقدير... ؟.

وظهر في أفق البحث عن هذا الاسم شيء آخر. وهو أن الباحثين في تاريخ المغرب وقعت أنظارهم على مخطوطة مغربية أعطي لها إسم = مفاخر البربر = وأطلع على هذه المخطوطة المستشرق الراحل. إ - لافي - بروفنصال واستخرج منها الكتاب الذي سماه :

= نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى =
= منتخبة من المجموع المسمى مفاخر البربر = (2)

وقد جاء في هذه المخطوطة نقل تاريخي نقله المؤلف عن مصدر يعتبر الآن في حكم المفقود.

ويظهر أن المؤلف نقله نقلا مباشرا من كتاب = المقباس = لمؤلفه : أبي مروان عبد الملك بن موسى الورّاق التاريخي جاء فيه هذا التعريف :

= زيري بن عطية المغراوي المكنى بابي يوسف والملقب بالفرطاس .... ! (3)

---

2) طبع بالرباط سنة 1934م ولنا رأي خاص في المخطوطتين المعروفتين لهذا الكتاب والموجودتين بقسم المخطوطات من الخزانة العامة بالرباط....

3) انظر ص 37 من كتاب (نبذ تاريخية) وكلمة فرطاس ترجع إلى أصل أمازيغي وتعني الأقرع.

فهذا النص الذي أعطى لقب زيري بن عطية . جعل هذا المستشرق وغيره ممن أطلع على هذه المخطوطة يطرحون قضية القلق والغموض الواردة في عنوان كتاب ، الأنيس المطرب بروض القرطاس....! ويحاولون = مسترشدين بهذا النص = حلها....

فالمعروف تاريخيا ان زيري بن عطية المغراوي له ضمن الأعمال التي قام بها بالمغرب ماهو معروف من أعمال قام بها بفاس. وإليه ينسب المكان المغروس بالزيتون المعروف بزيتون ابن عطية (4) بين باب فتوح ووادي الزيتون الذي هو فرع من فروع وادي فاس....

فزيتون ابن عطية المعروف عند المؤرخين كان من أماكن النزهة والتسلي والأنس. وهو قائم الذات إلى الآن..... ومن الجائز أن يكون زيري بن عطية قد بنى به روضا لهذا الغرض. أو للإقامة والسكنى.... ومن الجائز أن مكان الزيتون نفسه كان يسمى عند الناس روضا من أجل أنه معد للنزهة والأنس.

واعتبارا لهذا مع مانقل صاحب المخطوطة من تلقيب زيري بن عطية بالفرطاس = بالفاء = أصبح اسم كتاب ابن أبي زرع محل اجتهادات واختيارات..... من أجل إزالة الغموض والقلق الواردين في كلمة القرطاس = بالقاف =.

---

4) انظر ص 24 و 43. من كتاب جنى زهرة الآس للجزنائي ط. الرباط 1967م.

وهكذا = ومنذ ما يقرب من خمسين سنة = بدأت هذه = القاف = الموجودة في كلمة = القرطاس = من عنوان هذا الكتاب التاريخي تتململ وتتأرجح وتتطلع إليها عيون النقد والاجتهاد والاختيار....!.

بعد هذا ننتقل إلى اسم أسرة المؤلف فهي بيت من بيوتات العلم والفضل بفاس. واسمها يلفت الأنظار. فنحن نعلم أن هذا الاسم = أبو زرع = ورد في حديث شريف ذكر فيه الرسول عليه السلام قرية من قرى بلاد اليمن.... وذكر النسوة اللائي اجتمعن بها للحديث عن أزواجهن وكان من جملتهن = أم زرع = التي تحدثت عن زوجها = أبي زرع = وكان برا كريما.... ومن أجل ذلك قال الرسول عليه السلام مخاطبا عائشة أم المومنين :

ـ يا عائشة. أنا لك كأبي زرع لأم زرع.... (5).

فالأسرة تنتمي إلى جد سمي بأبي زرع على الاسم الوارد في الحديث الشريف لهذا الزوج البارّ الكريم... ومؤلف = الأنيس المطرب = ذكر بعض أفراد هذه الأسرة. كما أن غيره من المؤرخين أشاروا إلى أفراد منها. والصفة العامة التي نستطيع أن نستخلصها من إشارات المؤرخين لهؤلاء الأفراد من أسرة بني أبي زرع هي أنهم كانوا ذوي صفات محترمة أعدتهم للخطابة والإمامة كما أن بعضهم كان من جملة العلماء الذين

---

5) ألف القاضي عياض السبتي كتابا في شرح ماتضمنه حديث أم زرع في الفوائد يسمى (بغية الرائد) طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ بالرباط 1395 هـ 1975م.

حضروا مع أبي الحسن المريني في معركة = طريف = الشهيـرة سنـة 741 هـ واستشهد بها (6).

ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أن هذه الأسرة تركت من آثارها في مدينة فاس هذه = الوصية = المشتملة على أملاك وعقارات حبست على مستحقيها من الفقراء وذوي الحاجة مبرة وإحسانا....!

وقد عثرنا أثناء البحث في حوالات الأحباس القديمة بمدينة فاس على هذه = الوصية = التي أخذت حيزا من حوالة أحباس القرويين بعنوان واضح هو :

- وصية ابن أبي زرع ....!

فإلى جانب الإمامة والخطابة والجهاد والاستشهاد وكتابة التاريخ المغربي... هناك = وصية = المبرة والإحسان التي بقي عنوانها مسجلا في حوالة الأحباس إلى الآن .

والنفس تطمئن بعد هذا إلى تجاوز وتخطي ماقيل ويقال وسيقال عن مؤلف ءاخر لهذا الكتاب المعروف الذي بين أيدينا والذي عرفه قبلنا

---

6) الأنيس المطرب ط. الرباط 1972م ص 76.
- جنى زهرة الآس ط. الرباط 1967م ص 60.
- جذوة الاقتباس ط. الرباط 1973م ص 61.
- درة الحجال ط. الرباط 1934م ج أ ص 211.
- ألف سنة من الوفيات الرباط 1976 ص 112 و 193.

المؤرخون .... منذ العصر المريني إلى الآن ونقلوا عنه مرات.... ذاكرين اسمه المعروف تارة وساكتين عنه تارة أخرى... ولا داعي الآن إلى تتبع أسمائهم وأسماء كتبهم....

فقد ألف المؤرخون مؤلفات في نفس الموضوع أو في موضوع قريب من موضوع ابن أبي زرع إلا أن مؤلفاتهم ليست هي بطبيعة الحال كتاب الأنيس المطرب الذي بين أيدينا... وما وقع من تخليط في هذه السبيل إنما يرجع مصدره إلى تلك الأغلوطة التي حاول بها مؤلف أو مؤلفو كتاب (بيوتات فاس) (7) التفرقة بين كتابين في موضوع واحد... أو بين نسختين من كتاب واحد في صياغتين مختلفتين إجمالا وتفصيلا... فزاد ذلك العمل الأمر إبهاما وغموضا وفتح المجال أمام الأوهام والخيالات وحب الإغراب والتشكيك والاستنتاج البعيد...

وإذا كنا نجهل ترجمة مؤلف كتاب = الأنيس المطرب = فإننا لانجهلها وحدها بل إننا نجهل تراجم كثيرة لعدد من المؤرخين والرحالين وغيرهم، كابن عذاري، والعبدري، والمراكشي مؤلف المعجب، ومؤلف كتاب الاستبصار... والسلسلة طويلة....!

وابن أبي زرع مؤرخ ثقة مستوعب لأشتات الموضوعات التي تناولها بقلمه مع عفة واضحة وابتعاد عن اللمز والتجريح وما يقبح ذكره

7) انظر بيوتات فاس. ط الرباط 1972م ص 63.

من المعايب والنقائص. ولكنه كان ابن بيئته وعصره ونمط ثقافته. وحصيلة ظروف بلاده، وما يحيط بها من ملابسات سياسية ومكرية واجتماعية .

وإذا كان ابن مرزوق الخطيب قد حدثنا في مخطوطة كتابه : (المسند الصحيح الحسن) عن محاورة جرت بينه وبين السلطان أبي الحسن المريني في شأن معلومات كتبها ابن أبي زرع. وقرأها ابن مرزوق على أبي الحسن.... وأن هذا الأخير ذكر لابن مرزوق ماكان ينكره والده السلطان أبو سعيد من المعلومات والأخبار التي دونها ابن أبي زرع... فإن إنكار أبي سعيد إنما كان منصبا على أنساب وأخبار الدولة في أول نشأتها. والصراعات التي خاضها رجالها مدة طويلة قبل أن يتم لهم الأمر فمن الجائز أن يكون ابن أبي زرع لا يعرف تسلسل الأحداث. ومن الجائز أن تكون معلوماته غير مدققة أو غير صحيحة. لأنه إنما تلقاها عن الرواة... وءافات الأخبار رواتها كما يقولون... (8).

فانتقادات السلطان أبي سعيد المريني التي رواها السلطان أبو الحسن وتحدث عنها ابن مرزوق وحده ـ فيما نعلم ـ ليست منصبة على جوهر الكتاب والمعلومات الغزيرة التي جمعها... وإنما هي منصبة على

---

8) المسند الصحيح الحسن مخطوطة خاصة.

معلومات خاصة تتعلق بأولية المرينيين علمها أبو سعيد. وغابت عن المؤرخ ابن أبي زرع.... لأن الأول مارسها ... والثاني سمعها...

بعد هذه الجولة التي كان لا بد منها حول اسم الكتاب والمؤلف وأسرته ننتقل إلى مضمون الكتاب والاتجاه الذي يمثله المؤلف في كتابة تاريخ المغرب على عهد بني مرين .

لعل فكرة كتابة تاريخ للمغرب وحده في عصوره الإسلامية إنما شاهدت طريقها إلى الظهور في عصر دولة بني مرين بعد انهيار الخلافة الموحدية وتمزق الوحدة التي كانت تمثلها. وظهورها في شكل أربع وحدات سياسية لكل منها دولة وعاصمة ومنطقة نفوذ وسياسة إقليمية خاصة... فهناك دولة بني الأحمر في غرناطة. ودولة بني حفص في تونس. ودولة بني عبد الواد في تلمسان ودولة بني مرين في فاس.....

وابن أبي زرع يمثل في كتابه = الأنيس المطرب = هذا الاتجاه الإقليمي في كتابة تاريخ المغرب. فقد طبق عمليا فكرة كتابة تاريخ للمغرب وحده في عصوره الإسلامية فأرخ دولة الأدارسة ثم زناتة. ثم المرابطين ثم الموحدين ثم المرينيين... مع اهتمام واضح بفاس عاصمة الدولة وموطن المؤلف... والقرويين وخطبائها وأيمتها وعلمائها والآثار التي تحتضنها منذ عهد التأسيس إلى بداية القرن الثامن الهجري مما لا يزال بعضه قائما إلى يومنا هذا... ويختم الحديث عن كل دولة بأبرز الأحداث والوقائع والكوارث الطبيعية التي شاهدتها البلاد على عهدها...

أما معاصر ابن أبي زرع المؤرخ ابن عذاري المراكشي فقد كتب تاريخا موسعا في الجملة لأقطار المغرب الثلاثة والأندلس ممهدا لذلك بمقدمات ضافية عن حركات الفتوحات الإسلامية وأطوارها وقادتها والصراعات والثورات التي قام بها المتمردون والمتنبئون والبرغواطيون... والمدن التاريخية كنكور وتهرت وسجلماسة وغيرها.

فالمؤرخان اللذان عاشا في دولة بني مرين يجتمعان في نقط محدودة. ولكنهما يختلفان منهاجا. وثقافة واطلاعا. وروحا. واهتماما بالأشياء والبقاع والشخصيات.

وبالتتبع والاستقصاء لما هو معروف لحد الآن من آثار هذين المؤرخين المغربيين فإننا لانعلم أن أحدهما أطلع على ماكتبه الآخر أو استفاد منه بوجه من الوجوه...

والمصادر التي اعتمد عليها كل من ابن عذاري وابن أبي زرع مختلفة. وبطبيعة منهاج ابن عذاري فإنه اعتمد على مصادر أوسع من مصادر ابن أبي زرع ومنها مصادر أندلسية وقيراونية. كما أن كلا منهما تلقى روايات من شيوخ ورواة كانوا محل ثقته وتقديره واهتمامه. كل في ميدانه الخاص....

ويظهر أن ابن عذاري كان مهتما بالناحية الأدبية لبلاده. ولعله اقتبس هذا الاهتمام من شيخه محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي

مؤلف كتاب = الذيل والتكملة... فإننا نجد في الجزء الخاص من كتابه بدولة الموحدين (9) عدة نصوص أدبية لشعراء الدولة الموحدية من مغاربة وأندلسيين... بخلاف ابن أبي زرع فإنه كان مهتما في غالب فصول كتابه بالناحية التاريخية سواء منها مايتعلق بالدول أو مايتعلق ببعض أعلام العلماء المشهورين في تاريخ المغرب عموما. وتاريخ فاس خصوصا.... زيادة على اهتمامه بالخطط والمعالم الموجودة بفاس والتي كان مهتما بتتبعها. وحشر كل ما يعلمه عنها....

وليس معنى هذا أن ابن أبي زرع لا يهتم بالأدب والأدباء ولا يروي المقطعات والأبيات... فإن واقع الأمر يشهد أنه روى في كتابه عدة أبيات ومقطعات إلا أن اهتمامه كان منصرفا إلى المادة التاريخية أكثر منه إلى المادة الأدبية.

وابن أبي زرع في مادته التاريخية حافظ لنا على نقول متعددة ومفيدة من كتب تاريخية هي الآن في حكم المفقودة لاسيما وهذه النصوص تتعلق بالقرون الأربعة الأولى من تاريخ المغرب. وفيها من المعلومات المدققة عن تاريخ الأدارسة وزناتة والمرابطين ماليس في غيرها. ولحد الساعة لانعلم أدق ولا أعمق منها....

---

9) طبع بمدينة تطوان... وقد عثر على عدة نسخ خطية لهذا الجزء بها مايكمل بعض النقص الذي في المطبوع.

وإلى جانب المادة التاريخية هناك المادة اللغوية والأساليب التعبيرية التي يستعملها ابن أبي زرع في كتابه.... فمادته اللغوية ليست غزيرة ولكنها دقيقة سهلة المنال يأخذ الكلمات في سهولة ويسر من غير تعمق ولا تكلف وأحيانا يفضل الكلمة المستعملة في عصره ولو كانت غير فصيحة لأنها - في نظره - أدق في التعبير عن المعنى. وأفيد لمن لا يعرف غيرها من القراء... ولهذا فإن لغة ابن أبي زرع تصلح مادة لدراسة اللغة التي كانت مستعملة في التعبير الكتابي والشفوي في مدينة فاس على عهد بني مرين... فهي عند التامل تبدو بين بين، ليست راقية وليست منحطة. وهي مع ذلك سهلة مرنة.

وشيء ءاخر يصلح ليكون مادة لدراسة لغوية وحضارية في وقت واحد عند ابن أبي زرع وهو ذلك المجموع الذي جمعه من الكلمات الحضارية المشتركة بين المغرب والأندلس. والخاصة بالمغرب.... وهذه الكلمات لها دلالة حضارية خاصة لاتهتم بها المعاجم اللغوية عادة...

وكتاب ابن أبي زرع باعتباره المصدر الأول لتاريخ المغرب. والمصدر الأول لتاريخ مدينة فاس في حاجة ماسة إلى تحقيق ودراسة ومراجعة الأصول الخطية - وهي كثيرة - لتأخذ الأعلام التاريخية والجغرافية صيغتها الحقيقية ولتأخذ الاصطلاحات والكلمات الحضارية حظها من الإيضاح والتدقيق.

ولنعط هنا مثالا حيا لعلم تلاعبت به الأيدي في النسخ الخطية والأخرى المطبوعة. وهو علم كان في الأصل لقبيلة... ثم سكنت هذه القبيلة أو بعضها حيا من أحياء فاس القديمة. فسمي الحي باسمها على العادة المعروفة في الخطط القديمة....

وهذا العلم هو : (أشنيخن) يذكر ابن أبي زرع الترتيب السكني الذي تم في فاس بعد التأسيس ونزول السكان في أحياء خاصة بكل قبيل من الوافدين فيقول :

= ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة واشنيخن كل قبيلة بناحيتها. فأمرهم إدريس رضي الله عنه بغرس الأرض وعمارتها. فغرسوا جانبي الوادي من منبعه بفحص سايس إلى مصبه بنهر سبو... (10).

ولقد صحفت كلمة = اشنيخن = في النسخ الخطية ثم صحفت في الطبعات الحجرية وغيرها. فهي تارة = الشيخان = وهي تارة = الشليخان وهي ثالثة = أمشخان =.

وهذا مثال من التصحيف الذي وقع في النسخ الخطية وتبعتها طبعات الكتاب المختلفة خارج المغرب وداخله. وقد سبق لي أن نبهت على هذا في مجلة (البحث العلمي) (11).

---

10)انظر هذا النص في النسخ الخطية وانظره في طبعات الكتاب الحجرية وغيرها عند كلام ابن أبي زرع على تأسيس مدينة فاس.

11)انظر مجلة (البحث العلمي) العدد الثالث عشر لسنة 1968م.

وبطبيعة الحال فإن هناك تصحيفات قديمة في النسخ الخطية يجب إعادة النظر فيها قبل الإقدام على طبع الكتاب طبعة علمية محققة...

فاس **عبد القادر زمامة**

مأساة الحسين
في الأدب الأندلسي

-5-

د. عبد السلام الهراس

ولابن جابر محمد بن جابر الضرير قصيدة طويلة في فضائل الصحابة العشرة وأهل البيت وقد خص السبطين بأربعة عشر بيتا يشيد فيها بالحسن والحسين رضي الله عنهما ويقول عن الحسين (1):

وكان الحسين الصارم الحازم الذي   متى يقصد الأبطال في الحرب يشدد

شبيه رسول الله في البأس والقوى   وخير شهيد ذاق طعم المهند

لمصرعه تبكي العيون وحقها   فلله من جرم وعظم تمرد

ويحمل على يزيد بن معاوية وعلى الشمر ومن لف لفهما واتبع

1) نفح الطيب ج 7 ص 365 وقد ذكره المقري في أماكن متعددة من كتابه النفح كما ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة وابن الخطيب في الإحاطة ج 3 ص 163 بعناية عبد الله عنان مكتبة الخانجي القاهرة 1396 ـ 1976.

قصدهما. ومن الشعراء الكبار في العصر النصري الذين تناولوا هذا الموضوع في شعرهم شاعر المأساة الأندلسية أبو البقاء الرندي (601 ـ 684 هـ) فقد نظم قصيدة طويلة في رثاء الحسين محاولة منه كما قال مضاهاة صفوان بن ادريس وهي قصيدة مخمسة على حروف المعجم مذيلة بأعجاز من قصيدة لزهير وقد التزم في كل بيتين حرفا من حروف الأبجدية ابتداء من الهمزة وانتهاء بالياء، والقصيدة طويلة جدا كما قلنا تغلب عليها الصنعة والتكلف وإن كانت لاتخلو من بعض النبضات الصادقة والومضات الخاطفة ولكن ذلك قليل لم يستطع أن يبرز ذاته خلال الأبيات المرتبطة باقتراح أو التزام مسبق يجب أن تستجيب له قبل أن تستجيب للعواطف والاحساسات..

يتناول في قصيده هذا الأفكار والمعاني التي سبق أن طرقها السابقون وبخاصة ابن أبي الخصال وصفوان بن ادريس. فهو يتجه إلى رسول الله (ص) يعلن له التياعه وأحزانه والتهاب قلبه وانتهابه على ما آلت اليه دار المكرمات من عفاء واندثار، ويسترسل في بكاء يوم الطف الذي تقادم حديثه ولكن الألم دائما متجدد حديث، وان الطبيعة في الأرض والسماء تغيرت لما ارتكبه «بنو الطلقاء» يقول (2) :

2) روضة الأنس : مخطوطة نادرة نسخة البحاثة الكبير الأستاذ محمد المنوني حفظه الله. وانظر شعر زهير بن أبي سلمى ص 118 ـ 182 للاعلم الشهنتمري تحقيق د. فخر الدين قباوة. المكتبة العربية ـ حلب سوريا سنة 1390 ـ 1970، وعن ترجمة أبي البقاء الرندي ينظر رسالة الأستاذ محمد بن الخمار الكنوني في موضوع تحقيق الوافي لأبي البقاء مع دراسة وافية لحياته وأدبه، ولم تطبع بعد.

ليوم الطف واحربا حديث تقادم والاسى أبدا حديث
فلو شاهدت ما صنع الخبيث بسادات كأنهم ليوث
«جرت بيني و بينهم ظباء»

تغيرت السما ذات البروج وما في الأرض من زوج بهيج
لما فعلت بنو طلقاء هوج ألا مهلا فللأمر اللجوج
«وإن طالت لجاجته انتهاء»

أبوح بما ألاقيه أبوح فهل صب له قلب قريح
إذا ذكر الحسين له ينوح فتحكى الدر أدمعه السفوح
«وللدر الملاحة والصفاء»

إن قلبه لجريح لذلك يحق له أن يبوح ويبوح بما يلاقيه إذ ما أن يذكر الحسين حتى تتفجر عيونه بالبكاء، وهو لا يسير على نسق واحد في التعبير المباشر عن شعوره بالمأساة، بل يتخلل ذلك معان أخرى، فبعد إعلانه البوح عن حزنه يتوجه بالخطاب إلى الناس يلفت نظرهم «بصيغة الأمر» وأسلوب النصح بأن يصيخوا إلى هذا الخطب الجلل فالموفق من يصيخ ثم يبدأ في عرض صورتين من مأساة الحسين رضي الله عنه، الأولى : صورة السبط المبارك وهو يشكو بدافع الضرورة البشرية الظمأ ويستسقى الذين يحاورونه فلا يشعر إلا وقد أحاط به كل شيطان مريد يوردونه موارد الحديد ويسقونه ظب السيوف وأنصل الرماح :

شكى المولى من الظمإ الشديـد   على حكم الضـــرورة للعبيـــد
فأقبـل كــل شيطـــان مريـــد   فأوردوه مــوارد مـــن حديـــد

«فألفاهن ليس بهن ماء»

والثانية ، صورة أمه فاطمة البتول رضي الله عنها وهي تبكي وترثي بينما آل يزيد في لهو وملك يقول :

أيا للــه مــن وزر وافــك   وقتــك قد تجاوز كل فتك
فبنــت المصطفى ترثــى وتبكــي   وأهل يزيد فــي لهــو وملك

«حميا الكأس فيهم والغناء»

أما جل الأبيات الباقية فليست سوى حملة شعواء على قاتلي الحسين وتوعدهم بسوء المصير كقوله :

ألا يا سافكيــن دم السليــل   سليـل المصطفى وابن البتـول
لقـد ابكيتم عيـن الرسول   وجئتـم فيه بالخطر الجليل

«إليكم إننا قوم براء»

والقصيدة على طولها لم تستطع أن تحلق في السماء الشعرية لابن أبي الخصال ولا لصفوان الذي اتخذه أبو البقاء نموذجا له فجاءت أبياته مفككة الأوصال مضطربة المعاني.. ويكون أحيانا على وشك أن ينطلق في صياغة بعض الأفكار الشاعرية لكنه يتعثر ويسقط أو يجد أمامه «لازمة» يحاول جهده أن يسخر معانيه السائرة نحوها لتناسبها كقوله :

أمولاي ابن فاطمة أترضى بعبد يبسط الوجنات أرضا
يؤدي للبكاء عليك فرضا ويقضي نحبه والدين يقضى
«ثلاث كلهن لكم شفاء»

فالبيت الأول تعبير جميل عن مدى حبه وولائه لمولاه ابن فاطمة البتول ولكنه يضطرب في الشطر الثاني وبالأحرى في الجملة الأخيرة منه فيجهض النبض الشعوري الذي بدأ يتكون في البيت الأول ليتلاشى أخيرا في الشطر الملتزم به :

«ثلاث كلهن لكم شفاء»

إذا ركب في غير جسمه ووصل بغير روحه فجاء غريب هنا كما جاء غريب في جل القصيدة المخمسة في حين أن للشطر مكانته الشعرية في بنائه الأول يقول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء
فذلكم مقاطع كل حق ثلاث كلهن لكم شفاء

والحقيقة أن الشاعر كان إذاك يستجيب لذوق عصره الذي كان يعجب لهذه البراعة والقدرة كما أعجب بقصيدة حازم القرطاجني في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وقد نظمها مشطرة لمعلقة امرىء القيس (3) وهي قصيدة ذات أسلوب نثري عادي ولكنها مع ذلك نالت إعجاب

3) ديوان حازم صنعة المرحوم عثمان الكعاك ص 89 القصيدة رقم 33.

الوسط الأدبي المعاصر مثلما نالته قصيدة ابن جزي شيخ ابن الخطيب التي ضمنها أعجاز قصيدة لامرىء القيس وقد علق عليها المقري بقوله :

« ولا خفاء ببراعة هذا النظم وإحكام هذا النسج وشدة هذه العارضة» (4).

ويستمر أدب الطف وبكاء الحسين رضي الله عنه إلى عصر ابن الخطيب كما ألمحت إلى ذلك سابقا لكن الجديد في هذا المجال أن هذا الموضوع فرض نفسه حتى على الملوك نرى يوسف الثالث سلطان غرناطة الذي امتدت ولايته بالأندلس إلى سنة 819 هـ ـ 1418م يبكي الحسين في قصيدة يمهد لها بمقدمة غزلية طويلة يقول فيها : (5).

لا آسى العارضين حول ورد الوجنتين
وسهام الناظرين وقسي الحاجبين

إلى أن يقول :

ضحكت لما رأتني ناحلا قد حال لوني
ساهرا ليل «اكتئاب» ناشدا بالخيف ديني
جيرة أودوا بقلبي يوم حلوا العلمين
فلهم مني ولاء واعتقاد دون مين

---

4) نفح الطيب ج 5 ص 519.

5) ديوان ملك غرناطة يوسف الثاني. انظر المقدمة ص ـ ث والصفحات 165 ـ 168، تحقيق العلامة الجليل الأستاذ عبد الله كنون ط 1.

لهف نفسي لو شفائي عنهم عض اليدين
ساعديني ياسماء بدموع المرزمين
كربلا هيج كربي (وحسين) أصل حين
بعد صيف الطف تطفي لوعتي أدمع عين ؟
بابي منهم وجوه قدست عن كل شين

ويستمر على هذه الوتيرة معلنا أنه لن ينسى مأساة الحسن والحسين المقتول أولهما بالسم وثانيهما بالردين كما صرعت بدور منهم أبا بهذا أو بذاك وهو لذلك لن يهنأ له بال ولن يلتذ بطعم عيش ويصرح بحبه وتشيعه لهما ولآل البيت ،

وفي القصيدة الثانية تضرع وتوسل دون الإشارة إلى المأساة يقول فيها :

لئن حل جسمي بالمغربين فقد صار قلبي بالمشرقين
بسبطي نبي الهدى أبتغي وأرجو الشفاعة من دون حين

إلى أن يقول ،

جعلت التشيع في آله وسائل أرجو بها الحسنيين

وقيمة هذه الأبيات تظهر في مجرد موضوعها أما الجانب الفني فهو ضعيف ضعف حكم يوسف نفسه وخلفائه الذين كانوا يسلمون روح الأندلس حكما وحضارة وأدبا.

ولانستبعد أن يكون الدافع لنظمها ما كان يعانيه الغرناطيون على جميع المستويات من مآسي متلاحقة. وقد يكون هذا الأمير ممن نالتهم نكبات في حكمهم وذواتهم وأملاكهم لذلك كانوا يلتجئون إلى كل موضوع يتجاوب مع آهاتهم وزفراتهم. وإن كانت القصيدة الأولى قد بسط فيها الجانب واحتل مساحة هامة منها. أو قد يكون الموضوع مقترحا عليه في مجلس من مجالس «الحسينية» أو يكون قد تناوله تملقا للأندلسيين الذين كانوا يعيشون في ظروف من الحكم قاسية تتميز بالدس والتآمر والانقلابات. غير أن لهذا الشعر ـ كما قلنا ـ قيمته التي تكمن فيما يردده من أصداء مأساة كربلاء في هذا الجزء النائي من الغرب الإسلامي وفي هذا الزمن المتأخر الذي يمثل آخر دماء الحياة الإسلامية في الفردوس المفقود. فكان من المناسب ختام الدموع بالدموع والهموم بالهموم وإن تباعدت المناسبتان في المكان والزمان.

فاس **د. عبد السلام الهراس**

ظمأ

حارث طه الراوي

يامانع الماء - وقيت الأذى - لمن تريق اليوم هذا الزلال ؟ !
أقسمت ألا يرتوي ظامىء غيري ولا يلمح طيف الوصال
فكيف بادلت سواي الهوى مكلفا قلبي ذل السؤال
تركته رهن تباريحه يودع النار فيلقى النصال !

« ٥ ● ٥ »

أهواك . ياحبي رغم الجفا كأنما بينك بعض الدلال
أهواك والجفوة في أوجها وليس لي من مأمل في نوال
أهواك تغصني عندما يحتسى طرفي محياك الذي لا ينال
أهواك مرتاحا إلى غربة كاذبة ريانة بالضلال !
أهواك والشيب غزا خصلة من شعرك الزاهي فزاد الجمال
أهوى التجاعيد ففيها أرى حبا طويل العمر يأبى الزوال

بغداد — حارث طه الراوي

مسألة ابن حاتم الطليطلي
المحكوم عليه بالزندقة
مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى
للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي

د. عبدالوهاب خلاف

تمهيـــد :

من القضايا الطريفة التى عرضت على القضاء الأندلسى، مسألة ابن حاتم الطليطلى التى استخرجناها من مخطوط الأحكام الكبرى (×) القاضى أبى الأصبغ عيسى بن سهل (ت 486 هـ). فبالرغم من سوء الأوضاع السياسية بالأندلس حينئذ وانشغال كل مملكة من ممالك الطوائف باقليميتها وبمشاكلها الداخلية والخارجية الخاصة. إلا أنه كان

(×) يجري حاليا طبع الجزء الأول من مخطوط الأحكام الكبرى وقد اشترك معي في تحققه أستاذي الدكتور محمود علي مكي أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب جامعة القاهرة.

هناك وحدة قضائية عامة في الأندلس في تنفيذ الأحكام. ولقد أقيمت الدعوى ضد الملحد ابن حاتم في طليطلة في سنة 458 هـ. عند قاضيها أبى زيد بن الحشا. وفر المتهم من طليطلة متخفيا ومتنقلا بين ممالك الطوائف المختلفة إلا أن محمد بن لبيد بن المرابط القائم بالحسبة عليه لم يهدأ له بال وهذا الزنديق يبث سمومه بين الناس فتابعه حتى قدم في النهاية للمحاكمة أمام قاضى الجماعة في قرطبة في سنة 464 هـ وبذلك تكون هذه القضية، قد تجاوزت السبع سنوات، وهى معروضة على القضاء.

كذلك نرى من أحداث هذه القضية أن المعتمد ابن عباد حاكم أشبيلية وقرطبة قد شهد بنفسه تنفيذ الحكم على المتهم بالقتل.

دراسة النص :

اثر عن ابن سهل أنه كتب وثيقتين عن الزندقة إحداهما التى نحن بصددها تتعلق بعبد الله بن أحمد بن حاتم الازدى الطليطلى المحكوم عليه بالزندقة.

وقد كان ابن حاتم الطليطلى شخصا مقبول الشهادة لدى قاضى طليطلة - أبى زيد عبد الرحمن بن عيسى الحشا - وكان مسموع الكلمة لدى القاضي المذكور، فيما يزكى به الشهود أمامه.

وعلى الرغم مما كان يتمتع به ابن حاتم من ثقة، فقد أخذ عليه بشهادة ستين شاهدا، أنه كان يتفوه بعبارات التهكم والسخرية، في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآل بيته الكرام، وبوجه خاص في حق عمر وعائشة وعلى.

وقد اعتبرت الألفاظ والأوصاف التى نال فيها من هؤلاء من القباحات والكبائر المؤثمة.

وقد أحصى عليه هذه الكبائر محمد بن لبيد المرابط على سبيل الحسبة وثبت ذلك عند القاضى أبى زيد الحشا، وقد تغيب ابن حاتم وفر إلى بطليوس. وشاور القاضى ابن الحشا ـ فقهاء طليطلة الأربعة الموجودين وقت ذاك وهم أبو جعفر أحمد بن سعيد اللورنكى وأبو جعفر أحمد بن مغيث الصدفى، وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن مسعود القيسى، وأبو المطرف عبد الرحمن بن سلمة، فأجمعوا على وجوب قتله بعد إعذاره. وقد اعتنق القاضى أبو زيد الحشا مذهبهم في هذا الرأى وسجل أقوالهم في نسخ عديدة، حملها ابن لبيد إلى دانية ومرسية والمرية وغيرها لاستطلاع رأى فقهاء هذه الحواضر فيما يتبع في حق ابن حاتم.
وكان جوهر السؤال الموجه اليهم هو معرفة ما إذا كان الإعذار لازما أم غير لازم ؟

وهل يتاح لابن حاتم أن يجرح شهادة من أثبتوا عليه فعلته؟ وكذا من الذى يرثه بعد قتله ؟

وهل يجب ضم ماله إلى بيت المال قبل قتله لفراره؟ وهل يجوز لأحد أن يؤويه ؟

وقد علق ابن عتاب على هذه الأسئلة في النسخة التى وجهت إليه بأنه أخذ علما بأمر هذا الملحد وبأقوال الفقهاء في شأنه وأنه رأى في هذه الأجوبة نظرا سليما وقولا متسقا حكيما.

وأضاف تعليقا على قول الفقيه أحمد بن سعيد اللورنكى : أن هذا الفقيه قد استوعب الموضوع بتأصيل دقيق تقصى فيه الحقيقة مستوحيا رأيا سابقا في خصوص ملحد آخر هو : أبو الخير، الذى كناه الناس «بأبى الشر» وذلك في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله. وقد أفتى القاضى منذر بن سعيد، وصاحب الصلاة أحمد بن مطرف، وأبو ابراهيم الطليطلى، وغيرهم بقتله دون حاجة إلى إعذاره بينما أفتى فريق آخر من الفقهاء بوجوب إعذاره.

وقد رفع القاضى الأمر إلى الحاكم الذى أيد رأى القائلين بالقتل دون إعذار، وبذلك نفذ القتل فيه بغير إعذار.

وفيما يتعلق بالشهود الذين شهدوا بإلحاد ابن حاتم، فلا وجه لمواجهتهم به. ولا تثريب عليهم في التخلف عن المواجهة ـ إذ قد تكون لديهم أعذار تحول دون إعادة استجوابهم ومناقشتهم.

أما فيما يختص بمن آوى الملحد وأجاره مع علمه بما ارتكبه من

ذنب فإنه لا يغتفر له فعله بعد العلم إذ هو بذلك يكون متحديا لقول الله تعالى في الآية الكريمة : «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم». ومن يشاق الله فإن الله شديد «العقاب» وهو فضلا عن ذلك ملعون من الله تعالى، والملائكة، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المدينة حرام فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

ويجب على كل من يرى الملحد أن يتبرأ منه وينبذه ويبلغ عنه لإقامة الحد عليه.

أما مال الملحد، فلا سبيل اليه حال حياته وأما ميراثه بعد قتله فقد اختلف في أمره، فذهب رأى لمالك أن يورث الزنديق بوراثة الإسلام، وإذا أقر وتاب فلا تقبل توبته، ويقتل على الرغم من توبته. ومن ثم لا يرثه ورثته أما من لم يقر فقتل أو مات، فإن ورثته يرثونه بوراثة الإسلام.

أما إذا أصر على الجهر بالحاده وتمسك بذلك فلا يرثه ورثته، وتؤول أمواله الى جمهور المسلمين، شأنه في ذلك شأن المرتد - ولا تجوز له وصية ولا عتق - ولو أن ثمة رأيا آخر لابن القاسم يذهب إلى أن ميراث الزنديق يؤول إلى ورثته.

أما رأى ابن القطان ، فهو تجميد مال الزنديق وعدم تمكين ورثته منه، وأن يقتل دون استتابة أو إعذار.

وذهب بعض الفقهاء إلى وجوب تمكين المتهم بالإلحاد من تجريح الشهود، لاحتمال أن تكون بينه وبينهم عداوة، تحفزهم إلى الكيد له بشهادة مغرضة غير صحيحة.

أما ماذهب إليه ابن عتاب وابن القطان من اسقاط الإعذار، فيرى القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل أنه رأى يشوبه وهم يشكك في سلامته، ولا سيما أن القاضي أبا زيد الحشا قد استطلع رأى فقهاء طليطلة الذين اجمعوا على وجوب الإعذار، وأيدوا ذلك بأسانيد وحجج مبررة ومعقولة.

وما كان للقاضى أن يهجر هذا الرأى إزاء الاجماع الذى توافر له. ذلك أن للقضاء حجية، يمتنع معها على أى قاض آخر أن ينقض الرأى الذى اكتسب هذه الحجية بل أن هذه الحجية تمنع القاضى نفسه من الرجوع في قضائه. فالحكم متى نطق به خرج من يد القاضي ولا يمكن المساس به أو تعديله الا باتباع طرق الطعن المتاحة لذلك.

وقد حاول ابن حاتم الطليطلي الاستخفاء بأساليب عدة وقصد الى جهات مختلفة فرارا من ملاحقته الى أن ضبط، واقتيد إلى قاضى الجماعة بقرطبة أبى بكر محمد بن أحمد بن منظور الذى تساءل عما إذا كان إعذاره واجبا أم غير واجب.

وكان الرد على سؤاله الا وجه للإعذار، وإنما يقتل دونه بينما خالفهم ا بن سهل في هذا الرأى، ذاهبا الى أن هذا الاعذار لازم فيما ثبت على ا بن حاتم لأن قاضي طليطلة - ا بن الحشا - قد أخذ بهذا الرأى بعد استطلاع آراء الفقهاء المشاورين، في شأنه. و بهذا اكتسب قضاؤه حجية، لا يملك أحد نقضها، وعلى هذا تم الإعذار بحضور ا بن سهل.

وقد طعن ا بن حاتم في الحكم فأمهله القاضي ا بن منظور شهر ين، مات قبل انقضائهما، ونتجت عن هذا صعو بة قانونية، فيما إذا كان من أثر هذه الوفاة الاعفاء من الاعذار أم وجوب الاستمرار في اجراءاته.

وقد استدعى ا بن حاتم مكبلا من سجنه أمام المعتمد على الله حاكم قرطبة، وسئل عما إذا كان قد توصل إلى دليل براءته في المهلة التى منحت له.

فلما أجاب سلبا سيق الى رأس القنطرة حيث صلب وطعن برمح في حضور الحاكم و بطانته.

التعليق :

حاصل هذه القضية أن السؤال فيها يدور حول ما إذا كان الإعذار واجبا بالنسبة الى الملحد، قبل قتله متى أد ين وثبت في حقه الالحاد.

وقد أنقسم الفقه في ذلك الى فريقين الرأى الراجح فيهما هو لزوم الاعذار، وهو الذى أخذ به في القضية المعروضة تحفظا وتصونا للعدالة.

لتمكين المتهم بالزندقة من الدفاع عن نفسه وتجريح أقوال الشهود، وتفنيدها، إذا ما حادوا فيها عن الحق لضغينة أو عداوة سابقة.

وإذا كان ثمة رأى اكثر تشددا يميل إلى عدم الإعذار باعتبار أن الالحاد كفر لا يغتفر فإن الرأى القائل بالإعذار يقوم على عدالة انسانية وحق من الحقوق الأصيلة لكل انسان في الدفاع عن نفسه لأن الأصل فيه البراءة درءا للشبهات، والمكائد التى تحفز اليها ضغائن أو احقاد أو عداوات بين الشهود والمشهود عليه.

وهذا أدنى إلى العدالة وأقوم للحق وهو من الخصائص المميزة للقضاء في الإسلام.

النـــــص

مسألة ابن حاتم الطليطلى المحكوم عليه بالزندقة (1).

(392) كان عبد الله (بن أحمد) (2) بن حاتم الأزدى الطليطلى

---

1) النسخة الأصلية التى اعتمدنا عليها في تحقيق هذه القضية هي نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت رقم 1189 مخطوطات الأوقاف تحت رقم 838 ق، الخزانة العامة، الرباط ورمزنا لها «بالاصل»، والنسخة الثانية من مخطوطات مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت تحت رقم 370 ق مخطوطات الأوقاف ورمزنا لها بالرمز «قج»، والنسخة ا لثالثة تحت رقم 1728د، المكتبة العامة بالرباط، ورمزنا لها بالرمز « دا »، والنسخة الرابعة تحت رقم 3398 د، المكتبة العامة بالرباط ورمزنا لها بالرمز «دب»، والنسخة الخامسة تحت رقم 55 ق، الخزانة العامة للكتب ورمزنا لها بالرمز «قب».

وقد سعدت بمراجعة استاذى الدكتور محمود على مكى والاستاذ المستشار مصطفى كامل اسماعيل - الخبير القانوني لمجلس الأمة الكويتى - لهذه القضية وتخريجاتها واستفدت كثيرا بتوجيهاتهما فلهما شكرى وعظيم امتنانى.

2) ساقطة في دا، قب

هذا مقبول الشهادة عند قاضى طليطلة أبى زيد عبد الرحمن ابن عيسى الحشا (3)، وشاهدته مرارا يزكى عنده (الشهود ثم قيم عنده على ابن حاتم في سنة سبع (وخمسين) (4) واربعمائة (وشهد) (5) عليه عنده نحو ستين شاهدا بأنواع من (التعطيل) (6) والاستخفاف (7) بحق النبي صلى الله عليه وسلم وحق عائشة وعمر وعلى رضى الله عنهم، فمن دونهم، (من) (8) ذلك أنه كان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم (قال) (9) اليتيم، وقال يتيم قريش، وقال (ختن حيدرة) (10)، وقال (عنه) (11) عليه السلام لو استطاع على رقيق الطعام لم يأكل (خشنه) (12) وان

---

3) أبو زيد عبد الرحمن بن عيسى الحشا ا وهو عبد الرحمن ابن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن ؛ يعرف بابن الحشا، يكنى : أبا زيد، قاضى طليطلة. وأصله من قرطبة كان من أهل العلم والنباهة والفهم ومن بيت علم وفضل. استقضاه المأمون يحيى بن ذى النون بطليطلة بعد أبى الوليد صاعد سنة 450 هـ ثم صرف عن القضاء بها سنة 460 هـ فانتقل الى طرطوشة واستقضى بها ثم استقضى بدانية الى أن توفى بها سنة 473 هـ.
انظر ترجمته في ابن بشكوال ؛ الصلة ترجمة رقم 728، القاضي عياض ؛ ترتيب المدارك 817/4.

4) في دب ؛ وسبعين.

5) ساقطة في الأصل والمذكور في النسخ الأخرى.

6) التعطيل ؛ يقال ؛ عطل الشريعة ؛ أهملها ولم يعمل بها. انظر لسان العرب مادة عطل.

7) الاستخفاف ؛ الاستهتار والاستهانة.

8) في قج ؛ فمن.

9) ساقطة في قب ، وفي دا، وقال

10) في دا، قج ؛ «وقال ختن حيدرة، ولم يرد هذا ختن حيدرة».
والمقصود ؛ يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو ختن على لأنه أبو زوجته. انظر لسان العرب.

11) ساقطة في دب.

12) في الأصل، دب ؛ خشينة والمذكور في النسخ الأخرى.

زهده لم يكن عن قصد وان عمر وعليا (رحمهما الله) (13) كانا أحمقين لعنه الله.

وقال : لا يجب من الجنابة (غسل) (14)، وأنكر القدر، وأشياء غير ذلك قبيحة، وتولى (كبره) والاحتساب عليه فيه محمد (بن لبيد) (16) المرابط على سبيل الحسبة، وثبت ذلك عند القاضي أبى زيد، (وقد) (17) تغيب وفر الى (بطليوس) وشاور أبو زيد فقهاء طليطله وكانوا حينئذ أربعة :

أبو جعفر أحمد بن سعيد اللورنكى (19) وأبو جعفر أحمد بن

---

13) في قج : ساقطة، في قب، دا : رضى الله عنهما.

14) في النسخ الأخرى : الغسل.

15) كبره : معظم الامر وأكبر أقسامه.

16) ساقطة في الأصل، وفي قج : ابن وليد والمذكور في قب، دب.

17) في قب، قج ، دا : وهو قد.

18) بطليوس : بالاسبانية : BADAJOZ
مدينة وولاية في جنوب غرب اسبانيا عند الحدود البرتغالية، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، وبينها وبين قرطبة ستة مراحل.
انظر في وصفها : الادريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس 181، 213 الحميرى : الروض المعطار : 46.

19) أبو جعفر بن سعيد اللورنكى : هو أحمد بن سعيد ابن غالب الأموى، من أهل طليطلة. يكنى : أبا جعفر. ويعرف بابن اللورنكى.
كان من أهل الأدب والفرائض واللغة دربا بالفتيا مشاورا في الأحكام، فقيها في المسائل، مشاركا في شرح الحديث والتفسير. توفى في شوال سنة 469 هـ انظر ترجمته في ابن بشكوال : الصلة ترجمة 136، القاضى عياض : ترتيب المدارك 819/4.

مغيث الصدفى (20) وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن مسعود القيسى (21) وأبو المطرف عبد الرحمن بن سلمة (22) فاجتمعوا على وجوب قتله بعد (الأعذار) (23) (إليه) (24) وسجل بذلك أبو زيد وأخذ به من قولهم وقضى به وحكم ونص في التسجيل أجوبتهم جوابا جوابا كما نص شهادة كل واحد من الشهود وجعل (السجل) (25) نسخا كثيرة وأخذ (ابن

---

20) أبو جعفر أحمد بن مغيث الصدفى : هو أحمد بن مغيث ابن أحمد بن مغيث الصدفى. يكنى : أبا جعفر.
من أهل طليطلة، من جلة علمائها، من أهل البراعة والفهم والرياسة في العلم متفننا، عالما بالحديث وعلله، وبالفرائض والحساب واللغة والاعراب والتفسير وعقد الشروط. وله فيها كتاب سماه : المقنع. توفى سنة 459 هـ ومولده سنة 406 هـ.
انظر ترجمته في ابن سهل : الاحكام الكبرى ورقة 424، ابن بشكوال : الصلة ترجمة 124.

21) أبو عبد الله محمد بن قاسم بن مسعود القيسى : من أهل طليطلة، كان من أهل العناية بالعلم والفقه والفتيا مشاورا في الأحكام وكتب للقضاة بطليطلة توفى في شهر رمضان سنة 466 هـ.
انظر ترجمته في ابن بشكوال : الصلة ترجمة 1198.

22) أبو المطرف عبد الرحمن بن سلمه : هو عبد الرحمن ابن محمد بن سلمة الانصارى : من أهل طليطلة. يكنى : أبا المطرف.
كان حافظا للمسائل دربا بالفتوى. وقورا وسيما حسن الهيئة، قليل التصنع. مواظبا على الصلاة في الجامع، وسمع الناس عليه، ونوظر عليه في الفقه. وكان ثقة فيما رواه. ولد سنة 401 هـ وتوفى ببطليوس سنة 478 هـ.
انظر ترجمته في ابن سهل : الأحكام الكبرى ورقة 422، ابن بشكوال ترجمة رقم 732، ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب 149 - 150.

23) الاعذار : اعطاء الفرصة للشخص ليلقى معاذيره أى مبرراته.

24) ساقطة في قب، قج، دا

25) في الأصل، قج، دب : التسجيل والمذكور في قب، دا

لبيد) (26) منها نسخا. (27) وخرج الى دانية (28) ومرسية (29) والمرية (30) وغيرها وأخذ (فيها) (31) أجوبة الفقهاء بكل حاضرة بما يلزم ابن حاتم فيما شهد به عليه مما تضمنه (السجل)، (32) ورأيت عنده جواب (أبى حفص الهوزنى، (33) وكان حينئذ بمرسية وجواب غيره - وورد

---

26) في قج : ابن وليد

27) ساقطة في دب

28) دانية : بالاسبانية DENIA

مدينة بشرقى الأندلس على البحر، ومنها كان يخرج الاسطول الى الغزو وبها ينشأ اكثره لأنها دار انشاء، ومن دانية أبو عمرو الدانى المقرىء المعروف بابن الصيرفى، وله تواليف في القراءات، وتوفى بدانية سنة 444 هـ.

انظر : العذرى : نصوص عن الأندلس : ص 10، الادريسى : 192، 214، الحميدى : الروض المعطار : 76.

29) مرسية : بالاسبانية MURCIA

وهى قاعدة تدمير : بناها عبد الرحمن بن الحكم، وهى على نهر كبير يسقى جميعها كنيل مصر...

انظر في وصفها العذرى : ص 6. وحاشية ص 135 وماورد فيها من مصادر، الادريسى : 194، 195، 196، الروض المعطار : 181 - 184.

30) المرية : بالاسبانية ALMERIA

مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن عن محمد سنة 344 هـ

انظر في وصفها : العذرى : ص 86، حاشية ص 169 وماورد فيها من مصادر، الادريسى : 197، 198، 200، 201، 212، الروض المعطار : 183 - 184.

31) ساقطة في الأصل، دب والمذكور في النسخ الأخرى.

32) في قب، قج ، دا : التسجيل.

33) أبو حفص الهوزنى : هو عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر الهوزنى : من أهل أشبيلية : يكنى : أبا حفص.

كان متفننا في العلوم قد أخذ من كل فن منها بحظ وافر، مع ثقوب فهمه، وصحة ضبطه. وكان مولده في رجب سنة 392، وقتله المعتضد بالله عباد بن محمد ظلما بقصره بأشبيلية سنة 464 هـ

انظر ترجمته في ابن بشكوال : ترجمة رقم 865، ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : القسم الثاني - المجلد الأول 68-69، القاضى عياض : 4/825/826.

قرطبة فأخذ جواب ا بن عتاب (34) وغيره في ذلك. وكان في السؤال إن كان يجب الإعذار اليه أو يقدح في شهادة من شهد عليه تركهم القيام بها مدة، ومن يرث ماله وهل يجب ضمنه الى بيت المال قبل أن يقتل (36).

فجاوب ا بن عتاب (على ظهر نسخة من التسجيل) (37) : تصفحت - رحمنا الله وأياك - السجل (38) المذكور المنعقد في أمر الملحد عبد الله وأجوبة اخواننا الفقهاء حفظهم الله فرأيت أجوبة حسنة مجتمعة في الحكم متفقة المعاني، وجواب الفقيه أحمد بن سعيد (المنتسخ) (39) أولا في السجل جواب موعب (40) مستقصى (لم) (41) يترك (القائل) (42)

---

34) ابن عتاب : هو الفقيه محمد بن عتاب بن محسن ؛ يكنى ، أبا عبد الله.
كان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه مدار الفتوى في وقته. دعى الى قضاء قرطبة مرارا فأبى من ذلك وامتنع ، قدمه القاضي أبو المطرف ابن بشر الى الشورى سنة 414 هـ وتوفى سنة (462 هـ/1070م).
انظر في ترجمته ابن سهل ورقة 422، ابن بشكوال : ترجمة 1194، القاضى عياض : ص 810/4، الضبى : بغية الملتمس : ترجمة : 241، ابن فرحون : الديباج المذهب 274 - 275.

35) في الأصل والنسخ الأخرى : يكدح والمذكور في قج.

36) في الأصل : يرويه، وفي دب، قب، دا : يوريه - والمذكور في قج.

37) زائدة في قب، قج، دا.

38) في قج : التسجيل.

39) ساقطة في الأصل والمذكور في النسخ الأخرى.

40) ساقطة في قج.

41) في قج : ولم.

42) في الأصل، دب : القائل.

مقالا وما (قاله)(43)في الإعذار إليه، فقد نزل (نحو) (44) هذا في أيام الحكم المستنصر بالله (45) رضى الله عنه - في ملحد كان يكنى (بأبى الخير) (46) ولم يكن به وكناه الناس بأبى الشر وكان كذلك شهد عليه (بشهادات) (47) تشتمل على معان من التعطيل والألحاد.

فشاور الناظر (48) في أمره - وهو صاحب الوثائق - الفقهاء (49) بقرطبة. فأفتى القاضى منذر بن سعيد (50) وصاحب الصلاة أحمد بن

---

43) في قب، دا : قال

44) في قب : مثل.

45) الحكم المستنصر بالله ، هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل. كنيته : أبو المطرف. بويع بعد موت أبيه في رمضان سنة 350 هـ

كان عالما فقيها بالمذاهب اماما في معرفة الانساب حافظا للتاريخ جماعا للكتب، توفى في صفر سنة 366 هـ وعمره نحو من ثلاث وستين عاما.

انظر في ترجمته : الضبى ، بغية الملتمس ص 21/18، ابن عذارى : البيان المغرب : 233 - 253، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : 43،41.

46) أبو الخير : زنديق عاش في عهد الحكم المستنصر بالله وادانه القضاء فقتل، واورد ابن سهل قضيته، انظر الاحكام الكبرى (مخطوط) أوراق (394 - 402) وسوف ننشرها في بحث خاص.

47) في الاصل، دب : شهادات والمذكور في النسخ الأخرى.

48) في قج : القاضي

49) في قج ، الفقهية.

50) منذر بن سعيد : هو الفقيه منذر ابن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن قاسم ابن عبد الله البلوطى ثم الكزنى، من أهل قرطبة، يكنى : أبا الحكم، وينسب في البربر في فخذ منهم يقال لهم : كزنة.

ولى قضاء الجماعة والصلاة 339 هـ فكان صلبا صارما غير هياب فقضى باقى أيام عبد الرحمن الناصر ولما ولى الحكم بن عبد الرحمن أقر منذر على خطته فلم يزل قاضيا وصاحب صلاة حتى توفى 355 هـ وهو ابن أربع وثمانين سنة.

انظر ترجمته في الخشنى ، قضاة قرطبة ص 120، ابن سهل ج ورقة 426، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم 1454، النباهى : تاريخ قضاة الاندلس : ص 75،66.

مطرف (51) وأبو ابراهيم الطليطلى (52) (وغيرهم) (53) بقتله، وترك الإعذار إليه وأفتى غيرهم بالإعذار إليه. وانهى الناظر في ذلك الأمر الى (393) الحكم (فأمر بالاخذ) (54) بما أفتى به القاضى ومن وافقه فنفذ (قتله ولم يعذر (55) إليه. وبهذا أقول في هذه القضية. واحتج القاضى منذر (بن سعيد) (56) وأبو ابراهيم في ذلك بحجج يطول استجلابها (57) ولا حجة في تأخر (58) الشهود في إقامة الشهادة عليه إذ لهم أعذار كثيرة في ترك القيام يعذرون بها، وأما من أجاره وستره ومنع منه بعد المعرفة بذلك والوقوف على صحة الشهادات عليه فهو في حرج (59)

---

51) أحمد بن مطرف . هو «أحمد بن مطرف بن عبد الرحمن بن قاسم محدث ؛ يعرف بابن المشاط، كان رجلا صالحا فاضلا معظما عند ولاة الأمر بالاندلس يشاورونه في من يصلح للأمور ويرجعون اليه في ذلك. وكان صاحب الصلاة توفى سنة 353 هـ
انظر ترجمته في ابن الفرضى : ترجمة 143، الحميدى : جذوة المقتبس 248، بغية الملتمس ترجمة 467، القاضى عياض : 4/ 429 ـ 433.

52) أبو ابراهيم الطليطلى : هو اسحاق بن ابراهيم ابن مسرة، من أهل قرطبة، وأصله من طليطلة. وهو : من موالى بعض أهلها، يكنى : أبا ابراهيم.
كان حافظا للفقه على مذهب مالك وأصحابه متقدما فيه وكان مشاورا في الاحكام صدرا في الفتيا، توفى بطليطلة في رجب أو شعبان سنة 352 هـ ـ وكان قد خرج غازيا مع المستنصر بالله وسنه يومئذ خمس وسبعون سنة.
انظر ترجمته في ابن الفرضى : ترجمة 235.

53) ساقطة في قج.

54) في قج : فأمره كل هذا.

55) ساقطة في دب.

56) زائدة في دا.

57) في قب : اجلابها، وفي قج، دا : اجتلابها.

58) في قب، قج، دا : تأخير.

59) في الأصل : جرح والمذكور في النسخ الأخرى.

شديد ولا يحل له ذلك لقول الله (جل ثناؤه) (60)، (لا) (61) تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم . (62) فمن أجاره (أو) (63) منع منه بعد المعرفة بذلك فقد حاد الله وشاقه ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب. وفي الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «المدينة حرام فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل (الله) (64) منه صرفا ولا عدلا (65) وهذا عام في المدينة وغيرها ويجب على من (رأى) (66) هذا الملحد التبرؤ منه لاقامة (الحد) (67) عليه. وأما ما سألت عنه من أمرماله فلا سبيل اليه في حياته واختلف عن مالك (68) في ميراث الزنديق. ففى

---

60) في قج، دا : عز وجل.
61) في النسخ الأخرى : ولا والمذكور في قج، دا.
62) الآية رقم 22م المجادلة السورة 58.
63) في قج : و
64) ساقطة في قب، قج ، دا
65) حديث صحيح . رواه الشيخان وغيرهما.
انظر البخارى : في كتاب فضائل المدينة، ومسلم، في كتاب فضل المدينة.
66) في قج، دا، قب : أوى والمذكور في النسختين الأخريين.
67) في الأصل والنسخ الاخرى : الحق والمذكور في دا.
68) مالك : هو الامام مالك بن أنس. امام دار الهجرة وصاحب المذهب الذي ينسب اليه. توفى سنة 179. هـ
وهو أشهر من أن نترجم له. وكتابه الموطأ هو أساس المذهب المالكي.

كتاب ابن المواز (69)، قال ابن القاسم (70) : بلغنى عن مالك أنه قال : أرى أن يورث الزنديق بوراثة الإسلام.

قال ابن القاسم : (وإذا) (71) شهد عليه بذلك فاعترف وتاب (فلم) (72) تقبل توبته وقتل فلا يرثه ورثته ، وأما (73) من لم يقر (74) ولم يظهره حتى قتل أو مات (فانه) (75) يورث بوراثة الاسلام. ولابن القاسم أيضا أنه اذا أعلن ماهو عليه وتمسك به. فلا يرثه ورثته وميراثه للمسلمين كالمرتد ولا تجوز له وصية ولا عتق. ولابن القاسم في المدونة (76)

---

69) ابن المواز : هو محمد بن ابراهيم بن رباح الاسكندرانى. تفقه بابن الماجشون وابن عبد الحكم وروى عن ابن القاسم وابن وهب.
وكان راسخا في الفقه والفتيا علما في ذلك. في آخر أيامه خرج من مصر الى الشام . ومولده سنة 180 هـ / 796 م. وتوفى بدمشق سنة 269 هـ / 883 م وذكر ابن سهل أن وفاته سنة 281 هـ.
انظر ابن سهل : ورقة 424، القاضى عياض : 3 / 72 ـ 74.

70) ابن القاسم : هو عبد الرحمن بن القاسم العتقى المصرى تلميذ الامام مالك وصاحب الأثر الأكبر على الفقه المالكى سواء في المشرق أو المغرب، وسماعه عن مالك هو الذى جمعه سحنون في المدونة الكبرى، كان رئيس المذهب بمصر حتى توفى سنة 191 هـ / 806 م.
انظر في ترجمته : القاضي عياض : 2 / 433 ـ 447، الديباج المذهب : ص 146، أحكام السوق : تحقيق د. محمود على مكى ص 115 حاشية 3.

71) في قج : اذا.

72) في قب، دا : ولم.

73) في قج : فاما.

74) في قج : يعترف.

75) في قج : فانه ممن.

76) المدونة : هى من أمهات الكتب في الفقه المالكي وتعتبر أصلا فيه وقد رواها عبد الرحمن ابن القاسم عن الامام مالك ثم رواها سحنون بن سعيد عن ابن القاسم مع اضافات له.

وغيرها أن ميراث الزنديق لورثته وروى (ابن نافع) (77) عن مالك (78) في المستخرجة (79) أن ميراث الزنديق للمسلمين يسلك بماله ملك دمه (80).

وجاوب ابن القطان (81) (يثقف ماله) (82) من الآن ولا يمكن ورثته من شيء منه ويقتل دون (استتابة) (83) ولا اعذار اليه في ذلك

---

77) ابن نافع : هو عبد الله بن نافع مولى بني مخزوم المعروف بالصائغ.
قال عنه أحمد بن حنبل : كان صاحب رأى مالك، وفقه أهل المدينة برأى مالك.
له تفسير للموطأ، رواه عنه يحيى بن يحيى. توفي بالمدينة في رمضان سنة 186 ﻫ.
انظر في ترجمته : القاضى عياض 1 / 356 ـ 358.

78) في دب : ابن مالك عن نافع.

79) المستخرجة : أو العتبية : استخرجها محمد ان ابن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة (ت 255 هـ) وهو اندلسي، قرطبي، استخرجها من الواضحة لعبد الملك بن حبيب.
ولقد طعن في نقل المستخرجة للفقه المالكى كثيرون عاصروا مؤلفها، فقد قال : محمد بن عبد الحكم : رأيت جلها كذبا، مسائل لا أصول لها.
وقال ابن لبابة : كثرث فيها الروايات المطروحة والمسائل الشاذة.
انظر القاضى عياض 3 / 145 ـ 146، الديباج المذهب ص 239.

80) في قب : دينه.

81) ابن القطان : هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى بن هلال.
قرطبي : بعيد الصيت في فقهائها وعليه وعلى ابن عتاب دارت الفتيا بها.
وكان بذ أهل زمانه بالأندلس علما وحفظا واستنباطا. توفى سنة 460 هـ / 1067 م.
انظر في ترجمته ابن سهل : ورقة 422، ابن بشكوال : ترجمة رقم 130، القاضى عياض، 4 / 813.

82) يثقف ماله : يحجز ماله ويجمد.

83) الاستتابة : هى أن يمهل المرتد فترة زمنية يراجع فيها نفسه، وتناقش فيها أفكاره، وقد قدر بعض العلماء هذه الفترة بثلاثة أيام، وترك بعضهم تقدير ذلك وانما يكرر له التوجيه ويعاد معه النقاش حتى يغلب على الظن أنه لن يعود الى الاسلام وحينئذ يقام عليه الحد.
انظر في ذلك : ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد : 2 / 383، سيد سابق : فقه السنة : 9 / 187 ـ 192.

على مارواه أشهب (84) عن مالك فيما هو أحق من هذا.

قال القاضي أبو الأصبغ : يريد ما في سماعه (في) (86) كتاب الشهادات (أنها) (87) اذا شهد القوم عند القاضي وعدلوا أيقول للمشهود عليه (بذلك) (88) دونك (فجرح) (89).

فقال مالك : إن (فيه) (90) لتوهينا للشهادة، ولا أرى اذا كان عدلا (أو) (91) عدل عنه أن يفعل.

قال القاضي أبو الاصبغ (92) : وهذه رواية ضعيفة متروكة لم يجر بها عمل من القضاة والحكام (عليها) (93) ولا أعلم من أصحابنا مفتيا بها في الأحكام. وقد قال ابن نافع متصلا بها بل يمكن المشهود عليه من

---

84) أشهب : هو أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز ابن داوود.
من مشاهير أصحاب مالك، مصرى. ولد بمصر سنة 140 هـ أو سنة 150 هـ
وتوفى بعد الشافعي بشهر سنة 204 هـ / 819 م.
انظر في ترجمته : القاضى عياض : 2 / 447 ـ 453، الديباج المذهب : ص 99، أحكام السوق : ص 107 حاشية رقم 4.

85) في قج : قال الشيخ . ساقطة في الأصل، دا، دب والمذكور في قب.

86) في قب : ولي.

87) زائدة في قب.

88) زائدة في قج.

89) في الأصل : بجرح والمذكور في النسخ الأخرى.

90) قي قب، قج : فيها.

91) في دا : و.

92) ساقطة في الأصل، دب، وفي قج : قال الشيخ. والمذكور في قب، دا.

93) زائدة في قج.

التجريح ولعله بينه وبين المشهود عليه عداوة وفي السماع نفسه اذا عدل الشاهد رجلين وجرحه (94) للمشهود عليه رجلان قال مالك : ينظر في أعدل الشهود فقد أباح في هذا الجواب للمشهود عليه التجريح في الشهود وبه القضاء (على ما) (95) في سماع (يحيى) (96) ونوازل سحنون (97) في ذلك الكتاب وفي غيره في المدونة والواضحة (98) والموازية (99) وغيرها.

94) في الأصل : وجرحا.

95) زائدة في دب، قج.

96) يحيى : هو فقيه الأندلس يحيى بن يحيى الليثى. كان لقاؤه لمالك سنة 189 هـ وهي السنة التي مات فيها مالك. أخذ عن مالك والليث وابن وهب وابن القاسم.
توفى سنة 234 هـ / 848 م.
انظر في ترجمته ابن الفرضى : ترجمة رقم 1554، القاضى عياض 2 / 534 ـ 548، الديباج ، المذهب ص 350 ـ 351، ابن حيان : المقتبس : تحقيق : د. محمود على مكى (بيروت 1973) ص 83 والى والحاشية رقم 224 وماورد فيها من مصادر.

97) سحنون : هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخى.
الفقيه العابد، أخذ عن أئمة المالكية في أفريقية كالبهلول بن راشد وعلى بن زياد وأسد بن الفرات وسمع في مصر والحجاز من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وعبيد الله بن الحكم. ولد سنة 160 هـ وتولى قضاء أفريقية 234 هـ وتوفى سنة 240 هـ وهو على ولايته.
انظر القاضى عياض : 2 / 585 ـ 626، النباهى : تاريخ قضاة الأندلس 28 ـ 30.

98) الواضحة : ألفه عبد الملك بن حبيب (ت 238 هـ) وهو أندلسى، وتعتبر الواضحة أصلا ثانيا للفقه المالكى عند بعض الناس بجوار المدونة.
انظر في ترجمة المؤلف : ابن الفرضى : ترجمة 816، القاضى عياض : 3 / 30 ـ 48.

99) الموازية : كتاب ضخم في الفقه المالكي ألفه محمد بن ابراهيم بن رباح الاسكندرانى المعروف بابن المواز. الذى أشرنا اليه فيما سبق (حاشية 69) وقال عنه القاضي عياض : أنه من أجل كتب قدماء المالكيين وأصحها مسائل، وأبسطها كلاما وأوعبها.
وذكره القابس ورجحه على سائر الامهات وقال : لان صاحبه قصد الى بناء فروع أصحاب المذهب على أصولهم في تصنيفه.
انظر القاضى عياض : 3 / 72 ـ 74.

وقد تقدم هذا في صدر الكتاب واسقاط ابن عتاب وابن القطان الاعذار في مسألة ابن حاتم هذه غير سالم من الوهم والغفلة لأن القاضي المسجل عليه أبا زيد الحشا (قد) (100) قال في سجله : أنه أخذ بقول من شاوره من فقهاء موضعه وحكم به ولم يختلف عليه واحد منهم. أنه يعذر اليه فلا يجوز تعدى هذا الى غيره لقضاء أبى زيد (به) (101) واختياره اياه وامضائه له وصار من باب اذا قضى القاضى بما اختلف أهل العلم فيه فلا يجوز لمن يأتى بعده أن يعرض (له) ولا ينقضه ولا اختلاف في هذا (في شيء) (102) من المذهب. ولعلهما (103) لم يقفا على هذا من السجل (104) وان كانا وقفا عليه واختارا ما أفتياه (105) به فاختيارهما غير موافق للمذهب (وبهذا). (106) أفتيت عند نفود الحكم على ابن حاتم والى قولى رجع فيه وبه (نفذ) (107) القضاء على (ماذكره) (108) بعد هذا في تمام (قضيته) (109) ان شاء الله (عز وجل) (110) - (394).

---

100) زائدة في قج.
101) ساقطة في قج.
102) ساقطة في قج. وفي الاصل : شيء والمذكور في النسختين الاخريين.
103) في النسخ الاخرى : ولعلمها.
104) في قج : التسجيل.
105) في قب. قج : الفتيا.
106) في الأصل. دا. دب : ولهذا والمذكور في النسختين الأخريين.
107) في قج : أخذ ونفذ.
108) في قب. دب. دا : مانذكره.
109) في الأصل والنسخ الأخرى : قصته. والمذكور في دب.
110) ساقطة في قج. دا.

وخاطب أبو زيد بنسخة من قضائه بذلك (محمد بن أحمد ابن بقى) (111) الناظر في الأحكام بقرطبة، وثبت عنده خطابه بذلك وقيد على ظهر النسخة أو في أسفلها بثبوتها عنده، (وبعد أن أخذ ابن لبيد) (112) أجوبة الفقهاء بقرطبة سأل أن يخاطب له مروان بن سعيد (113) قاضي بطليوس بثبوت ذلك السجل، فخاطبه ابن بقى بذلك، وتحمل الخطاب ثقتان نهضا مع ابن لبيد، وكان ابن حاتم قد استقر ببطليوس واطمأن فيها وظهرت له عند رئيسها (المظفر أبى بكر) (114) وضمه الى أن يقرأ الكتب عليه، فلما أن (115) وصل ابن لبيد اليها وثبت التسجيل

---

111) محمد بن أحمد بن بقى : هو محمد بن أحمد ابن مخلد بن عبد الرحمن بن أحمد بن بقى بن مخلد بن يزيد.

من أهل قرطبة وقاضيها يكنى : أبا عبد الله. تولى القضاء بقرطبة مرتين الأولى بتقديم محمد بن جهور، والثانية بتقديم المأمون يحيى بن ذى النون. ولم تحفظ له قضية جور ولا ارتشى في حكم، وكان من بيت علم ونباهة وفضل وجلالة. توفى بمدينة أشبيلية سنة 470 هـ.

انظر في ترجمته ابن بشكوال : ترجمة : 1203.

112) في دا : وهو أن عند ابن لبيد.

113) مروان بن سعيد : واضح من النص أن مروان بن سعيد هذا كان قاضي بطليوس في أيام المظفر بن الأفطس الذى حكم بين سنتى 437 و460 هـ غير أننا لم نعثر على ترجمة له في كتب التراجم الاندلسية ولا في كتب طبقات الفقهاء والقضاة.

114) المظفر أبو بكرَ : هو محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس أحد ملوك الطوائف المشهورين حكم غرب الأندلس وكانت بطليوسى هي قاعدة مملكته. ولى بعد وفاة أبيه عبد الله سنة 437 هـ واتسع ملكه وكان مضاهيا لملك بنى عباد وبنى ذى النون، ودارت بين وبين المعتضد بن عباد ملك اشبيلية حروب كثيرة. وكان المظفر أديبا عالما. وله كتاب «المظفرى» في الآداب والاخبار والنوادر. وكانت وفاته على ما يذكر ابن الابار في سنة 460 هـ راجع البيان المغرب لابن عذارى 3 / 236 ـ 239، والحلة السيراء لابن الأبار، 2 / 96-97.

115) زائدة في قج.

عند قاضيها تبرأ المظفر (من) (116) ا بن حاتم، وخاف ا بن حاتم ظفر ا بن لبيد به و الا (117) يحال بينه وبينه، فاستخفى حتى خرج عنها الى شنترين (118) بالغرب. وكان بها مدة.

ثم سار الى سرقطة (119)، فحفزه القضاء الى موضع منيته قرطبة، ووردها لحينه (120) في عقب ربيع الآخر سنة أربع وستين (وأربعمائة) (121)وقاضيها (أبو بكر) (122) محمد (بن أحمد) (123) بن منظور

---

116) في الأصل والنسخ الأخرى عن والمذكور في قج.

117) في قب، قج : وإن لا

118) شنترين : بالاسبانية : SANTAREN

مدينة في كور باجة، ومن أقاليمها صقلب. وهى على جبل عال وباسفلها ربض على طول النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه ومباقل وخير شامل. ومن مدينة شنترين الى مدينة بطليوس 4 مراحل.

انظر الادريسي : 179، الروض المعطار : 114،113.

119) سرقطة : بالاسبانية : ZARAGOZA

قاعدة من قواعد مدن الاندلس. وهى المدينة البيضاء وسميت بذلك لكثرة جصها وجيارها. واسمها مشتق من اسم قيصر وهو الذى بناها وذكر أنها بنيت على مثل الصليب وجعل لها أربعة أبواب.

العذرى : ص 23،22 وانظر حاشية 148 وما ورد فيها من مصادر، الادريسي : 190، 191، 194، الروض المعطار : 96 ـ 98.

120) في دب : في حينه.

121) ساقطة في قب، قج ، دا.

122) وردت في بعض المصادر الأندلسية بأن كنيته : أبو عبد الله

انظر ابن بشكوال : ترجمة 1200، بغية الملتمس : ترجمة : 28.

123) في دا : ابن ابراهيم.

(124) فسمعت المحتسبة بوروده فقصدوا محله وموضع نزوله و (لببوه) (125) وسفعوه وساقوه الى القاضى شر سوق حافيا، مقرع الرأس، فأمر بسجنه حتى (ثبت) (126) عنده ذلك التقييد وثبت بذلك (عنده) (127) تسجيل أبى زيد عليه واستحضره وشاورنا هل يعذر اليه أم يقتل دون اعذار.

فقال جميع أصحابنا : لا يعذر اليه، وبعجل قتله وقلت (له أنه) (128) لا يسعك الا الاعذار اليه فيما ثبت عليه لأن القاضى المسجل (بذلك) (129) قد أخذ به وقضى (بفتيا) (130) (فقهاء) (131) طليطلة، ولا يجوز لك خلافه لأنه نقض (لحكمه) (132) فرجعوا الى ذلك ورأوه صوابا، وأعذر اليه بمحضرنا.

---

124) محمد بن أحمد بن منظور : هو محمد بن أحمد بن عيسى بن محمد بن منظور بن عبد الله بن منظور القيسي. من أهل أشبيلية.
كان من افاضل الناس، حسن الضبط، جيد التقييد للحديث، كريم النفس خيارا. توفى بأشبيلية سنة 469 هـ
انظر ترجمته في ابن بشكوال : ترجمة رقم 1200، بغية الملتمس : ترجمة 28، النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ص 96.
125) في قب : ولقيوه.
126) في قب، قج ، دا : يثبت.
127) زائدة في قج.
128) في قج : أنا.
129) ساقطة في قب، وفي دا : أولا.
130) في قج : بفتوى.
131) ساقطة في دا.
132) في دب : في حكمه.

فقال : أن أبا زيد كان (عدوه) (133) في أسباب الدنيا (وعرضها) (134) فاجله باتفاقنا شهرين أولهما لليلتين بقيتا من ربيع الآخر وصرف الى السجن. وكبل ثم توفى القاضى أبو بكر بن منظور قبل تمام الأجل وولى مكانه (عبد الرحمن بن سوار) (135).

واجتمعنا بعد تمام (الآجال) (136) عند المعتمد (على الله) (137) وأحضر في كبله وسئل هل أمكنه شيء مما (أخر) (138) له ؟

فقال : لم يمكنى من يسعى (لي) (139) في ذلك. فاستمرت

---

133) في دا، عذره.

134) في قب : وغرضها.

135) عبد الرحمن بن سوار : هو عبد الرحمن بن سوار بن أحمد بن سوار. ضى الجماعة بقرطبة. يكنى : أبا المطرف. ولاه المعتمد على الله قضاء الجماعة بقرطبة بعد ابن منظور يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة أربع وستين وأربعمائة. وكان من أهل الذكاء واليقظة والنباهة والصلابة في الأحكام مع الدين والفضل والتواضع. ولد سنة 412 هـ وتوفى يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت لذى القعدة من سنة أربع وستين وأربعمائة. وكانت مدة عمله في القضاء أربعة أشهر تنقص يومين.
انظر في ترجمته ابن بشكوال : ترجمة 718، القاضى عياض : 4 / 786.

136) في قج، دا : الأجل

137) ساقطة في الأصل، دب والمذكور في النسخ الأخرى.
والمعتمد على الله : هو محمد بن عباد بن محمد بن عباد أبو القاسم الملقب بالمعتمد على الله. برع في الشعر والأدب. ولد سنة 431 هـ وحكم أشبيلية 461 هـ وحكم قرطبة بعد خلع بنى جمهور 462 هـ توفى 488 باغمات بالمغرب.
انظر : ابن بسام : 2 / 1 / 32 ـ 67، الحلة السيراء : 2 / 52 ـ 67، الضبي : ترجمة 248، المراكشي : المعجب 101 ـ 102 ، 136 ـ 149، ابن خلكان : وفيات الأعيان جزء 5 ترجمة : 686.

138) في قج : أجل.

139) ساقطة في دا.

العزيمة على قتله وخرج المعتمد (على الله) (140) وخرجنا معه الى رأس القنطرة وصلب هناك (بمحضره) (141) ومحضرنا نصف يوم الاثنين، لثلاث خلون (من رجب) (142).

وطعن بالرمح، والحمد لله الذى عافانا مما به ا بتلاه، وفضلنا على كثير (ممن) (143) (خلق) (144) تفضيلا (وصلى الله على محمد وعلى أهله وعلى ذريته وسلم تسليما) (145).

(قال القاضي أبو الأصبغ) (146) : ورأيت من تمام هذه المسألة وصل مسألة أبي الخير بها التى هي أصلها وشبيهتها في التعطيل والالحاد.

الكويت د. عبد الوهاب خلاف

140) مذكورة في قج.
141) ساقطة في فج.
142) في دب : لرجب.
143) في قج : من
144) في الأصل، قب : خلقنا . وفي قج : خلقه والمذكور في النسختين الأخريين.
145) ساقطة في الأصل، وفي قب : «وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ذريته وسلم تسليما» والمذكور في النسختين الأخريين.
146) مذكورة في قب، وفي قج : قال الشيخ رحمه الله.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
صحيح البخاري.
صحيح مسلم.

ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القصاعي البلنسي)
الحلة السيراء (جزءان) تحقيق د. حسين مؤنس طبعة أولى، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة 1963، القاهرة.

ابن بسام (أبو الحسن على الشنترينى)
الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة.
القسم الثاني، المجلد الأول، تحقيق د. لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية للكتاب، 1975، القاهرة.

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك).
كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم (جزءان) الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، القاهرة.

ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين).
المقتبس، تحقيق د. محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، 1973، بيروت.

ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني)
تاريخ اسبانيا الإسلامية. تحقيق ليفي بروفنسال 1956، بيروت.

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)
وفيات الأعيان، تحقيق، د. إحسان عباس، الجزء الخامس، دار صادر، 1971، بيروت.

ابن رشد (القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد)
بداية المجتهد ونهاية المقتصد. (جزءان)،
مكتبة الخانجي، بدون تاريخ، القاهرة.

ابن سهل (القاضي أبو الأصبغ عيسى.....)
الأحكام الكبرى، مخطوط تحت رقم 838 ق
الخزانة العامة، الرباط.

ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد)
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب الجزء الثالث، تحقيق ليفي بروفنسال (دار الثقافة بيروت طبعة بالأوفسيط عن طبعة باريس 1930.

ابن عمر (يحي)
كتاب أحكام السوق، تحقيق د. محمود على مكي صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية العدد 2،1 مجلد 4 سنة 1956، مدريد.
ابن فرحون (برهان الدين ابراهيم بن علي بن محمد)
الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، 1351 هـ القاهرة.
ابن الفرضى (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966، القاهرة.
الإدريسي (أبو عبيد الله محمد).
صفة المغرب وأرض مصر والسودان والأندلس، طبع في مدينة ليدن 1968.
الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم)
صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، 1937، القاهرة.
الخشني (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني)
قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، القاهرة.

سيد سابق فقه السنة، جزء 9، دار البيان، 1968، الكويت.
الضبى (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة)
بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربى، 1967، القاهرة.
عبد الواحد
المراكشى المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي الطبقة الأولى، مطبعه الاستقامة، 1949، القاهرة.
العذرى أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائى ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك، تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى، معهد الدراسات الاسلامية، 1960، مدريد.
عياض (القاضى أبو الفضل... بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى)
ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق د. أحمد بكر محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، 4 أجزاء في مجلدين.
النباهى (ابو الحسن على بن عبد الله الجذامى المالقى) تاريخ قضاة الأندلس المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا. تحقيق : ليفى بروفنال. (طبعة بالأوفست) المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - بدون تاريخ.

د : ع. و. خ.

كفالة الشعب (•)

عبد الواحد أخريف

يهزك النبل والإحسان والكـــرم ... ياشعب، هامت به في مجده الهمم
ريان من نفحات العز تعشقـــه ... كأنه للعلا المعبود والحـــرم
إذا رنا نحو آمال تهدهـــده ... جاءت إليه وفود النصر تزدحـــم
هل الفوارس الا مـــن منابعـــه ... وما الشجاعة إلا حيث يعتصـــم
ينير درب العلا ان لفه غلـــس ... وحاولت طمسه الأوهـــام والظلم
إذا دعاه إلى التحرير عاهـــه ... لبى نداه بصف ليس ينقســـم
سل «المسيرة» والتاريخ شاهدهـــا ... هل كان في زحفها من ليس ينتظم
كلا فما المغرب الأقصى سوى رجل ... إذا الفداء دعاه هب يضطـــرم
شعب إذا طيف غبن قد ألم بـــه ... سمعت زمجرة الآساد تحتـــدم
تقمص الفرد فيه روح عزتـــه ... وأهله عن لبان البأس مافطمـــوا

(•) بمناسبة حملة جمع التبرعات التي تجري على الصعيد الوطني لفائدة أبناء شهداء الوحدة الترابية.

لهم على رفرف الجوزاء مقتعـــد والغير دونهم في ركبهم خـــدم
إن البطولة ميـــراث تقسمــــه أبناؤه، وتبقى للعدا الوهــــم
كم هاجمتهم فلول الغدر فاندحرت وشملها في مهاوي الريح ينفصـم
إذا تحركت الهيجاء يسبقهـــم جيش من الرعب لا يهوي به قدم
وكم كفاهم عراكا حين يزرع في قلب العدا رعدة تنداح بينهـــم
وان تحدى خصوم الدار بطشتهـم ينقض مر الردى كالنار فوقهـــم
إن الملاحم لم تنعم ببهجتهــا ألا على يديهم ان شدت الحــزم
قد توجوا هامة الدنيا بذكرهـــم وسار في مسمع التاريخ بأسهـــم
إن الجهاد دم زكى عروقهـــــم فقد يموت فتاهم وهو يبتســـم
آمنت بالله ربا، والنبـــي هـــدى والمغربي صمودا ليس ينهـــزم
النصر في ركبهم زاه قلائـــــده منظومـــة يسلكها هيهات ينقسم
«صحراؤنا» قد أعدناها فغاظ لهـــا خصوم وحدتنا وانتابهم ألــــم
جروا علينا حروبا صاح صائحهـــا بباطل الحديث الكفر عبدهـــم
واستبسلت همم لاحت مناعتهـــا كشأنها فهي عشاق الوعى بهـــم
الحق رائدها، والعدل ديدنهـــــا لذاك لا ينطوي في زحفهـا علـــم
مرت على غيهب التاريخ نور هدى ونار بعث إذا أزرى بها عـــدم
وفي طليعتها جيش كأن لـــه من الحماية حصنا ليس ينهـــدم
وقاية الله ظل فوق وثبتـــــه وعزمة «الحسن الثاني» له شيـم
يخوض في مهمه الصحراء معتركا لو خاضه الصيد ما فازوا ولا سلموا

جولاته بعيون النصر مشرقـــة وخصمه تحت نيران الوغى حمـم
لكن للنصر قربانا يقدمـــــه طبيعة الحرب مذ كانت لها نظـم
ومن شذى الشهداء الأرض قد عبقت والخلد يهتز إجلالا لفعلهـــم
قد خلفوا زهرات من ودائعهـــم كانت لهم أملا تزهو به النعـــم
لنا أبوتها إن غاب كافلهـــا ولن تهون لنا في حقهـم ذمـــم
إن غابت الشمس عن أفق السما ظهرت كواكب بشعاع النور تزدحـــم
شعاعنا الجود لا ينفك منهلـــه يهمي سخاء كما تهمي به الديـــم
ياشعب جد بالذي يرضيك مبتهجا على اليتامى لأن الضر مسهـــم
آباؤهم قدموا أرواحهم كرمـــا فأصبح الشعب ظرا والدا لهـــم
قد صانت الوحدة الكبرى أبوتهم فصن بنوتها لتسكت النعـــم
حاشا تخيب آمالا معلقـــة على نداك الذي مامثلـه كـــرم
تضامن الشعب عنوان لعزتـــه لن يسقط الشعب مادامت له همـم

تطوان **عبد الواحد أخريف**

كتاب الإحاطة
لابن الخطيب
- 6 -

محمد ابن تاويت

الصفحة 224 ورد المصراع الثاني من البيت الثاني بها هكذا :

واخضرت منها الربى والسهل والجبل ، والصواب « اخضر » بدون تاء التأنيث) ، ثم جاء الاول من التالي هكذا :

ولاح وجـه على بعـد ذا فغـدا ، ولا يتـزن الا بنحـو : « ولاح وجه لنا من بعد ذا فغدا » وضبطت « مشيدة » في الثامن بفتح الشين وتشديد الياء ، والصواب كسر الشين ، واسكان الياء مدا للشين قبلها ، ,وورد آخر العاشر « بخل » وصوابه « بخلوا » بفتح الباء لا ضمها ، وبعد هذا ببيت جاء مصراع هكذا : ان كنت جئت اخيرا فلقد ففي هذا سقطت كلمة بعد « اخيرا » فاختل بذلك الوزن ، ويستقيم بنحو : « بيننا » او « بعدهم » او « نابها » ، وبعد هذا ببيت جاء آخر تحرف فيه « بحر » بتجر ، مشددة الراء .

الصفحة 225 جاء المصراع الاخير من القصيدة هكذا :
« فجد به فشفا الهايم القبل » ، فانكسر الوزن بسقوط الهمزة من « فشفاء»

وجاء المصـــراع الاول ، من البيــت الثانــي لاخــرى هكـــذا :
وامسك دهري ثم انطق علقما (وصوابــه : ،،، ثــم افطـــر ،،،)
وتلاه الثاني من الثالث هكذا : ولو ان ضعفــي ينتمــي الى حتفــي
(وصوابه – كما نرى – « ولو ان ضعفي ينتهـي بــي الى حتفــ »)

واخيرا جاء بيــت هكــذا :

بقيت وسحب العطف منكـــم تظلني وعطف ثنايي دائما ثاني العطف

والصواب : انهاء المصراع الاول منه عند « تظلني » .

الصفحة 230 جاء فى السطر السابع « فلم يحل بطائل » بضم الحاء وتشديد اللام ، والصواب تسكين الحاء وضم اللام المخففة .

الصفحة 233 جاء أولها هذا المصراع « كيف تكون حين تقرا فى غد » والصواب اهمال « تقرا » من همزة القطع ليتأتى الوزن .

الصفحة 234 تصحف فى السطر السابع عشر «جاريا » فكتب بالباء.

الصفحة 236 جاء بيتان هكذا :

حينا يوحشه حينـا يؤنســـه حينا يسكنــه حينا يحركـــه

عسى الذي يمسك السبع الطباق على يديك يا مطلع الأنوار يمسكه

ففي المصراع الاول من الاول يضبط « يونسه » بتشديد النون ، وفى المصراع الثاني من الثاني ، يضبط « مطلع » بفتح الميـــم والـــلام وبداية هذا المصراع من « يدك » أما « على » فهي نهاية المصراع الاول .

الصفحة 237 جاء المصراع الثاني من اول بيت بها هكذا :

جات بهذا العالم المتصوف (فسقطت الهمزة من جاءت) وبعده « ابدين من سر الطريقة ما خف » فحذف الياء من « خفي » وهو يتسامح

فيه كما في القرءان « وما اريد ان يطعمون » وبعد ضبط في البيت التالي: « رفع » بضم الراء ، بدل فتحها .

الصفحة 238 جاء بيتان هكذا :

ان ابن صفوان امام هداية صافي فصون فهو صوفـــي صـــــف

وان اختبرت فانه صفو ابن صفو ظاهر في طيـــه صفو خــــف

والصواب انهاء المصراع الاول من الاول عند « هداية » وصواب« فصون» فصوف ، بتشديد الواو المفتوحة ، ثم الفاء ، وكان الحق ان تكتب « صفي» بالياء وقد حذفت لما تقدم ، ونهاية المصراع الاول من الثاني . عند الفاء من « صفو » وينتهي البيت بكلمة « خفي » ثم الآتي بعده بكلمة « المقتفي » وتـــلاه آخـــر هكـــذا :

فليهنلي المولى سعـــود ايالــــــة فيها سراج نـــوره لا ينطـــــف

« الكلمة الاولى مصحفة فليهنىء ، وسراج بالتنوين ونوره بالضم ، ثـــم حذفت ياء « ينطفي » و « يختفي » ، وبعده جاء مصراع من بيت هكذا : « رايتك تدنيني اليك تباعدني » (وهو لا يستقيم وزنا الا بنحو « تباعدا »)

ثـــم جـــاء بيـــت هكـــذا :

هويت بدمني اليه فلم يكن بســـي البعد في بعدي فصح به قـــرب

وصواب المصراع الثاني بدايته عند « بي » ويبقى الاول على غموضـــه ، وتكسره ، وقد حذف في « فربي » الياء ، كما حذفت في غير ذلك جوازا .

الصفحة 239 جاء مصراع هكذا : « وكان به لاي لساني مع القلب » وهو لا يبدو معنى ولا يستقيم وزنا .

وفي السطر الخامس تصحف « ترديا » بالباء . وفي الرابـــع عشر « التعيش » بالباء كذلك .

الصفحة 242 يكتب فى السطر الثالث عشر « الوباء » بالهمزة المضمومة

الصفحة 243 جاء المصراع الثاني من البيت الاول هكذا :

وغمار قلبي من كلوم تترجم وهو لا يستقيم من القصيدة الواردة على بحر الطويل . وجاء البيت الخامس هكذا :

كذا العلم بالسيف الصقيل لدى الوغى فويق الذي من حسنه يوسم
والصواب انهاء المصراع الاول بكلمة الوغى ، وصواب الكلمة الاخيرة « يتوسم » . وجاء المصراع الثاني للبيت السابع عشر هكذا :
ومخمضة احلام لمن بات يحلم، وهو لا يستقيم وصوابه: « وغمضة احلام،،،،»

وبعده جاء المصراع الثاني هكذا : واغرق فيها الجاهلون واشأم

، والصواب : واعرق فيها الجاهلون واشاموا ، .

وصواب المصراع الاول للبيت الخامس عشر هكذا :
وما وصلها معشار عشر صدودها ، اما المصراع الثاني منه ، فهو لا يستقيم على ما هو عليه هكذا؛ « ولكنه صرف للدهر أدوم » كما لا يستقيم المصراع الاول للسابع عشر هكذا :

ضحى كان وجه الدهر سبر بشره (ولعله « يبلو بشره » من البشر، وليس من الشر ، كما ضبط بذلك) ، وبعده جاء مصراع هكذا مضطربا « ذرينا بعقد من ولي مكانه » وزاده ارتباكا وتكسيرا ، ضبط « ولي » بضم الواو وتشديد اللام المكسورة ، وبعد ببيت ضبط فى آخر «صيدها» بفتح الصاد . والصواب كسرها ، جمع أصيد .

الصفحة 244 يضبط من البيت الثالث « كل » بالفتح ، ويصحح آخره هكذا « فيسلم » بتمكين السين وفتح اللام . وفى التالي صوابه « وسلموا » .

وجاء المصراع الاول للثامن هكذا : ولكننا ننسى ونابي حديثـــه (وهو على غموضه مكسر بفتح ياء « نابي » بدل سكونهـــا الفا مقصورة ، وفى الثاني من العاشر يضبط « فالهمنا » بفتح الهاء . وجـــاء الاول من الثاني عشر هكذا : خبا ضوء نادى اقفر ربعه (وصوابه « واقفر » بالواو) وفى الثاني من الرابع عشر تحرف « فظيع » بقطيع ، وبعد هـــذا مصراع آخر ثان هكذا : « فيا من لقوم يتموا حين او يتم » ولا يستقيم البتـــة واخيرا يضبط « طرق » بسكون الراء ، فى البيت الوارد بنهاية الصفحة .

الصفحة 245 جاء المصـــراع الثانـــي لاول بيـــت بها هكـــذا : بأبين من ياتي به من يعلم (وصوابه : بأبين ما ياتي ،،،) . ثم جاء المصراع الثاني من الثاني هكذا : مضـــى كما يمضـــي الحســـام المصمـــم (وصوابه : مضى مثل ما يمضي الحسام المصمم) . ثم ورد بيت هكذا :

يصيب فلا يخطـي اذا مقصـــدا ولمن يجيب فلا يبطي ولا يتلعثـــم

والصواب بداية المصراع الثاني بفعل « يجيب » ويبقى الاول على غموضه بآخر . ولعل « ولمن » مصحفة عن « رمى » وبذلك يستقيم الوزن .

الصفحة 248 ضبط « تمحها » اول السطر الثالث ، بضم التاء وكسر الحاء . والصواب الفتح فالضم ، كما بالحديث الشريف .

الصفحة 252 فى آخرها جاء بيتان هكذا :

تركت لكم عز الغنـــى فأبيتـــــم وأن تتركوني للمذلة والفقـــــر

ونازعتموني فى الخمول وانـــــه لذي مهجتي احلى من البني والامر

فلعل الاول « بأن تتركوني ،،، » او « لأن ،،، » ثم صواب المصراع الاخير: لدى مهجتي احلـــى من النهـــي والامـــر .

الصفحة 253 ضبط « سرى » اول الابيات الواردة فيها، بضم السين وفتح الراء ، والصواب كسرهما مع تشديد الراء ، وفى أول المصـــراع

الثاني من العاشر . تجعل الف « واهتك » وصلية ، لا قطعية ، كما هـي خطأ . ثم ضبط « عادته » في البيت الاول من قصيدة اخرى بضم التاء ، والصواب تسكينها ، ثم جاء البيت الثالث هكذا :

واصح لحسن حديثها واعده للمضنى ففيه البرء من اشجانه ،
والصواب نهاية المصراع الاول عند اللام الثانية « للمضنى » . لا الضاد .
ولعل « رواه » تصحفت في البيت الاخير برفاه ، فاء بدل الواو .

الصفحة 254 جاء المصراع الثاني للبيت الخامس هكذا :
شـذا خزامـاه وطيـب لبانـه

وصوابه « بشذا خزاماه وطيب لبنانه » ويضبط « طيب » بالكسر ، لا بالضم ،
وتلاه بيت هكذا :

ارحم بروح منه روحي تحيـه   ويسقمه سقمي فديتك عانـه

ضبط « بروح » بالضم ، والصواب الكسر ، ثم صواب الكلمة الاولى بالمصراع الثاني « وبسقمه » بكسر الباء وضم السين وتسكين القاف .
وبعده جاء بيت هكذا :

وبنشره انشر نفس مشتـاق   قضت شوقا لنفحة نسمة من بانه

والصواب انتهاء المصراع الاول عند « قضت » ، وبعده ببيت جاء آخر هكذا :

يا سعد حدثني فكل حديث عنهم   ويجل قدر الحب عن نسيانـه

وهو لا يستقيم الا بنحو :

« يا سعد حدثني بكل حديثه   ويجل قدر الحب عن نسيانه »

وجاء البيت الرابع عشر في الصحيفة هكذا :

وهل الربوع أواهل بجمالهـم   فسقى للربوع الودق من هتانـه

والصواب ضم الراء في « الربوع » ثم تخفيف « فسقى » وصواب ما بعدها « الربوع » بدون لام الجر ، مفعولا به والودق بفتح الواو لا بضمها فاعل .

الصفحة 255 ضبط في البيت الثاني بها « وباجرع » بضم الراء ، بدل فتحها ، ثم « غذاني » بالتشديد ، والصواب التخفيف للوزن ، وجاء المصراع الثاني للبيت الرابع هكذا : « ازهو بذلي في يدي سلع انه » (هكذا بدل « سامانه » بالعين المتصلة بما قبلها) ، وسلمان بالتحريك ، كما يقول الحموي ، من حصون صنعاء باليمن ، فلا بد من التسكين للوزن . وجاء بيت :

فعلام تعتب مستهاما كلما   في الكون غادره على شيمانه

ولم يتضح لنا معنى للصراع الثاني منه ، وعلق على « الكون » هكذا : نصفها ممحى في الاسكوريال ، واخيرا جاء في نهاية الصفحة مصراع بيت هكذا : هل الاولى ملكوا رقي وقد علموا   بفتح همزة « الاولى » والصواب فيها « الألي » بلا واو ، وبضم الهمزة .

الصفحة 256 ضبط في السطر التاسع « روطي » بالكسر بدل ضمها

الصفحة 257 ضبط اول السطر الثالث « الطلاوة » بالكسر ، بدل فتحها ، ثم « اصوليا » بفتح الهمزة بدل ضمها ، وكذلك « اساوى » بالسطر الثاني عشر و « اوجب » بالذي يليه .

الصفحة 258 جاء مصراع هكذا :   الم المرور وما له من راق (وهو غير واضح ، ولعله : الف ، ثم لا يتضح معنى للمرور) .

الصفحة 259 ورد اول المصراع الثاني من البيت الثاني بها «وقررت» بتشديد الراء الثانية،بدل تخفيفها . وبأواخرها جاء بيتان هكذا:

نحن الموالي فاخضعن لعز نالنا   انا لندفع في الهوى من هانا
ان التذلل للتدلل سحر   فاخلد الينا عاشقا ومهانا

والصواب فى المصراع الاول من الاول : فاخضعن لعزنا ،،، وفى الثاني : انا لنرفع ،،، بالراء ، ثم الصواب فى المصراع الاول من الثاني ، ان ينتهي هكذا : « سحرنا او سرنا » ثم تجعل الهمزة فى « فاخلد » في الثاني همزة وصـــل ، لا قطـــع .

الصفحة 260 جاء البيت الثالث منها هكذا :

ومتى هبت عليـــلات الصبــــا صح جسمي فهن لي نفـث رقــا

والصواب فى مصراعه الثاني : « صح جسمي فهي لي نفث رقا » ، ثم جاء المصراع الاول من الخامس هكذا : « يا اهل الحمى لي فيكـــم رشا » ولا يستقيم الا هكذا : يا اهيل الحي ،،، . ثم جاء الثامن هكذا :

انسى الشمس ضيـاه ذهبــــا وكسى البدر سنـــاه ورقـــــا

وصوابـــــه :

البس الشمس ضيــاه ذهبــــا وكسا البـــدر سنـــاه ورقـــــا

ثم جاء بيتـــان من اخـــرى هكذا :

دعوت من شفى رنّا على كبــدي فقال لي خلق الانسان فى كبـــد

قلت الخيال ولو فى النوم يقنعني فقال قد كحلت عيناك بالسهـــد

صواب الاول « شفني » بتشديد الفاء ، بعدها نون ، وصـــواب الثانـــي « يقنعني » بضم الياء ثم يضبط « كحلت » مبنيا للمجهول .

الصفحة 261 جاء آخر البيت الثاني بها « القرا » بتشديد الراء ، بدل تخفيفها . وبآخر الرابع « مكبرا » بفتح الباء ، بـــدل كسرهـــا . وفى العاشر جاء « قدما » بضم القاف والدال ، والصواب الكسر فالسكون وفى الحادي عشر « ختم » بضم الميم ، والصواب فتحها . وفى البيت الثالث من اخرى ، ضبط « فته » بضم التاء ، والصواب كسرها .

الصفحة 262 ضبط « ورفع » اول بيت فيها ، بالتخفيف . والصواب التشديد للوزن ، ثم « شهبا » بضم الهاء ، والصواب تسكينها للوزن . وفي اول البيت الثالث من التالية ، ضبط « ولكن » بالتشديد ، والصواب التخفيف ، ثم « سألت » بتاء التكلم ، والصواب الخطاب ، ثم « نثرت » بتاء الخطاب ، والصواب التكلم . وفي الرابع « يدي » بتشديد الياء ، والصواب تخفيفها ، لأن الكلمة مضافة الى « نجواك » . وفي الخامس ضبط « يخصه » بسكون الخاء ، بدل ضمها ، وفي اواخر البيت الاخير ، ضبطت « غرة » بفتح التاء ، والصواب ضمها . وفي البيت الثالث من تاليها ضبطت « حالت » بتسكين التاء ، والصواب كسرها ، لالتقائها بسكون « الاحوال » .

الصفحة 263 وفي اول بيت ورد « رجا » بدون همزة وبالتنوين على الألف ، ثم ضبط « ولا خوف » اول المصراع الثاني بالضم والتنوين ، والصواب الفتح ولا تنوين ، ثم جاء البيت الثالث هكذا :

ومهما تذكرت العتاب يهزني لهيبتكم قبض يغيب به النعت

والصواب انتهاء المصراع الاول عند « يهزني » ولعل « قبض » صوابها بالفاء ، والياء . ثم جاء المصراع الثاني للسادس هكذا : ومنكم سهودي والوجود اذا عدمت ، والصواب فيه « ومنكم شهودي والوجود اذا مت » . وجاء الاول من التاسع هكذا : تجليته اي حتى دهشت مهابة ، وصوابه : « تجليت لي ،،، » .

ثم جاء بيتان هكذا :

موارد حق بل مواهب غاية اذا ما بدت تلك البوادة لي تهت

لوايح انوار تلوح وتختفي ولكن وميض البرق ليس له ثبت

وصواب الاول انهاء مصراعه الاول عند « غاية » ثم لا يبدو لنا معنى في « البوادة » ونهاية المصراع الاول من الثاني عند « وتختفي » .

وجاء المصراع الاول للرابع عشر هكذا : نسفن جبالي فهي قاع صفصف ، ولا يستقيم الا بنحو « بصفصف » أو « وصفصف » .

ثم جاء بتيان هكــــــذا :

ولي أدمع اججن نار جوانحي وإي نفس لولاه من حبكــم ذبـــــت

الا فانظروا قلب العيــان حقيقـــة فنايي ووجودي والحياة اذا مــت

وصواب الاول نهاية مصراعه الاول عند « جوانحي » وصواب المصراع الثاني من الثاني : « فنـــاى وجـــودي والحيـــاة اذا مـــت » .

وفى نهاية الصفحة جاء بيتان هكذا :

وعند قيامي عن فنايي وجدتكــم فلا رتبة علوية فوق ما نلـــــت

ورود وشرب ثم لارى بعــــــده لين كنت أروى من شرابك لا كنت

وصوب البيت الاول « عن فناى » وصـــواب المصـــراع الثانـــي « علوية » بسكون اللام ، ثم ان الصواب فى المصراع الثاني من الثاني : « فلا كنت أروى من شرابك لا كنـــت » .

الصفحة 264 جاء اولهـــا بيتان هكـــذا :

شرب اكواس الوجود مدامــــــة فلست اجلي عن ورود متى شيت

وكيف واقداح العوالــم كلهـــــا ولكني من صاحب الدير أسكــرت

والصـــواب فيهمـــا : « شربـــت من اكـــواس الوجـــود مدامـــة » ثـــم : « ولكننـــي من صاحـــب الديـــر اسكـــرت » .
ثم جاء المصراع الثاني للرابع هكذا : « وقد نلتها صرفا فيالعمري ما ضعت» (والصواب : وقد نلتها صرفا لعمري ما ضعت) . وضبـــط فى التالـــي « وارضعتها » بفتح الهمزة ، والصواب ضمها ، وكسر الضاد . وضبط فى السابع « عمـــد » بسكون الميـــم ، والصواب فتحهـــا .

الصفحة 265 ضبط بالسطر الحادي عشر « مضطرب » بتشديد ضاده .

270 وردت ما بين السطرين الخامس عشر والسادس عشر الآية « وهم فى روضة يحبرون » بتصحيف « مهيم »،، يجبرون » .

الصفحة 271 جاء اولها هذا المصراع : وام احذر فهو ما دون فهمي وهو غامض هكذا ، ولعله : » ولم احذر بها ما دون فهمي » .
وفى المصراع الثاني من الثاني ، ضبط « البسط » بفتح الباء ، وصوابها الضم ، جمع بسيط ، سكن سينها بدل ضمه للوزن .

الصفحة 273 ضبط « بطوطة » بما هو الجاري على السن الناس ، واخبرني دارس ابن خلدون العالم المرحوم الاستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، أن الاسم تردد فى كتابة ابن خلدون مشكولا بخطه ، مضموم الباء والطاء مشددة . وفى السطر الثامن عشر ، حرف « اثنا عشر » بالياء ، وهو بالألف مبتدأ مقدم .

الصفحة 275 جاء اولها « ولي قرطبة »،، من قبل يوسف بن تاشفين سنة خمس وخمسمائة » والصواب حذف « خمس » لان ابن تاشفين توفي سنة خمسمائة . او يكون قد سقط « علي بن » والمعني فى هذا التريخ هو مزدلي بن تيولتكان .

وفى السطر العاشر ضبط « عمران » بضم العين بدل كسرها ، وفى السابع عشر ، ورد « وتوفي تعريفا فى البحر » ولعله « غريقا » ، ثم فى التاسع عشر جاء « ينشد » بفتح الياء ، بدل ضمها .

الصفحة 276 تجعل همزة « الاشعار » وصلية فى اول بيتين بها ، وتكسر باء « الخبب » الثانية ، وجاء المصراع الاول للثاني هكذا :
« هذا وبنو الآداب قضوا » ؛ وصوابه « ها وبنوا الآداب قضوا » بفتح الضاء ، لا ضمها ، ثم جاء المصراع الثاني من ثالث أبيات هكذا :

« عيشي روحيا تروى عجبا » وصوابه « عيشي رجبا ترى عجبا » .

ثم جـــاءت ابيـــات هكـــذا :

ابليت بجديـــة الحقبـــــا فيها احرزت معــارف مـــا
والخمر اذا 'قتقت وصفـت اعلى ثمنا منهـــا عنبـــــا
وبقية عمر المـــرء لـــه ان كان بهـــا طبـــا دربـــــا

جاء بالبيت الاول « ابليت » بضم الهمزة وفتح التاء ، والصـــواب فتحها وضم التاء ثم صواب البيت الثاني « عتقت » واغلى بالغين المعجمة ونهاية المصراع الاول للثالث « له » وتكسر همزة « ان » اول المصراع الثاني

الصفحة 281 جاء مصراع هكذا بآخرها « فجرا بأنهار الذرى متفجرا» وصوابه كما بالديوان الذي رجع اليه المحقق « بأنهار الندى » .

الصفحة 282 يضبط « نوء » بالضم فى البيت الثاني بهـــا ، وفى آخر الرابع « محيرا » بكسر الياء . ثم جاء الاخير للبيـــت التالـــي : « نور الهدى عن يديك منورا » ولا يستقيم هكذا ، وعلق عليـــه بأنـــه فى الديوان « قدر لبعدي عن يديك مقدرا » وهو به « قدرا ويضبط « فلك » بالفتح فى الذي يليه ، ثم يضبط « مهجرا » فى نهاية الثامـــن ، بكســـر الجيم ، ويضبط 'ول الثالث عشر « يطلبن » بضم اللام ، ثم « البـــر » بالفتـــح للـــراء .

الصفحة 283 يضبط « اي » فى البيت الرابع بالضم .

الصفحة 284 جاء المصراع الثاني للثالث هكذا لو تنبذ السانحات رحلي بالعرى » وصوابه « الساحات » او « السادات » كما بالديوان . ثم جاء للسادس هكذا : « يسبي الملوك ولا بدب لها الضرا » والصواب « يدب » بياء المضارعة ، كما بالمثل المعروف . ويضبط « الحـــارث » اول الثامن ، بالفتح ، ثم « مبذول » فى المصراع الثاني ، بالفتح كذلك .

الصفحة 285 يضبط « الاعداء » بالفتح فى البيت الرابع ، وهـــو افصح وان اعترف غيره ، كما بالخلاصة .

انصفحة 288 جاء مصراع هكذا : « وقفت بها من بعد بعد انسها » وعلق عليه بانه فى الزيتونة « هذا نسيمها » . وهذا لعله « هب نسيمها »

الصفحة 289 جاء البيت الثاني بها :

فلا تندب الاطلال واسل عن الهوى   ولا تقل فى تذكار تلك المعالم

الصواب فيه ضم دال « تندب » ثم « ولا تغل » أول المصراع الثاني ، ثم جاء المصراع الثاني للخامس هكذا : « يساق بخلق الشهد مر العلاقـــم » وصوابه ، « يسقى بحلو الشهد مر العلاقم » بتشديد « يسقى » والباء فى « بحلو » للبدل ، كما فى قوله : « فليت لي بهم قوما اذا ركبوا » .

وجاء الثاني من الثامن هكذا : « وتنثر نورا من دموع سواجـــم » وصوابه ، « وتنثر درا ،،، » ثم سقطت الهمزة من « العليـــاء » بالبيـــت العاشـــر . وفى الثاني عشر تحرفت « لدى » بلذى المعجمـــة ، مـــن المصراع الاول ، وسقط من الثاني همزة « غناء » . ثم جاء الثاني للرابع عشر هكذا : « الا غمادهـــا الابحـــر الغلاصـــم » ولعـــل صوابهـــا : « لأغمادها الا بحز الغلاصم » ولعل الشاعر السوسي الحامدي نظر اليـــه بقوله : « وعلم حد السيف حز الغلاصم » . وبعده جاء آخر هكـــذا : « نواصل بين الهند واني الطلا » وعلق عليه بأنه فى الزيتونة « والى الطلا » ومع هذا فقد سقـــط منـــه مـــا تكسـر بـــه . ويستقيـــم بنحـــو « نواصل بين الهند والبيض والقنا » او « الطلى » . وهذا سيأتي ذكره فى المصراع الثاني منه .

الصفحة 290 جاء مصراع هكذا : « وكان راى ان المهامة بيننـــا » وصوابه : « ،،، المهامه ،،، » ثم ضبط اول البيت السادس « فيبلـــغ » بفتح الباء وتشديد اللام المكسورة ، والصواب ضم الياء وتسكين البـــاء

وتخفيف اللام ، وفي السابع ضبط « ضامر » بالضم بـــدل الكســـر . وجاء المصراع الاول للتاسع هكذا : « اذا اتلعت فوق السحاب جوابها » بالفتح . وهو غامض على كل حال ، وفي الثاني تحرف « بعض » بيعض وشدد الضاد لذلك ، ثم ضبط « نزلت » أول المصراع الثاني من البيت يليه ، فعلا ماضيا بتاء تأنيث ، والصواب بتاء الضمير . وجاء أول التالي : « ولم يأمن الخلان » بتسكين النون ثم ضم الخاء ، والصواب الكسر ثـــم الكسر كذلك ، وضبط « يلف » أول الخامس عشر بفتح الياء والفـــاء ، والصواب الضم فالكسر ثم ضبط في المصراع الثانـــي من الذي يليـــه «خير» بالضم بدل الفتح، ثم جاء مصراع «يجوب الينا البيداء قصد وبشرنا» والصواب فيه « البيد » بالجمع ، واخيرا شدد « طلاب » أول البيـــت ، والصواب تخفيفه ، وان ينهي المصراع الاول عند « الفلا » ولا تدويـــر في البيــــت .

الصفحة 291 جاء أول البيت « على سلهب ذي صوتين مطعم » ، ولا يستقيم له وزن ، و « مطعم » بالتخفيف ، صوابه « مطهم » بالهاء المشددة. اما « صوتين » فلا معنى له . ثم ضبط « شاء » أول الثاني بكسر الهمزة ، بدل فتحها ، وضبط أول الثالث « ويقدمه » بالتشديـــد ، والصـــواب التخفيف . وضبط اول المصراع الثاني منه بالضم والصواب الفتح ، ولعل « حنانا » آخر المصرع الاول من التالي ، محرفة عن « جنابنا » . وجاء اول المصراع من السابع « بعثنا » بضم الباء ، والصواب فتحها ، ثم ضبط « ورضنا » اول الثاني عشر ، بتسكين الراء ، بدل ضمها ، وضبط «يذل» اول المصراع الثاني من التالي ، بضم الياء ، والصواب فتحها انسياقا مع الآخر الذي تقدمه في البيت قبله ، ثم ضبط بعده « يقصر » بفتح اليـــاء وتسكين القاف وتخفيف الصاد . والصواب الضم فالفتح فالتشديـــد ، وختمت القصيدة ببيتين هكذا :

فلله منا الحمد والشكــر دايمـــا   وصلى الله على المختار من آل هاشم

ونختصكم منا السلام الأثير مـــا   تضاحك روض عن بكاء الغمايـــم

والصواب فى الاول حذف اسم الجلالة من المصراع الثاني ؛ والصواب فى البيت الثاني « ويختصكم » ويضم « الاثير » بدون همزة قطع .

الصفحة 292 يضبط « المفدى » اول الابيات الرجزية ، بتخفيف الدال ليتزن البيت ، وآخر الأبيات « العده والمده » هكذا .

الصفحة 293 جاء آخرها البيت :

«وانت هجرتالليلاذ هزم الضحى   كتائبه والصبح لما استجارك »

فعلق على « هجرت » بأنه فى الديوان « اجرت » . وهذا هو الصواب لا غيره .

الصفحة 294 ورد اول الأبيات « قرطيك » بكسر القاف بدل ضمه ، وجاء فى البيت الثاني « وبالظلام » وصوابه ويا لظلام بالبياء ، وضبط « اذكت » أول البيت السادس عشر ، بفتح التاء بدل كسرها ، وجاء آخر المصراع الاول من الاخير « مشيدة » بالتشديد ، والصواب التخفيف ليتأتى الوزن .

الصفحة 295 جاء المصراع الثاني من البيت الرابع عشر هكذا : « اثارت كسوفيك وجلت سرارك » والصواب ، كما بالديوان الذي استاق منه المحقق الابيات الثلاثة التي منها هذا . « انارت » ، بالنون لا بالثاء .

الصفحة 296 جاء المصراع الاول للثالث هكذا : « يقودهم منهم سراجا كتائب » بتنوين سراجا ورفع كتائب ، والصواب اضافة السراجين للكتائب . وجاء اول السادس « كشفنا » والصواب « وكم كشفا » . وفى البيت الخامس عشر شددت حاء « الرحال » وهي مخففة .

الصفحة 297 جاء المصراع الثاني للسابع هكذا : « وانشقت ياظئر الرجا حوارك » ولا يستقيم الوزن خصوصا بانشقت

بتشديد القاف ، ثم تاء تانيث ثم قصر الرجا ، فالصواب فيه ، كما بالديوان الذي رجع اليه المحقق في هذا : « رانشقت ياظئر الرجاء ... » من الانشاق ، مبنيا للمجهول .

الصفحة 303 تصحفت « الطارئين » في السطر السادس ، بالطابين .

الصفحة 307 جاء آخر السطر الثاني عشر « وهجير » والصواب « وهجيرى » بكسر وتشديد ، ثم يضبط « وراءها » بالفتح في الخامس عشر . وجاء من ابيات آخرها بيتان هكذا :

يا سادتي ما ذا الجزا فديتكم الفضل لو غير الفتى ما قيلا

ما ذاق الا شربة من هجرنا وكأنه شرب الفرات شمولا

صواب الاول « ماذا الجزاء » ثم ضبط « غير » بسكون الياء لا بفتحها مشددة ، واخيرا يضبط « شمولا » بفتح الشين ، بمعنى الخمر .

الصفحة 308 يضبط بالمصراع الثاني للبيت الرابع « عهدت ملولا » بضم العين وكسر الهاء وفتح التاء ، ثم الميم ، وقد سقطت همزة « صفاء» في البيت السادس ، ويصلح اول تاليه هكذا « يا غصن » ، ثم يجعل آخر المصراع الاول من الذي يليه « احرقته » اذ جاء بالصفحة هكذا :

اعطف على المضني الذي احرقته في نار هجرك لوعة وغليلا

وبعد بيت جاء آخر هكذا :

لو لم يكن منك التغير لم يسل بالناس او حشروا اليه قبيلا

ولعل الصواب آخر المصراع الاول « لم يبل » بالباء ، لا السين ، وبعد هذا بيت جاء آخر هكذا :

هل لي رسول في الرياح فاز من فارقته بعث النسيم رسولا

ولعل الصواب في آخر المصراع الاوّل « فان من » . ثم يضبط في البيت الثاني من اخرى « ملك » بفتح الكاف ، وبعده مصراع هكذا :

صاب من الأتراك اصبى مهجتـــي فعبدت نور الحسن فوق جبينـــه

ولعل صوابه : « صنم من الأتراك ،،، » ثم يضبط « صدغـــه » فى نهاية المصراع الاول لتاليه بضم الصاد . وكذلك فى الذي يليه .

الصفحة 309 يضبط فى البيت الثالث « قوام » بفتح القـــاف ، وسقطت الكاف من أول المصراع الثاني للسادس ، فهو هكذا : « كمماته » ثـــم جـــاء بيـــت هكـــذا :

ان لم تمن علي منـــة راحـــم فمناه أن يلقاه ريـــب منونـــه

وصوابه ، « ان لم تمن عليه » ثم يضبط آخره « منونه » بفتح الميم، لا ضمها . وجاء مصراع هكذا : « بسطت شمائله للزمان كمثـــل مـــا » والصواب فتح باء « بسطت » لا ضمها ، ثم « الزمان » مفعولا به ، وقـــد سقطت الهمزة من « الغناء » فى المصراع الذي يليه .

وفى نهاية الصفحة جاءت ابيات اخرى ، ثانيها بيت هكذا :

تالله ما قصر العذال فى عذلي لكن ابت اذني ان تسمـــع العـــذلا

وصواب المصراع الاول نهايته عند « عذلي » الذي يجب أن يضبط بفتح الذال ، ثم يضم ذال « اذني » فى المصراع التالي .

الصفحة 310 جاء المصراع الاول من البيت الثاني بهـــا هكـــذا : « آثره نسيم الشعر آونة » ولعل صوابه « اثار منه النسيم الشعر آونة » والشعر بفتح الشين ، لا بكسرها كما أثبت .

وفى المصراع الثاني من الخامس تجعل همزة « فاضرب » همـــزة وصل ، لا قطع أ ثم جاء آخر الاول من تاليه « ملكه » والصواب « ملـــك » بدون اضافة للضمير ، ويضبط « تقرب » أول المصراع الثاني من الخامس فى « دوبيت مجزو مقصور » ، بفتح التاء والراء المخففة . وبعده جـــاء « ما نازلني كمثل ظبي » وعلق عليه بأنه فى الاسكوريال « ما نازل » وهذا هو الصواب الواجب اثباته لا غيره ، ثم يضبط « يبت » فى البيت الثامن

بضم الباء لا بكسرها . ثم « أوجدلني » في المصراع الاخير بالصفحة محرف عن « أو جاد لي » .

الصفحة 311 جاء أول العاشر والحادي عشر من أبيات الصفحة « يسقيك » و « يسبيك » بضم أولهما . والصواب فتحهما . ثم جاء المصراع الثاني ، من أول ابيات أخرى هكذا :
« لو اغنت الحليتان لي القول والعمل » والصواب :
« او اغنت الحيلتان القول والعمل » . ثم جاء البيت الثاني « السامران »
والصواب « السائران » . وفى آخر البيت الرابع ، ورد « العطف والعمل»
وصوابه « العطف والبدل » . وفى اول الخامس ، تحرفت « مذ » بقد .

الصفحة 312 يضبط بالبيت الاول فيها « لبيست » بكسر التاء ،
وجاء البيت الثالث هكذا :

لم أنس ما نادوا للرحيل ضحى   وقرب المركبان الطرف والجمل

وصوابه : « ... يوم تنادوا ... » ثم « قرب » بضم القاف وكسر الراء المشددة . ثم « الطرف » بكسر الطاء . وجاء البيت الخامس منها هكذا :

وودعوني بأجفان ممرضة تغضها   الرقبتان الخوف والخجل

والصواب انهاء المصراع الاول عند « ممرضة » .

وجاء المصراع الثاني للسابع هكذا :
« وابا المسكران الحمر والمقل » والصواب « وانما المسكران ... » .
ثم جاء المصراع الاول للعاشر هكذا : « من لمسترق الروابي والوهاد بهم »
وهو لا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى ، وكذلك لا يتم وزن المصراع الثاني للتالي هكذا : « لا يستوي الضدان الريث والعجل » ولعله
« لا يستوى الضد منك الريث والعجل » ؟ و المصدران أو العملان .

الصفحة 313 جاء بالسطر الرابع « بالغرور والخدايـــح والزور » ولعلها « الخدايع » وهو غريب . وفى البيت الثالث من رائيـــة ضبـــط « لاحسبهن » بضم الباء ، والصواب الفتح او الكسر ، وجاء البيت السادس منهـــا هكـــذا :

ياتي الظلام فما يسود رقعـــــة   حتى ترى مسطورهـــا منشـــورا

ولعله « منثورا » على أن « منشورا » مقبول ، لو لم يعقبه « المنشورا » فى القافية التالية ، وان كان التعريف شافعا ، لكنه من الضعف بمكـــان ينبو عنه ابن المرحل صاحب الأبيات . ثم جاء آخر التاسع « والتكبيرا » وصوابه « والتكفيرا » . وفى الثاني عشر « تلفى » بفتح التاء والفـــاء ، والصواب الضم فالكسر . وقبل السطر الأخير من الصحيفة ، تحـــرف « المعنى » بالمنى ، واخيرا بيت هكذا :

اشف الوجد ما ابكى العيونـــــا   واشفي الدمع ما نكأ الجفونـــــا

ضبطت الكلمة الاولى بالهمزه المكسورة ثم السكون فالكسر ، وصوابهـــا الفتح للأولين ثم الضم مع التشديد . وصواب « اشفي » فتح فائـــها ، كمـــــا قـــال المتنبـــي :

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمـــه   بأن تسعدا والدمع اشفاه ساجمه

الصفحة 314 ضبط « عمرت » فى أول بيت ورد فيها بفتح العيـــن والميم المخففة ، والصواب الضم فالكسر بالتشديد . ثم جاء المصراع الاول من الثالث هكذا : « بدا الشيب فى فوديك رقـــم » وصوابـــه : « بدا الشيب ،،، » . وجاء فى الثاني من الخامس « كعقل الكاتبينـــا » وصوابه « كفعل الكاتبينا » ثم جاء فى آخر من التالي « فكأن » والصواب « فكان » من الكون . وفى الثامن ضبط « اللحظ » بفتح الحاء ، ولا يستقيم بذلك وزنه ، وفى أول العاشر ، جاء « اخي » والصواب « أخي » بتشديد الياء مصغرا مدغم الياءين . وفى أول الثاني عشر جاء « فلا تخدعنـــك »

والصواب « فلا تخدعك » بدون نون التوكيد . وجاء البيت السابع عشر والثامن عشر هكذا :

وآه ثم آه ثم آه على نفسي اكرر مئينا

اخي سمعت هذا الوعظ أم لا الا ليتني في السامعينا

وصواب الاول انتهاء مصراعه الاول عند « آه » الاخيرة ، وصواب الثاني انتهاؤه عند « لا » وتشدد ياء « أخي » لما سبق ذكره ، ثم تزاد ياء النداء قبل « ليتني » هكذا « الا يا ليتني في السامعينا » ، واخيرا جاء اول بيت اخير « ألفه » وصوابه « الفته » بتاء التكلم وعلق على « بالقلم » الوارد في نهاية البيت . بأنه في الزيتونة « للقلم » . وهذا هو الصواب الذي يجب اثباته .

الصفحة 315 جاء البيت الثاني هكذا :

دع للحبيب ذمامي واحتمل رمقي فليس ذا قدم من ليس ذا قدم

والصواب انتهاء المصراع الاول عند « رمقي » ثم تضبط « الاولى » في المصراع الثاني بفتح القاف والدال . وفي التاسع تضبط تاء « فتشغلنا » بالفتح .

الصفحة 316 جاء مصراع هكذا : « عداوة لا لكفك من قد نم » وهو لا يستقيم وزنا ولا يتضح معنى ، ثم جاء آخر من ابيات هكذا : « فلم يحظ فشيب وراب حضابي » وهو لا يستقيم ، ولعله ، « فلم يخطني شيب وراب خضاب » ، بضم الباء وضبط « الشمال » في ثاني بيتين ، بعد الأبيات المذكورة بفتح الشين والصواب الكسر ، ثم جاء آخر أول بيتين آخرين « فيصير » ولا نرى له معنى ، وجاء مصراع ثان لثانيه هكذا : « ولكن نفسها لا تصبر » وهذا لا يستقيم وزنا ، ومعناه واضح ،و لعل « عنها » سقطت منه فيكون البيت هكذا :

فالعين تبصر غيرها مع بعده عنها ولكن نفسها لا تبصر

وفى آخر المصراع الاول من البيت الوارد بعده ، جاء « اعـــداء » وصوابـــه « اعـــــدى » .

الصفحة 317 جاء فى السطر السادس من بيت « عفا » بتشديد الفاء والصواب تخفيفها ، وفى العاشر من آخر يضبط « صيرت » بضم الصاد وتشديد الياء المكسورة ، ثم نجعل المصراع الاول من البيت الثاني عند « قد » وفى الثاني عشر سقط « قصيـــدة » قبـــل « فى » . وورد أول المصراع الثاني للبيت الثالث من القصيدة « ودبرة » مصحفة عن «وجهي»، هكذا : « وجهي الى ربي بقلب خاضع » . وفى البيت قبل الاخير بالصحيفة تضبط « حسناء » بالفتح ، انسياقا مع ما قبلها ، ولا يصح القطع ، لان ما بعدها منصوب « خودا »

الصفحة 318 جاء البيت السادس فيها هكذا :

غيداء كالغصـــن الرطيـــــب اذا مشت ناءت بردف للتعجل مانــــع

والصواب انهاء المصراع الاول عند « مشت » وبعـــده فى البيـــت التالي « تسبي » بضم التاء ، بدل فتحها ، وتحرف آخره « الخاشـــع » بالسامع ، وتحرف اول الحادي عشر « وبغرفة » بوبعرفه ، وهي بفتـــح الغين من الفرف ، وجاء الثالث عشر هكذا : « ثم انفصلت وعلمت بأنني » والصواب : « ثم انفصلت وهد علمت »» وتضبط « اوثقت » بضم الهمزة أول المصراع الثاني ، وفى البيت الذي يليه ضبط « وعدن » بكسر العين بدل ضمها ، وفى المصراع الثاني منه ، تحرف « ولا تكـــن » بولكـــن ، و « بمدافع » بمرافع بالراء ، وجاء المصراع الثاني للسادس عشر هكذا : « ما كنت اولا خدعت بقارع » وصوابه : « ما كنت لولا أن خدعت بقارع » ، وفى اول التالي جاء « ولزمتني » والصواب « ولزمنني » بنون النسوة ، وفى آخر بيت بالصحيفة ورد « وطمعت بأن » والصواب : « وطمعت أن » .

الصفحة 319 تحرف فى البيت الثامن « كالمقرور » بكالمضرور ، ثم سقطت الهمزة من « السماء » بالبيت التالي ، وفى الذي يليه ضبـــط

« زوجتها » بفتح الزاي ، والصواب ضمها ، وفى أول الآخر الذي يليه . تحرف « وتهنأ » بوبتنا ، ثم ضبط « حصلت » بالضم للتاء ، والصواب : الفتح للخطاب ، وفى أول الرابع عشر ، تصحف « فوجأتها » بفوجلتها ، ثم « ونزعته » بوحذوته ، وفى السادس عشر تحرف « قرنها » بفوقها ، وجاء فى الثامن عشر « تدعى بالبريح » فعلق على البريح بأنه التعب ؛ وليس كذلك بل الكلمة عامية ، لعمل الرجل « البراح » الذي يرفع صوته بالاعلان فى الاسواق معلما ، كما يرفعه « الدلال » فى المزاد العلني .

الصفحة 320 جاء أول البيت الرابع بالصحيفة « حيران » بالضم والصواب الفتح . ثم « اغدو » والصواب اعدو بالعين ، ثم « احس » بفتح الهمزة ، على انه مضارع . والصواب : كونه ماضيا ، ولهذا تفتح السين بدل ضمها .

الصفحة 324 سقطت الالف من ابن القاضي ، فى السطر الرابع ؛ ثم كتب مصراع هكذا : « زر غريبا بمقره » (وصوابه : ،،، بمغرب) ، ثم بعجم ذال « التذلل » فى مصراع آخر . بالأبيات الأربعة الواردة بها .

الصفحة 328 جاء مصراع هكذا : « يسائل عنك الدارين ولم يكن » ولا يستقيم الا بنحو : « يسائل عنك الدار يوما ولم يكن » .

الصفحة 338 ضبط « واخترما » فى البيت السابع ، بفتح التاء ، والصواب ضمها ، ثم ضبط « الملك » بكسر اللام ، بالتاسع ، وصوابه السكون ، ثم جاء فى المصراع الثاني للذي يليه « وسنى العهد » بفتح الجميع ، ولعله « وسني » بكسر النون وضم الياء مشددة ، مضافا للعهد ، وبعد الابيات تحرف « ببني » ببيتي ثم فى البيت التالي تجعل همزة «الأمير» الاولى قطعا الوزن .

وجاء مصراع آخر هكذا : « وزكريا بها بعد ثوى » ولا يستقيم الا بنحو « وزكريا فيها بعد قد ثوى » .

الصفحة 342 ضبط في البيت التاسع « لسدفة » بفتح السين ، والصــواب ضمهــا .

الصفحة 345 جاء مصراع هكذا : « اليه البدر يطلع من أزرته » ، والصواب : « البدر يطلع من أزرته » ولعل « اليه » محرفة من « عليه » قبل البيت ، ففي ذلك ورد : « ثم زادت » فالغالب أن العبــارة كانــت « ثم زادت عليه » أي على قولها : « لغدوت اخرس من خلاخله » .

الصفحة 347 جاء في مصراع « عمد طوال » بضم الطاء ، بدل كسرها، وصفا لعمد بضمتين ، ثم ضبط « شمر » بعده ، بكسر فسكون وصوابــه فتح فكسر ، وجاء في المصراع الاخير من الأبيات « تعتلــج الأباطــح » وصوابه : « بمعتلج الأباطح » ، وبعده بالسطر الخامس وردت همزة « ابناه» همزة قطــع . وجاء في السطر الذي يليه « فضــرب في صنعــه » ولعلــه سقط منــه « المثل » .

الصفحة 350 جاء بيت هكذا :

جاد الزمــان بانة الجرعــــاء نوقان من دمعي وغيث سمــــاء

وصوابـــــه :

جاد الربى من بانــة الجرعــــاء نوآن من دمعـــي وغيث سمـــاء

ثم تضبط تاء « خلت الصدور » اول الثالث بالكسر ، وفي الرابع : « ولقد اقول لصاحبي » بالتثنية لا بالافراد ، ثم في الخامس : « ولا اقل » بفتح القاف وتشديد اللام ، فليس من القول ، وفي السادس : « عوجــا نجاز الغيث » وليس « بحار الغيم » ، وفي الثامن « نشطــت » بكسر الشين ، وفي التاسع « قبل » بفتح اللام ، وفي الثاني عشر « سخنه اعين » كما في الاسكوريال ، وليس « سخمة » كما في الزيتونة .

الصفحة 351 جاء مصراع هكذا : « ذرى بورده انسي فبابـــا » (والصواب فيه ، « درى بورده انسي فآبا ») ، واخيرا « يذكرنـــي » بدون فتح للياء آخره .

الصفحة 352 جاء آخر البيت الاول « تصابا » والصواب : « نصالا » بكسر النون . وجاء المصراع الثاني للسابع هكذا :

وقيدت غرضي الا الخطايا (وصوابه : وهدت عزمتي الا الخطابا) .

وفى الحادي عشر ، ينبغي كتابة « من ان اضيق » بوصل همزة ان ، وفتح همزة أضيق ، ثم تضبط ياء « يفل » بالضم فى البيت قبل الأخير

الصفحة 353 يضبط « الصلابا » آخر البيت الرابع ، بكسر الصاد ، لا ضمها ، وفى آخر المصراع الاول من الثامن ، تحرف « حماما » بكماما . وفى البيت يليه تحرف « متنها » بشهبا ، ثم فى البيت بعـــده تحـــرف « جهارا لـــت » بجهاز البيت ، وبعده « أذيل » بالتخفيف ، وفى الخامس عشر صوابه « واى أخي وذاد » وليس « واني اخي » بضم الهمزة وفتـــح الخاء ، وبعده « مهمة » بضم الهاء المنونة ، وبعد هذا « اخ بر » وليس « اخـــــي بـــر » .

الصفحة 354 تحرفت فى البيت الاول « فينثر » بفينشر (بالشين) وفى الثاني « اربي » بأربو ، وفى الثالث « القطر » بضم القـــاف ، وفى الرابع « يقرضه » بضم الياء ، وفى الخامس « يدوى » بضم الياء ، وفى السادس « فأحبسا » بهمزة وصل ، وفى الحادي عشر « قد مثلـــت » بالبناء للمجهول مع التشديد وليس « قد شلت » بفتحتين وتخفيف ، وبعده « ازهار » بالضم ، لا بالفتح ، فى البيت قبل الاخير بالصفحة .

الصفحة 355 يضبط « ولدت » فى البيت الاول ، بفتح الواو ، لا ضمها ، وفى الثالث « اسكبه » بفتح الهمزة ، وفى السابع « غازلتها اختها » بسكون اللام وضم التاء الاولى وفتح الثانية ، ثم تجعل نهايـــة المصراع

الاول من العاشر ، « ايكة » ، وتجعل نهاية الحادي عشر « نصرا » بالنون ، والثاني عشر « صفرا » بالفاء ، واول الرابع عشر « جرفي » بضم الراء .

الصفحة 356 يجعل المصراع الاول فيها هكذا: «عشيات كان الدهر غضا» بالغين والضاد . وفي البيت يليه « حمرا » بسكون الميم .

وفي الخامس « مذنب » بسكون الدال ثم « كالبحر » لا النحر ، وفي التاسع « الا ضرورة » ثم « الشفرا » آخره ، بفتح الشين ، وفي الثاني عشر « ايانس » بضم السين و « يجد الركب » بضم الياء ثم الباء ، وفي الثالث عشر « وحرفه » بفتح الراء وضم الهاء ، وفي الخامس عشر « ولكن » بسكون النون .

الصفحة 357 يضبط « عدة » في البيت الثاني ، بكسر العين ، وفي الرابع « يحسد » بالدال . وفي الخامس « لا ترم الذكرا » وفي السابع « بآيس » ثم « مع العسر » لا العذر ، وفي الاول بأخرى « فيها » لا منها ، وفي الثالث « ملكتني » و « صدتني » بتاء الخطاب .

الصفحة 358 جاء آخر الصفحة « هذا السالك » والصواب « هذه المسالك » .

الصفحة 361 جاء بيت هكذا :

سرى والحب امر لا يرام وقد اغرى به الشوق والغرام

(والصواب اسقاط الواو قبل « الغرام ») .

وجا البيت الثالث هكذا :

وما اخفا بين القوم الا ضنا وربما نفع السقام

والصواب انهاء المصراع الاول عند « الا » بعد اصلاحه ، بنحو

« وما اخفاه بين القوم الا » ، ويضبط آخر البيت بفتح السين ، ثم صواب المصراع الاخير فى الصفحة « وخير الحب ما فيه اكتتام » بالكاف،لابالخاء

الصفحة 362 جاء « الحمام » آخر البيت الرابع ، بكسر الحاء ، والصواب فتحها ، وسقط من البيت العاشر « قد » قبل « تجلى » وعلق على كلمة « زهر » قبله ، بانه فى التكملة « روض » وهذا هو الصواب الواجب اثباته .

الصفحة 363 يضبط اول الرابع « وعرف » بتشديد الراء ، وفى نهاية البيت الثامن « اللهام » بضم اللام ، وفى اول الحادي عشر « نمته » بفتح الميم المخففة ، وفى الثالث عشر صوابه « واولا الحد » بالحاء ، لا الجيم . وفى الخامس عشر صواب المصراع الثاني «وسلم فى تحيته السلام» ومن السادس عشر « له بعد الاله بك اعتصام » . وفى التاسع عشر « مكرمة » بضم الميم الثانية ، لا فتحها .

الصفحة 364 جاء المصراع الاول من خامس بيت هكذا : « بعيني شكواى للغرام وتيهه » (ولا يصح معناه، ولا يتزن الا بنحو: ،، الغرام) ثم جاء اول الأبيات التالية « انه » بكسر الهمزة ، والصواب فتحها ، وجاء مصراع هكذا : « ولي من الشوق ما لا دواء له » ولعله « وبي من الشوق داء لا دواء له » .

الصفحة 365 جاء البيتان الثالث والرابع هكذا :

مؤيدا لملك بالآراء يحكمها ... فى ضمنها المبهجان اليمن والظفر

من كالأمير ابي عبد الاله اذا ما ... ما خانت القدمان البيض والسمر

وصواب الاول « مؤيد الملك » بفتح الياء ، وصواب الثاني انتهاء مصراعه الاول عند « اذا » ، وسقط من البيت التاسع « قد » قبل « كنت » . وفى الحادي عشر يجعل الف « احس » وصلا ، لا قطعا لضرورة الوزن ، وبعده جاء بيت هكذا :

وغرة يتلألا من سماحتهـــــا كأنها النهران الشمس والقمـــر

وصواب « غرة » الكسر ، لا الضم ، ويتلألا ، ينبغي اسقاط الهمزة الاخيرة منها للوزن ، ثم « النيران » فى المصراع الثاني ، لا « النهران ».

الصفحة 366 جاء اولها : « وما اظن انه لليلـــة الهجـــر غـــد » (من مجزو الرجز) . والصواب انهاء المصراع الاول عند « أنه » . ثـــم يضبط « ارقد » أول الثالث بضم الهمزة ، وسقط « فى » من ثاني بيتين قبل « الآخـــر » .

الصفحة 367 جاء بيتان اخيران من اربعة هكذا :

وقد صافح الادواح من صفحاتــه حتى حباب بالنسيـــم مكســـــر

فما كان فى عطف الخليج قلامـــة وما كان فى وجه الغدير فمغفـــر

فالمصراع الثاني من الاول معضل فى وزنه ، وفى البيت الثاني لا معنى لقلامة ، والصواب « فلأمة » بالفاء .

الصفحة 6368 جـــاء بيـــت هكـــذا :

لبسوا القلوب على الدروع واسرعوا لاكفهم نارا لأهل النار

والصواب بداية المصراع الثاني عند « لاكفهم » اما اسرعوا التي ينتهـــي بوزنها الاول ، فلعلها « اشعلوا » ، وربما كان بعدها « بأكفهم » بل انـــه المتبادر ، وكقول الشاعر :

فان تعافوا العـــدل والايمانـــــا فـــان فى ايماننـــا نيرانـــــا

وهو من شواهد التلخيص للخطيب القزويني . وفى آخر المصراع الاول من السادس تصحف « لسانه » بلسابه . وفى الثاني من البيت الاخيـــر تجعل الهمزة وصلا فى « وقد اصبحوا خبرا من الاخبار » . وبعد هـــذه وردت قطعة اخرى ، جاء البيت الرابع منها هكذا :

واسمر ظن ما كل سابقة فخـــــاض كالايم يستشفي من النهل

والصواب فيه « ماء كل » وينتهي المصراع عند « سابقـــة » . وفى اول السادس « الطمين » بفتح الطاء لا بضمها . واخيرا جاء بيت هكذا :

يعبـــر عمـــا ورا الضميــــــر ويفعل فعل الظبـــا والذبـــــل

وصوابـــــه :

يعبـــر عمـــا وراء الضميــــــر ويفعل فعـــل الظبا والذبـــــل

الصفحة 369 جاء بالسطر مصراع هكذا : «كلاهما شرف الله درهما» بتشديد الراء فعلا ماضيا والله فاعل ، ودرهما مفعول به ، والصـــواب : شرف ، خبر « كلاهما » ، وبعده جملة اخرى « لله درهما » بضم الـــراء المشددة ، لا فتحها . وفى السطر الرابع عشر ، جاء اول ابيات هكذا :

وازرق كمثـل السمـــــاء فيه لمن ينظر سر عجيـــب

وصوابه : « وازرق كمثل لون السما » وهذه الابيات فى الخيري الـــذي علق عليه ، بانه نبات ينمو فى البادية ، وله رائحة ذكية ولا فائدة فى هذا التعليق بزيادة البادية وبدون ذكر لليل .

الصفحة 370 جاءت ثلاثة ابيات هكذا :

كأن بصفح الروض وشي صحيفةو كالالفات القضب والطرس كالتبر

كأن به الاقحـــوان خـــواتمـــــا مفضضة فيها فصوص من التبـــر

كأن به النرجس الغض اعيــــــا ترقرق فى اجفانها ادمع القطـــر

فى الاول « وشي » بالفتح لا بالضم ، وينتهي المصراع الاول منـــه عنـــد

« صحيفة » ثم يضبط في المصراع الثاني « القضب » بتسكين الضاد ؛ وفي البيت الثاني « به للأقحوان » بلام الجر وكذلك في الثالث صوابه : « النرجس الغض » بالكسر ، لا الضم ، وبعده « أعينا » ثم « ترقــرق » بفتح التاء والراء الثانية ، لا بالضم فالكسر . وجاء بيت من اخرى هكذا :

لقشر حق لها قد ضـم داخلـه ،والشحم قطن والحب ياقـوت

فسقط منه « لها » بعد كلمة « قطن » . وتلاه البيــت :

انظر الى جذر في اللون مختلــف البعض من سج والبعض من ذهب

وهو بيت لا علاقة له بسابقه ، الوارد ثاني اثنين في وصف الرمان ، على روي التاء ، بل هو أول اثنين في وصف الجزر ، ورد ثانيه هكذا :

ان قلت قصب فقل قصـب بـلا زهر او قلتشمع فقل شمع بلالهب

وبعد فيجب ضبط « انظر » بضم الهمزة ، و « جذر » صوابه بالزاى لا الذال . وبفتح الاول والثاني منه ، لا الكسر والسكــون ، و « سـج » المشدد الجيم وبالسين ، صوابه « شجر » ، هذا كله متصل بالبيت الاول، أما الثاني ، فينتهي مصراعه الاول عند « زهر » .

الصفحة 371 ضبط في البيت الثالث « الشيء » بالضم ، بـدل الكسر . ثم جاء المصراع الاول للسادس هكذا: «بها قلبي الذي قلبي المعنى» وهو غيــر واضــح في معنــاه .

وتلاه مثيله هكذا : « رزقت الصبر بلين ابي وامي » ثم ضبط في البيت الذي يلي هذا « ودع ما لا يريب لما يريب » بضم الياءين بدل فتحهما .

الصفحة 372 جاء مصراع هكذا : « ليس لاخوة باللسان اخـوة » وواضح انه هكذا : « ليس الاخوة باللسان اخوة » .

وبعده : « فاذا تراد اخوتي لا تنفع » (وصوابها : ،،، « اخوة » بدون اضافة) . وتلاه بيت هكذا :

لا انت في الدنيا تفرج كربـــــه عني ولا يوم القيامـــة تشفـــــع

وصوابه : « كربة » بالتاء وضم الكاف .

الصفحة 373 يضبط « وانظر » اول البيت الاخير ، بهمز وصل . وتصحف في السطر السابع عشر « جلم » – أي المقص – بالجيم ؛ بحلم بالحاء مكسورة . وجاء في السطر التالي : «وردف يظلمه من يشبه بـــه بالحقف » وصوابه : من يشبهه بالحقف .

الصفحة 374 جاء آخرها : « من اين للغصن مثل قامتها ، او اين للبدر مثل مرآها . ما فعلت في العقول صابية ، ما فعلت في العقول عيناها » . فلا شك ان « صابية » مصحفة عن كلمة تنتهي بالالف قبلها هاء ، والغالب أن بعدها كلمة ساقطة تجمع بين الجملتين ، نحو « مثل » . ثم ان «العقول» المكررة ، يبدو ان الثانية محرفة عن « القلوب » .

الصفحة 375 جاء اولها « فأيهما لست بذلت فيه الجهد » وهـــو غامض . ثم ورد بيتان ؛ اولهما هكذا :

ما انتفاع المحب بالمــــــال اذا لم يتوصل به لوصـــل الحبيـــب

وصواب « اذا » في المصراع الاول « اذ » أو « ان » . ثم ان نهايته عنـــد « لـــم » .

الصفحة 377 علق على قصر كتامة ، بأنه « القصر الصغير ، مينا يقع على مضيق جبل طارق ،، » وهذا خطأ ، فانه القصر الكبير ، وغيره الذي ذكره وحدد موضعه ومسافته ، انما هو قصر صنهاجة ، لا كتامة .

الصفحة 378 جاء مصراع هكذا : « فللصبر احسن ثوب » وصوابه : « فالصبـــر احســـن ثـــوب » .

الصفحة 379 ورد في التعليق (2) تعليقا على قصر عبد الكريم ، انه القصر الكبير ، وكان عليه أن يذكره بأنه قصر كتامة السالـــف الذكـــر ،

فالتعليق على صحته ، ممعن فى كون الاستاذ المحق ، لم يتنبه لما وقع فيه سابقا .

الصفحة 386 ضبط « والدكم » فى رابع الأبيات ، بضم الدال ؛ والصواب فتحها .

الصفحة 390 جاء بيتان هكذا .

فكأنما هارون أودع سحره فيها وآثارها به وحباها

مصقولة الألفاظ يظهر حسنها بمثلها افتخر البليغ وباهى

والصواب فى الاول « هاروت » بالتاء . وفى الاخير « بمثيلها » بالياء بعد الثاء . وفى بيتين بعد الأربعة ، ضبط « نأوا » بضم الهمزة . ثم « فاصبر » بضم الباء ، ثم « فترياق » بكسر التاء ، ثم « هبوا » بكسر الهاء ثم « فيم » حرف بالياء المثناة .

الصفحة 391 جاء بيت هكذا :

كم مليك قد ارتقى منه روضا لم يدافع عنه الرحمن ما ارتقى لا

وهو فى غاية الغموض والكسر بالمصراع الثاني منه ، ثم ضبط « القرط » فى نهاية البيت الرابع من غيرها ، بكسر القاف ، بدل الضم .

الصفحة 392 جاء بيت رابع من خمسة هكذا :

قطعت رجائي حين صح حديثه فان لم يوف دمعي فقد خانني صبري

وصوابه « فان لا يفي » .

الصفحة 395 جاء بيتان من اول قصيدة هكذا :

سنى الليلة الغرا وافتك بالبشرى وابدى منها وجه القبول لها البشرا
تهلل وجه الكون من طرب بهـــــا واشرقت للدنا بغرتها الغـــــرا

وصوابهمـــــا :

سنى الليلة الغراء وافتك بالبشرى وابدى بها وجه القبول لك البشرا
تهلهل وجه الكون من طرب بهـــا واشرقت الدنيا بغرتها الغـــرا

وجاء البيت السابع هكذا :

وفى ليلة الميلاد لاحت شواهد قضت ان دين الكفر قد ابطـل الكفـــرا

وصوابه انتهاء مصراعه الاول عند « شواهد » والغالب ان « الكفر » الاول حل محل « الله » هكذا : « قضت ان دين الله قد ابطل الكفرا » .

وتـــلاه بيـــت هكــذا :

وقد اخمدت انوارها نار فـــارس وارجف كما ارتج ايوانــه كسرى

وردت فيه « نار » بالضم والصواب الفتح فى المصـــراع الاول ؛ اما الثاني فلا يستقيم وزنه . وجاء مصراع الثاني عشر الأخير هكـــذا : « وفى الذكر آيات رخص له قدرا » ولعل « ... تخص له قدرا » .

الصفحة 396 جـــاء البيت السابع هكذا :

خليلي والدنيا تجدد للفقر ضروبا من الأشواق لو تنفع الذكـــــرا

والصواب انتهاء المصراع الاول عند « للفقر » ، ثم بعد بيت جـــاء مصراع هكذا : « منا النفس من تلك المعاهد زورة » بتنوين « منا » التي صوابها الامالة ، واضافتها الى « النفس » التي وردت مقرونة بلام الجر خطأ ، وبعد هذا ببيت جاء فى المصراع الاخير « اجهدت » بضم التاء ،

والصواب تسكينها ، تاء تأنيث . وجاء البيت الثامن عشر هكذا :

لقد عاقت كف الرجاء بحملـــــه   لعل كسير القلب يقلبه بـــــرا

ولا يبدو المصراع الاول معنى ولا يستقيم له وزن بكلمة « عاقـــت » وبعيد أن تكون « عاقدت » وبها يتأتى الوزن ، ويقتضي المعنى « ناءت ». وربما كان ، « لقد عقدت كف الرجاء بحبله » .
وفى البيت قبل الاخير تحرف « شهد » بشهر مبنيا للمجهول .

الصفحة 397 ينبغي ضبط « حيث » فى البيت الثالث بالتشديد . وفى السادس « سرت » بفتح السين ، وفى العاشر « دهم » بضم الدال ، وفى الثالث عشر « احد » بضم اوله وثانيه . ثم جاء ثاني اثنين من غيرها هكـــــذا :

ولكن ما عجيب منك هذا انـــــه   التقطيـــع من شأن الخليـــــل

والصواب فيه انهاء المصراع الاول عند « هذا » وبدء الثاني « باذ » التي تحرفـــت بانـــه .

الصفحة 398 جاء مصراع هكذا : « لقد كمل الود بيننا » ولا يستقيم وزنه الذي سقط منه سبب خفيف بعد الود ، نحـــو « مـــا » . ثم جاء بيتـــان هكـــذا :

الا اكتـــم حـــب من احببـــــت   واصبر فان الهجر يحدثه الكـــلام

وان ابداه دمـــع او نحـــــول   فمن بعد اجتهـــادي لا تــــــلام

وصوابهما فى الاول : « الا اكتم حـــب من احببت واصبـــر » ،،، وفى الاخيـــر « فمن بعـــد اجتهـــاد لا تـــلام » . وبيت آخر هكذا :

الى الله اشكـــو عذرا تـــــرددا   الي فلما لاح سرى لهـــم حالـــوا

ولا يتأتى له وزن ولا يتضح له معنى ، ولعل المصراع الاول كان « الى الله اشكو غدر من قد توددوا » ، وفى البيـــت بعده ضبـــط « ارونـــي »

بضم الراء بدل فتحها ، ثم جاء ثاني ثلاثة اخرى هكذا :

وان حلت عن عهد الاخاء فلـــــم   يزل لقلبي على حفظ العهود شباب

والصواب انهاء المصراع الاول بفعل « يزل » ، ثم جاء أول رابـــع اربعة « ان كان باب القرب قد سد بيننا » وصوابه « اذا كان ،،، »

الصفحة 399 ضبطت « وجهة » في البيت الثالث بضم الواو بدل كسرها ، ثم جاء آخر البيت الاول من اربعة اخرى « غيزل » ولا معنى له ولا روى متنســـق ، وجـــاء المصـــراع الاول من الثالـــث هكـــذا : « فشعر جرير قد غصبت ورويه » (ولعله « رويه » بدون واو سابقة) .

الصفحة 402 ضبطت في السطر الثامن عشر « قصيدة » بالضم ، بدل الفتح ، ثم في اول بيتين « سارة » بتشديد الراء ، والصواب تخفيفها.

الصفحة 403 جاء ثاني ابيات هكذا :

اطلع من انفاســـه الحجـــا   ومن شذاه نفســا عاطـــرا

وكلمة الحجا غير متمكنة من مكانها ، ويتأتى الوزن بها هكذا : « للحجا » ، وصواب المصراع الاول من الخامس هكذا : « قلت لما هالني حسنه » (بتشديد لما) ، وجاء البيتان التاسع والعاشر هكذا :

يا ابن رشيد بل ابــا الرشـــد   يا من لم يزل لطي العلـــى ناشرا

خذ ما فدتك النفس يا سيـــدي   وكن لمـــن نظمهـــا عـــاذرا

والصواب في الاول انتهاء مصراعه الاول عند « يا » وكـــون ثانيـــه « من لم يزل طي العلى ناشرا » . ثم صواب اول البيت الثاني « خذها » بالهـــاء لا بالميـــم .

الصفحة 308 ، تضبط « لداتي » في البيت الاول ، بتخفيف الدال ، ويجعل « فيكفيك » في الاخير « سيكفيك » وهو دور كسابقه .

الصفحة 409 جاء فى البيت الثامن « انه » بالفتح ، والصواب الكسر ، ثم جاء مصراع هكذا :

« أوائكم حزب الله ما فوقهم حزب » (وصوابه : « أولئك » بكاف المخاطب المفرد ، لا الجمع) ، ثم آخر هكذا « فقد كان فيما مضى من زمانه» (وصوابه : فقد كان فيما قد مضى ،،،) . وفى نهاية الصفحة ورد بيتان هكذا :

ركبنا السهل الذلول فقادنا   الى كل ما فى طيه مركب صعب

ونفقل عنها والردى يستفزنا   كفى واعظا بالموت لو كان لي لب

وصواب الاول : « ركبنا بها السهل الذلول ،، » وصواب الثاني : « ونغفل فيها والردى ،،، » اذ الغفلة ليست عن الدنيا المذكورة قبل .

الصفحة 410 جاء بالبيت الثالث « فتقت » بالبناء للفاعل ، والصواب بناؤه لنائبه ، ثم جاء المصراع الثاني للرابع هكذا :

« تقرأ القيان فيه على العيدان » (وصوابه : « تقرا القيان بها »

فحذف الهمزة . واخيرا تضبط « رسومها » بالفتح لا الضم) .

الصفحة 411 جاء أولها بيتان هكذا :

وقد كانت عفت فأثرت منها   سراجا لاح فى الليل البهيم

فتحت من الصناعة كل باب   فسارة فى طريق مستقيم

ورد فى الاول « عفت » بتشديد الفاء ، فانكسر بذلك الوزن ، واستقامته بتخفيفها ، وصواب ما بعده « فأنزت » بالنون .

وفى الثاني ، شددت راء « فسارة » والصواب تخفيفها ، وهو فعل ماض بتاء تأنيث ساكنة هكذا « فسارت » ، وفى الرابع ضبط « قس » بكسر القاف ، والصواب الضم .

الصفحة 417 جاء أول ثاني بيتين « وتعتب » وعلق عليها بأنهـــا فى الاسكوريال « ونفتابوا » وصواب المصراع : « وتغتاب الالى فعلوا وقالوا»

الصفحة 422 جاء رابع ابيات هكذا :

اشغلتني بك شغـــلا شاغــــلا فلما تناسى فديتك عني بعد ذاك لما

وصواب المصراع الاول انتهاؤه عند « فلما » ، ثم بداية التالي منه بفعل « تنأى » لا تنسى ، وصواب « فارفق » فى البيت التالي وصل الهمزة ، لا قطعها ، ثم تضبط « حجة » بضم التاء ، وجاء البيت السابع هكذا :

ما لحت لي فدنا طرفي لغيرك يامولى لحا فيه جفني النوم قد حرمـــا

والصواب انتهاء المصراع الاول عند « يا » ثم صواب المصراع الاول من الذي يليه ، هكذا : « طوعا لطبعك لا اعصيه فاقض بما » ، ويجزم فى المصراع الثاني « ارضى » بحذف الألف ، وفى المصراع الثاني من الذي يليه ، يضبط « يبرد » بتخفيف الراء وتسكين الباء .

الصفحة 423 يبدل « جن » أواخر البيت الرابع ، بفعل « حن » من الحنين ، وتضبط « تصوب » أول المصراع الثاني من أول ابيات أخـــرى بفتح التاء وضم الصاد ، وتسكين الواو ، لا تشديدها ، وفى البيت الرابع تجعل الف « اسما » بهمز الوصل ، لا القطع ، وجاء الخامس هكذا :

فما انت دوني يا اباه مهنأ بـــــه فالسرور الكل بابنــك جامــــع

والصواب انتهاء الاول عند « مهنأ » ، ثم فى آخر الصفحة جاء بيتان هكذا:

ولا تحتاج مضفـــا لا ولــــيس عجيب لا يشــق لــــه غبــــار

فقل للخلق قل للضرس دعنـــي ففي البلع اكتفـــاء واقتصــــار

وعلق على « لا وليس » بأنه فى الاسكوريال « لا لسر » وهذا هو الصواب الواجب اثباته ، ثم يضبط « عجيب » بالكسر ، وفى البيت الثاني الصواب « للحلق » بالحاء ، لا الخاء المعجمة .

الصفحة 424 جاء بآخر البيت الثالث « ومـــا روا » والصـــواب « وماء روا » ، ثم جاءا لبيت الرابع هكذا :

واوردهـــم ســـرا سرارهـــــم ورودا الـــــى الكـــــل دا دوا

ولعلـــــــــه :

« واوردهم سر اسرارهـــــم ورودا الــى كـــــل داء دوا »

ثم جاء اول مصراع لبيت اول من اخرى « ارودى » والصواب « اودى » وجاء المصراع الاول للسادس هكذا : « موقت لم يكن بطريق له خطـــأ » ولا يستقيم وزنه ولا يتضح معناه ثم يضبط « علمه » آخر المصراع من من التالي ، بفتح العين واللام المشدد ، وجاء ربعة ابيات ، انتهت الصفحة بهـــا ، هكـــذا :

يرحل الليل يحيي بالصراخ فمـــا يصده كلـل عنـــه ولا ملـــــل

رايته قد وهنت منه القوى فهوى للارض فعلا يريه الشارب الثمل

او يفتدى بديوك الارض قل لـــه ذاك الفدا ولكن فاجأ الاجـــــل

قالوا الدواء فلم يفن الدوا ولـــم ينفعه من ذاك ما قالوا وافعلـــوا

ولعله : « يحيي الليالي يحيي بالصراخ ،،، » وصواب المصراع الاول مـــن الثاني « رايته وهنت منه القوى فهوى » ولا تلوير به . وصواب المصراع الثاني من الثالث : « ذلك الفداء ولكن ،،، » ، وصواب البيت الرابع :

،،، فلـــم يغن الدواء ولـــــم ،،، ما قالـــوا ومـــا فعلـــــوا

الصفحة 425 يضبط فى اول البيت الوارد اولها « املت » بتشديد الميم ، ثم يجعل « ذلك » فى المصراع الثاني ، بدل « ذاك » ، وفى أول المصراع الاول من السادس ، يضبط « شلير » بتسكين الياء، لا بتشديدها وفى نهاية الصفحة ، يضبط « تلذه الاسماع » بضم الذال .

الصفحة 433 يضبط « اقدم » فى ثاني بيتين أولين ، بتشديد الدال، ثم « غصن » فى الأخير من الأخيرين ، بضم الصاد .

الصفحة 434 يضبط اول البيت الثالث « اطلب » بسكون الطاء ، ثم جاء اخيرا مصراع هكذا : « قد جرى على المعود دهرى » ولا يستقيم وزنه ، الا بنحو « فى » قبل « على » ويبقى المعنى على غموض به ، ولعل « المعود » باللام اخيرا .

الصفحة 436 جاء بيتان هكذا :

قف العيش ننظر نظرة تذهب الاسى ويشفى بها بين الضلوع عليل

دعوت له سقيا الحمى عند ما سرى وميض وعرف للنسيم عليل

والصواب فى الاول انتهاء اوله عند « الأسى » وفى الثاني انتهاء اوله عند « سرى ».

الصفحة 437 جاء المصراع الاول للثاني هكذا : « لين حال رسم الدار عما عهدته » وصوابه : « لقد حال ،،، » ، ثم لا ينون « عينا » فى البيت السادس .

الصفحة 440 سقط اللام من « الحرمان » آخر البيت الاول بها ، ثم جاء مصراع هكذا : « فانقضى يذكي سريعا خلفه لهبه » وصوابه : « فانقض ،،، » بتشديد الضاد آخرا ، ثم « عذبه » فى نهاية البيت الثاني ، بفتح الذال ، لا بسكون الدال المهملة ، والبيت الرابع من غيرها مدور عند اللام من « الأعلى » ثم يضبط « كرها » بكسر الراء ، آخر المصراع الاول من التالي .

الصفحة 442 جاء بيت هكذا :

حالي وحالك اضحت آية عجبا ان كنت مغربا او كنت مغتربا

ضبط « آية » بالضم بدل الفتح فى المصراع الاول ، اما الثاني فلا

يستقيم وزنه الا بنحو « مغربا كنت أم قد كنت مفتربا » او « ان كنت مستغربا او كنت مفتربا » . وفي الاول من اخرى ، تصحف « مشوقكم » بالفاء ، وفي الرابع جاءت « فذا » بدل « فذى » تلاها « وذل » بدل « وذى » وشدد آخر « جوى » ، وتلاه بيت هكذا :

كأنني شمع فى فؤاد وادمع وقد فارقت من وصلكم ريا

وصوابه : « كأني » بفتح الياء ، ومصراعه الثاني لا يستقيم وزنه كما هو. فلا شك انه سقط قبله نحو « تسيل » هكذا : « تسيل وقد فارقت من وصلكم ريا » ولعل « فؤاد وادمع » مضافان لياء المتكلم ، وهو المتبادر ، هكذا : « كأني شمع فى فؤادي وادمعي » ، ولكن يبقى وجه الشبه غير مذكور بالنسبة للفؤاد على كل حال .

الصفحة 443 ينبغي ضبط « وصير امره » في السطر الثاني عشر ، بضم الصاد ، مبينيا لنائب الفاعل « امره » .

الصفحة 446 جاء مصراع اولها هكذا : «وبثا صبابات هنالك واشرحا» ولعله « وبثا صباباتي هنالك واشرحا » ، ثم جاء البيت الثالث هكذا :

وهل لزمان باللوى سقي اللوى مآرب فما القى مدى الدهر حايلا

وهو لا يستقيم في مصراعه الثاني خاصة ، الا بنحو : « شآبيب ما القى مدى الدهر حايلا » على غرابته التي يساعد على قصدها ما بعده .

الصفحة 447 جاء اولها بيت هكذا :

ولما استقامت بالزقاق اساطل واستقلت للسعود محافلا

ولا يستقيم المصراع الثاني الا بنحو « جرت واستقلت للسعود محافل » او « بالسعود » وهو اظهر ، وفي البيت السابع ضبط « برد » بكسر الدال المشددة ، والصواب : فتح الباء وتسكين الراء وضم الدال ، وجاء آخر

البيت الثاني ، من اخرى هكذا : « تبـــد » وصوابـــه « تبـــدي » . وفى آخر أبياته ضبط « بالبر » مكسور الباء ، والصواب فتحها ، ثم جاء قبل البيت الاخير بالصحيفة ، بيتان هكذا :

بمدحكم للقـــرءان اثنى منـــــزلا   وقد حزتم مجدا بجدكـــم سعـــد

كفاكم فخـــارا انـــه لكـــــم اب   ومن فخره ان انت تدعوه بالجـــد

وصوابهما : « بمدحكم القرءان ،،، » فى المصراع الاول ، وفى المصراع الاخير من الثاني « ومن فخره ان » بفتح الهمزة ، لا كسـرها .

الصفحة 448 يضبط فى الخامس « والافضال » بكسر الهمزة ، وفى الاول من غيرها « بالعلاء » بفتح العين واثبات الهمزة آخيرا ، ثم « وانك » فى تاليه بكسر الهمزة ، لا فتحها ، ثم « مشرفا » فى الذي يلي هـــذا ، بفتح الراء المشددة ، ثم « وهنيت » بتشديـــد النون فى التالي لهـــذا الاخير ، وفى آخر السابع « تفتدي » بالياء اخيرا ، وكذلك « يرتدي » ، فى الحادي عشر وان تقدم وجه حذفها فى عدة أمثلة لذلك . ثم « جلالها » فى الثاني عشر .

تطوان **محمد ابن تاويـــت**

الإعلام الثقافي

عدد خاص من مجلة "المناهل" بالقاضي عياض

يسر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية أن تعلن أنها عازمة على إصدار عدد من مجلة (المناهل) خاص بالعالم المغربي الكبير القاضي عياض، وذلك في نطاق التعريف الواسع الدقيق باعلام علمائنا وأكبار مفكرينا.

ووزارة الدولة في الشؤون الثقافية إذ تزف هذا النبأ إلى الباحثين والدارسين ترحب بجميع الأبحاث الجادة التي ترد عليها فيما يتصل بهذا الموضوع.

نتيجة جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق لسنة ١٩٨٥

اجتمعت اللجنة ـ المعنية لفحص المخطوطات والوثائق المرشحة لنيل (جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق) لهذه السنة ـ برئاسة السيد الحاج محمد ابا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية . وعرضت على معاليه نتائج أعمالها بمنح الجوائز المقررة في إطار الجائزة المذكورة.

هذا، وقد أسفر الفحص المشار إليه أعلاه، عن النتائج الآتية :

ـ منح الجائزة التقديرية الثانية ومبلغها 4.000 درهم للسيد حماد بوعياد، اعتبارا للمخطوطات والوثائق التي رشحها.

ـ منح الجائزة التقديرية الثالثة ومبلغها 3.000 درهم للسيد أبي بكر التطواني . تقديرا للمخطوطات والوثائق التي قدمها.

ومن جهة أخرى فقد تقرر منح جوائز تشجيعية على النحو الآتي :

ـ الجائزة الأولى لأربع مجموعات مبلغ كل واحدة منها 1.200 درهم .

ـ الجائزة الثانية لأربع مجموعات مبلغ كل واحدة منها 1.000 درهم.

ـ الجائزة الثالثة لتسع مجموعات مبلغ كل واحدة منها 800 درهم.

وجدير بالذكر أن اللجنة لم تعثر في الوثائق او المخطوطات على وثيقة او مخطوط يستحق الجائزة التقديرية الأولى.

معرض الوثائق والمخطوطات التي رُشحت هذه السنة لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق

في إطار جائزة صاحب الجلالة الحسن الثاني أيده الله للمخطوطات

والوثائف التي رشحت في هذه السنة للجائزة المذكورة، نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية معرضا لهذه المخطوطات والوثائق.

وقد قام السيد الحاج محمد ابا حنيني ، وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية بتدشين هذا المعرض بالوزارة، في الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الجمعة 4 جمادى الأولى 1400 (21 مارس 1980).

المؤتمر التاسع للآثار الاسلامية في البلاد العربية المنعقد بصنعاء

انعقد بالجمهورية اليمنية العربية المؤتمر التاسع للاثار الإسلامية في البلاد العربية مابين 16 فبراير 1980 إلى 22 منه شاركت فيه ـ إلى جانب المغرب ـ عدة وفود عربية ودولية بالإضافة إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

تدارس المشاركون في هذا المؤتمر تقارير وبحوث وفود الدول العربية عن أوضاع الآثار الإسلامية. كما تمت دراسة ما أنجزته وتنوي إنجازه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ميدان الآثار.

ومن ضمن النقط التي أدرجت في جدول أعمال المؤتمر (صيانة المدن المغربية) والتي أسفرت عنها توصية المؤتمر بدعم حملة لانقاذ مدينة فاس. وتعريب المصالح المختصة بالآثار في البلاد العربية. ومشروع إنشاء نواة لوحدة فنية بالإدارة العامة تتولى الاعداد للدراسة الخاصة بصيانة المدن العربية التاريخية .

الأنشطة الثقافية

التي نظمتها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية

خلال النصف الأول من سنة 1985

1) المحاضرات والندوات :

المحاضر	عنوان المحاضرة	التاريخ والمكان
الدكتور المهدي بن عبود	محاضرة في موضوع: [illegible] في التربية الإسلامية	25 يناير 1985 بقاعة الوزارة
الدكتور المهدي بن عبود والدكتور رشدي فكار	ندوة في موضوع: التكنولوجيا [illegible] في التنمية	31 يناير 1985 بقاعة الوزارة
الدكتور المهدي بن عبود الدكتور رشدي فكار الدكتور محمد [illegible]	ندوة في موضوع: الثقافة والتيارات المعاصرة	6 فبراير 1985 بقاعة الوزارة
الدكتور عبد الرحمان [illegible]	محاضرة في موضوع: [illegible] التربية [illegible] في تربية الطفل [illegible]	13 فبراير 1985 بقاعة الوزارة
الأستاذ عبد الكريم غلاب	محاضرة في موضوع: الحركة [illegible] بالمغرب	15 فبراير 1985 بقاعة المسرح البلدي بالدار البيضاء
الدكتور رشدي فكار الأستاذ محمد [illegible]	محاضرة في موضوع: [illegible] العربية بين [illegible] محاضرة في موضوع: [illegible] في [illegible]	19 فبراير 1985 بقاعة الوزارة 20 فبراير 1985 قاعة دار الشباب [illegible]

- 378 -

التاريخ والمكان	عنوان المحاضرة	المحاضر
4 مارس 1985 بقاعة الوزارة	ندوة في موضوع الحضارات وتحدياتها	الدكتور المهدي بنعبود الدكتور رشدي فكار الأستاذ عبد الهادي التازي
8 أبريل 1985 بقاعة الوزارة	ندوة في موضوع الثقافة ودورها في التنمية	الدكتور عباس الجراري الدكتور محمد زنيبر الأستاذ عبد الكريم غلاب
11 أبريل 1985 بمدينة مكناس	محاضرة في موضوع أسس الفكرة القصصية العربية	الأستاذ محمد بن عبد السلام
12 أبريل 1985 بمدينة إفران	محاضرة في موضوع عبد الكريم غلاب والرواية العربية	الأستاذ عبد الرحمان بن زيدان
13 أبريل 1985 بمدينة مراكش	محاضرة في موضوع النقد الأدبي والتحديات الفكرية المعاصرة	الباحثة اللبنانية الأستاذة [illegible]
18 أبريل 1985 18 أبريل 1985 بمدينة مكناس	محاضرة في موضوع المسرح المغربي [illegible] ندوة لمناقشة كتاب أبحاث في المسرح المغربي للدكتور حسن المنيعي	الأستاذ محمد [illegible] علال [illegible] عبد الكريم برشيد عبد الرحمان بن زيدان عبد السلام [illegible]
25 أبريل 1985 بقاعة الوزارة	محاضرة في موضوع [illegible] التاريخ [illegible] [illegible] في علم التاريخ	الأستاذ [illegible]

المحاضر	عنوان المحاضرة	التاريخ والمكان
الدكتور [illegible]	محاضرة في موضوع: [illegible] في الأدب العربي	25 أبريل 1980 بمدينة [illegible]
الدكتور رشيد [illegible]	محاضرة في موضوع: [illegible]	2 ماي 1980 بقاعة الغرفة التجارية والصناعية و[illegible]
الدكتور رشيد [illegible]	محاضرة في موضوع: [illegible] العربي بين [illegible] وعوامل [illegible]	8 ماي 1980 بقاعة الوزارة
الأستاذ [illegible]	محاضرة في موضوع: [illegible] التاريخ [illegible] في علم التاريخ	11 ماي 1980 بقاعة [illegible]
الأستاذ محمد [illegible]	محاضرة في موضوع: ظاهرة [illegible] والتجديد في الشعر العربي	17 ماي بمدينة [illegible]
الأستاذ محمد [illegible]	محاضرة في موضوع: ظاهرة [illegible] والتجديد في الشعر العربي	22 ماي بمدينة [illegible]
الأستاذ عبد العزيز [illegible]	الكتاب [illegible]	23 يونيو 1980 بمدينة [illegible] بقاعة البلدية
الدكتور [illegible]	[illegible]	25 يونيو 1980 بقاعة بلدية [illegible]
الأستاذ محمد [illegible]	الأدب العربي [illegible]	27 يونيو 1980 بقاعة بلدية [illegible]

1. المعارض :

المعارض	موضوع العرض	تاريخ ومكان العرض
وزارة التربية والتكوين [illegible]	معرض الكتاب المدرسي	[illegible] 1985 [illegible]
[illegible]	معرض الفن الإسلامي المعاصر	[illegible] 1985 [illegible]
[illegible]	وثائقية	[illegible] 1985 [illegible]
وزارة الثقافة [illegible]	معرض المخطوطات والمعالم التاريخية معرض صور الوثائق المتعلقة بالصحراء	[illegible]
النيابة الجهوية للوزارة بتطوان	تنشيط معرض أعمال التلاميذ في مسابقة الخط العربي	[illegible]
النيابة الجهوية للوزارة بمكناس	معرض الكتاب المغربي	[illegible] مكناس
النيابة الجهوية للوزارة بتطوان	معرض الإنتاج السنوي لمدرسة الصنائع والفنون الجميلة	[illegible] بتطوان
النيابة الجهوية للوزارة بتطوان	معرض الكتاب المغربي في مسيرة العصر الثاني معرض الفنون التشكيلية لطلبة مدرسة الفنون الجميلة بتطوان	[illegible]
النيابة الجهوية للوزارة بتطوان	معرض الكتاب المغربي في مسيرة العصر الثاني	[illegible]
النيابة الجهوية [illegible]	معرض صور المخطوطات والمعالم التاريخية	[illegible]

العارض	موضوع العرض	تاريخ ومكان العرض
[illegible]	معرض صور المخطوطات والمعالم التاريخية	[illegible] بالمركز الثقافي
[illegible]	معرض الفنون التشكيلية	[illegible] بقاعة العرض بالمسرح [illegible]
[illegible]	معرض جائزة [illegible] للمخطوطات [illegible]	[illegible]
[illegible]	معرض الفنون التشكيلية	[illegible] بالمركز الثقافي [illegible]
[illegible]	معرض لوحات فنية	[illegible]
[illegible]	معرض لوحات فنية	[illegible]
[illegible]	معرض لوحات الفنانة [illegible]	[illegible]
[illegible]	معرض [illegible]	[illegible]
[illegible]	معرض اللوحات [illegible]	[illegible] مسرح محمد [illegible]
[illegible]	معرض لوحات فنية	[illegible]
[illegible]	معرض لوحات فنية	[illegible]
[illegible]	معرض فني للفنانة [illegible]	[illegible]

العارض	موضوع العرض	تاريخ ومكان العرض
أمانة العودة بالبيضاء	معرض مسابقة الفنانين الهواة والمحترفين	من [illegible] إلى [illegible] أبريل [illegible] بقاعة [illegible] بالبيضاء
أمانة العودة بالبيضاء	معرض لوحات الفنان محمد [illegible]	من [illegible] أبريل إلى [illegible] مايو [illegible] بقاعة [illegible] بالبيضاء
أمانة العودة بالبيضاء	معرض جماعي للفنون التشكيلية	من [illegible] إلى [illegible] أبريل [illegible] بقاعة [illegible]
[illegible]	معرض الصناعات والعادات التاريخية والمخطوطات العربية	من [illegible] إلى [illegible] أبريل [illegible] [illegible]
[illegible]	معرض لوحات فنية	من [illegible] إلى [illegible] مايو [illegible] [illegible]
[illegible]	معرض جماعي للوحات فنية	من [illegible] إلى [illegible] مايو [illegible] [illegible]
[illegible]	معرض لوحات فنية	من [illegible] مايو إلى [illegible] يونيو [illegible] [illegible]
[illegible]	معرض المشغولات الفنية اليدوية	من [illegible] إلى [illegible] مايو [illegible] [illegible]
[illegible]	معرض الهيئة العامة التشكيلية	من [illegible] مايو إلى [illegible] يونيو [illegible] [illegible]
[illegible]	معرض [illegible] الفنية	[illegible] يونيو [illegible]
[illegible]	معرض مشغولات [illegible] الأثرية السوية	[illegible] يونيو [illegible]
[illegible]	معرض للفنون التشكيلية بمشاركة: [illegible] - [illegible] [illegible] - [illegible] [illegible] - [illegible] [illegible]	[illegible] يونيو [illegible] بقاعة [illegible]

الحفلات الموسيقية والمسرحية

منظم الحفل	موضوع الحفل	تاريخ ومكان الحفل
المركز الثقافي الإيطالي	معزوفات من الموسيقى الكلاسيكية بوجود [illegible]	22 فبراير 198[illegible] بقاعة الوزارة
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية	حفلة من مسرح [illegible]	[illegible] مارس 198[illegible] بقاعة الوزارة
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية	سهرة فنية كبرى في موضوع [illegible]	[illegible] مارس 198[illegible] بمسرح محمد الخامس
مسرح محمد الخامس	مسرحية [illegible]	28 فبراير 198[illegible] بمسرح محمد الخامس
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية	سهرة فنية كبرى	[illegible] مارس 198[illegible] بمسرح السيرة بالعيون
مسرح محمد الخامس	موسيقى الشباب	4 مارس 198[illegible] بمسرح محمد الخامس
النيابة الجهوية بالبيضاء	سهرة موسيقية كبرى	4 مارس 198[illegible] بالمسرح البلدي بالبيضاء
النيابة الجهوية بالبيضاء	مسرحية [illegible]	[illegible] مارس 198[illegible] بدار الشباب بن مسيك
النيابة الجهوية بالبيضاء	حفلة موسيقية كبرى	[illegible] مارس 198[illegible] بدار الشباب بن مسيك
النيابة الجهوية بالبيضاء	حفلة موسيقية كبرى	[illegible] مارس 198[illegible] بقاعة الأفراح [illegible]
النيابة الجهوية بمراكش	مسرحية [illegible]	[illegible] مارس بسينما [illegible] بمراكش
مسرح محمد الخامس	مسرحية [illegible]	[illegible] مارس 198[illegible]

منظم الحفل	موضوع الحفل	تاريخ ومكان الحفل
مسرح محمد الخامس	مهرجان الأدب المسرحي	[illegible] مايو 1985
مسرح محمد الخامس	سهرة الفن الشعبي	2 مايو 1985
مسرح محمد الخامس	عرض مسرحية [illegible] باللغة العربية	[illegible] مايو 1985
مسرح محمد الخامس	مهرجان الأطفال [illegible]	[illegible] مايو 1985
سفارة أمريكا بالمغرب	حفلة موسيقى الشعبية الأمريكية مع [illegible]	[illegible] مايو 1985
مسرح محمد الخامس	حفلة [illegible]	[illegible] مايو 1985
النيابة الجهوية بمكناس	حفلة موسيقى الأندلسية [illegible]	[illegible] مايو 1985 بمسرح دار الجامعي
النيابة الجهوية بمكناس	حفلة مسرح [illegible]	[illegible] مايو بالجمعية الخيرية الإسلامية
النيابة الجهوية بمكناس	عرض مسرحية [illegible]	[illegible] مايو [illegible]
نيابة الوزارة بالبيضاء	حفلة موسيقية	[illegible] مايو بقاعة [illegible] بالمحمدية
نيابة الوزارة بالبيضاء	سهرة موسيقية	[illegible] مايو بالمسرح البلدي بالجديدة
نيابة الوزارة بالبيضاء	عرض مسرحية [illegible]	[illegible] مايو بالمسرح البلدي بالجديدة
نيابة الوزارة بالبيضاء	عرض مسرحية [illegible]	[illegible] مايو قاعة دار الثقافة بخريبكة
نيابة الوزارة بالبيضاء	سهرة موسيقية	[illegible] مايو بقاعة [illegible] بخريبكة
نيابة الوزارة بمدينة مراكش	حفلة موسيقية [illegible] مع [illegible] عرض مسرحية [illegible]	[illegible] مايو بقاعة [illegible] بآسفي
نيابة الوزارة بمدينة مراكش	حفلة موسيقية مع فرق [illegible]	[illegible] نيابة الوزارة بمراكش
نيابة الوزارة بمدينة مراكش	حفلة موسيقية	[illegible] مايو قاعة دار [illegible] [illegible]

منظم الحفل	موضوع الحفل	تاريخ ومكان الحفل
نيابة الوزارة بمدينة مراكش	حفلة موسيقية	6 مارس قاعة دار الصناعة بعمالة [illegible]
نيابة الوزارة بمدينة مراكش	حفلة موسيقية	7 مارس 1985 بقاعة دار الصناعة بعمالة [illegible]
نيابة الوزارة بمدينة مراكش	حفلة من الموسيقى الأندلسية والطرب الملحون وعرض مسرحي [illegible]	8 مارس 1985 بقاعة البلدية بمدينة [illegible]
نيابة الوزارة بمدينة مراكش	حفلة من الموسيقى الأندلسية والطرب الملحون وعرض مسرحي [illegible]	15 مارس 1985 بقاعة الحفلات بمدينة الصويرة
المركز الثقافي الفرنسي	[illegible]	1985/3/14 قاعة الوزارة
المركز الثقافي الأمريكي الجمعية المغربية للموسيقى الأندلسية	[illegible] الموسيقى الشعبية الأمريكية	1985/3/19 قاعة الوزارة
وجدة	ندوة موسيقية للطرب الغرناطي بوجدة	1985/3/26 قاعة الوزارة
نيابة وزارة الثقافة بمكناس	ندوة موسيقية للطرب الغرناطي بوجدة	1985/3/26 قاعة الوزارة
نيابة وزارة الثقافة بمكناس	عرض مسرحي [illegible] بمكناس	1985/3/27 مسرح [illegible] بمكناس
سفارة [illegible]	فرقة [illegible]	1985/4/14 قاعة الوزارة
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية	حفلة [illegible]	1985/4/20 قاعة الوزارة
المركز الثقافي العراقي	[illegible]	1985/4/21 قاعة الوزارة
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية	عرض مسرحي [illegible]	1985/4/21 قاعة بلدية القنيطرة
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية	عرض مسرحي [illegible]	1985/4/21 بقاعة [illegible] بمكناس

منظم الحفل	موضوع الحفل	تاريخ ومكان الحفل
المركز الثقافي العراقي	حفل ساهر للفنان العراقي سعدون جابر	2010/4/2 [illegible]
وزارة الدولة للثقافة والتكوين الثقافي	[illegible]	2010/4/3 [illegible]
وزارة الدولة للثقافة والتكوين الثقافي	[illegible] حفل موسيقي [illegible] الموسيقي	2010/4/[illegible] قاعة الوزارة
[illegible] وزارة الثقافة [illegible]	[illegible]	2010/4/[illegible] [illegible]
المركز الثقافي العراقي	حفل موسيقي للفنان العراقي [illegible]	2010/4/[illegible] [illegible]
المركز الثقافي العراقي	حفل موسيقي للفنان العراقي [illegible]	2010/5/[illegible] [illegible]
اتحاد الجمعيات الثقافية والمسرحية [illegible]	[illegible]	2010/5/14 قاعة الوزارة
وزارة الدولة للثقافة والتكوين الثقافي	حفل [illegible]	2010/5/[illegible] [illegible]
وزارة الدولة للثقافة والتكوين الثقافي	حفل [illegible]	2010/5/[illegible] [illegible]
المركز الثقافي [illegible]	حفل [illegible]	2010/5/[illegible] قاعة الوزارة
[illegible]	[illegible]	2010/5/[illegible] قاعة الوزارة
المركز الثقافي العراقي	حفل موسيقي للفنان العراقي [illegible]	2010/5/[illegible] [illegible]
وزارة الدولة للثقافة والتكوين الثقافي	[illegible] حفل [illegible]	2010/5/[illegible] [illegible]
المركز الثقافي العراقي	حفل موسيقي للفنان العراقي [illegible]	2010/5/[illegible] [illegible]
وزارة الدولة للثقافة والتكوين الثقافي	[illegible]	2010/5/[illegible] قاعة الوزارة
السفارة التشيكوسلوفاكية	[illegible] التشيكوسلوفاكية	2010/5/[illegible] قاعة الوزارة

تاريخ ومكان الحفل	موضوع الحفل	منظم الحفل
10/6/30 قاعة الوزارة	تداريب المعهد الموسيقي التابع للوزارة	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/3 بقاعة سينما مرحبا بالخميسات	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/4 بقاعة البلدية بسيدي سليمان	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/5 بالمركب الرياضي لمكتب الشريف للفوسفاط بسيدي قاسم	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/6 بقاعة ثانوية سيدي عيسى بسوق أربعاء الغرب	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/7 دار الشباب بوزان	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/8 بقاعة الوزارة	فرقة المسرح التابعة للوزارة تقدم عرضا من مسرح الأطفال	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/8 ببلدية القنيطرة	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/9 ببلدية تطوان	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/10 ببلدية طنجة	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/11 ببلدية العرائش	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/12 ببلدية القصر الكبير	فرقة السيرك تقدم عروضا وألعابا ترفيهية	وزارة الدولة المكلفة بالتكوين الثقافي
10/6/28 ببلدية [illegible]	سهرات فنية تشارك فيها كل من فرقة المعهد الموسيقي بمراكش والفرقة الفنية ومجموعة الجوق الوطنية	نيابة وزارة الثقافة بمراكش

ملحق

لبعض الأنشطة الثقافية التي نظمتها النيابات الجهوية التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية خلال النصف الأول من سنة 1988

أ) المحاضرات :

المحاضر	عنوان المحاضرة	التاريخ والمكان
الأستاذ عبد السلام الحميمي	مواقف من القصة العربية	22-2-1988 بقاعة الثانوية العسكرية [illegible]
الأستاذ عبد العزيز أبو عبد الجليل	مكانة المرأة في الموسيقى الأندلسية	25-2-1988 بثانوية مولاي إسماعيل بمكناس
الأستاذ الدكتور عزوز العمادي	تاريخ المغرب خلال [illegible]	23-3-1988 بالأكاديمية الملكية العسكرية بمكناس
الأستاذ محمد الكتاني •	أثر الفكر بين الشرق والغرب	12-4-1988 بالأكاديمية الملكية العسكرية بمكناس
الأستاذ الصديق بلعربي	المكتبة والكتاب	25-1-1988 بدار الثقافة بمراكش

المحاضر	عنوان المحاضرة	التاريخ والمكان
الأستاذ حسن طالب	مكانة المرأة في الكتب عبر التاريخ	26/1/1980 بدار الثقافة ب[illegible]
الأستاذ عبد العزيز بغداد	الكتب والعلم التربوي	27/1/1980 بدار الثقافة ب[illegible]
الأستاذ فوزي بشير	موقف العرب والمستشرقين من تراث مكتبة الإسكندرية	28/1/1980 بدار الثقافة ب[illegible]
الأستاذة مكية [illegible]	[illegible]	21 [illegible] 1980 بدار الثقافة ب[illegible]

المعارض :

العارض	موضوع العرض	تاريخ ومكان العرض
المكتبة الجهوية بمكناس	عرض الكتب المدرسية	29/3/1980 بقاعة المدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس
المكتبة الجهوية ب[illegible]	عرض المخطوطات والكتب النادرة	22/3/1980 بقاعة دار الثقافة ب[illegible]
المكتبة الجهوية ب[illegible]	عرض الخط العربي [illegible]	22/3/1980 بقاعة دار الثقافة ب[illegible]
المكتبة الجهوية ب[illegible]	عرض [illegible]	25 أبريل 1980 بقاعة وزارة السياحة ب[illegible]

د) الحفلات الموسيقية والفنية :

منظم الحفل	موضوع الحفل	تاريخ ومكان الحفل
النيابة الجهوية بمكناس	حفلة افتتاح اليوم العالمي للمسرح	27/3 1990 بقاعة المدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس
النيابة الجهوية بمكناس	استعراض أزياء المسرح	27/3 1990 عبر شوارع مدينة مكناس
النيابة الجهوية بمكناس	حفلة اختتام تظاهرات اليوم العالمي للمسرح	28/3 1990 بقاعة المدرسة الوطنية للموسيقى بمكناس
النيابة الجهوية ببركان	عرض مسرحية المولد المسرحي لفرقة العمل الهادف	2 فبراير 1990 بقاعة الكازينو ببركان
النيابة الجهوية ببركان	سهرة الأطفال مع صبية الحلقة	25 ماي 1990 بقاعة سينما مريخاب ببركان

أنشطة مسرح محمد الخامس
خلال النصف الأول من سنة 1980

تميزت الثلاثة أشهر الأولى (أكتوبر - نونبر - دجنبر 79) بالحفلات المنظمة لفائدة عائلات شهداء وحدتنا الترابية طبقا للتوجيهات السامية لرائد المسيرة الخضراء المظفرة. وقد عرفت هذه السهرات إقبالا جماهيريا ترجم تعلق شعبنا بصحرائه المسترجعة، إذ لم يسبق في تاريخ مسرحنا الوطني أن رأت هذه المؤسسة مثل هذا الإقبال المتجدد يوما بعد يوم لمدة تفوق الشهر.

ومن جهة أخرى فقد تميز الشطر الثاني من الموسم المسرحي الحالي بأنشطة فنية متنوعة ومتعددة، ويمكن تصنيفها كما يلي :

22 عرضا مسرحيا مغربيا.
6 عروض مسرحية أجنبية.
6 عروض مسرحية عربية.
11 سهرة منوعة مغربية
10 عروض سينمائية.
11 صبحية للاطفال.
3 عروض للفنون السحرية.
1 مهرجان تضامني مع فلسطين.
2 معرضان / 2 محاضرتان.

وقد تسلسلت هذه العروض طوال خمسة شهور . فشهد المسرح تنظيم أربعة عشر عرضا في شهر يناير، ونفس العدد خلال شهر فبراير، ثم قفز العدد إلى

ثلاثة وعشرين عرضا في شهر مارس. ويعزى هذا الارتفاع إلى الحفلات المنظمة بمناسبة ذكرى عيد العرش المجيد خلال الأسبوع الأول وإلى المهرجان المنظم احتفالا باليوم العالمي للمسرح الذي تحييه كل الدول يوم 27 مارس من كل سنة.

وفي شهر أبريل نظمت هذه المؤسسة أربع حفلات بالإضافة إلى معرض للرسوم، مع تنظيم خمسة عروض مسرحية خارج العاصمة، وذلك بمدن خريبكة والقنيطرة ومكناس والدار البيضاء.

أما في شهر ماي، فقد قفز عدد الحفلات مرة ثانية إلى 12 عرضا مع تنظيم معرض وطني تحت إشراف هيأة المهندسين المعماريين بالمغرب، بالاضافة إلى محاضرتين في نفس الموضوع بنادي المسرح.

وينتظر أن يعرف المسرح خلال شهر يونيو عدة أنشطة متنوعة أهمها الحفلات الفنية الراقصة، ـ باليه عصري ـ التي تقدمها مختلف المدارس المتخصصة في هذا الميدان والتي تعرف إقبالا جماهيريا لا بأس به.

العروض المسرحية المغربية :

أ ـ دعاء للقدس :

بمناسبة ذكرى عيد العرش المجيد وبغية تعريف المواطنين المغاربة بقضية العرب الأولى، مشكلة فلسطين والقدس الشريف، انكب بعض الفنانين المغاربة على تهييء مسرحية بالمناسبة واكبا عرضها اجتماع لجنة القدس ببلدنا تحت رئاسة جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله، وقد شارك في تشخيص مسرحية «دعاء للقدس» أعضاء فرقة المسرح الوطني التابع لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية انضم إليهم عدد من الممثلين بعضهم يعمل بدار الإذاعة والتلفزة

المغربية والبعض الآخر يحترف المسرح بكيفية حرة وقد تم عرض المسرحية سبع مرات في كل من الرباط والدار البيضاء وطنجة وبني ملال.

ب ـ الفرق المسرحية المغربية :

أما العروض الأخرى فقد قامت بتقديمها عدة فرق مغربية سواء تحت إشراف منظمات إحسانية وطنية كالهلال الأحمر المغربي بالنسبة لمسرحية «بنت الخراز» أو باتفاق مباشر مع مديرية المسرح كما جرت العادة بذلك.

وهكذا قدم مسرح محمد الخامس فرقة البدوي في :

«شجرة العائلة» و «القربة في الميزان».

ومسرح 80 في مسرحية «سعدك يا مسعود» ومسرح الناس في مسرحية «الهبال في الكشينة» وفرقة العروبة في مسرحية «عبد الكريم الخطابي» والفنانين المتحدين في مسرحية «العائلة المثقفة» والبحث الفني في مسرحية «من أجل البقاء» ثم فرقة اللواء المسرحي بتازة في مسرحية «صالح ومصلوح». والاتحاد المسرحي بمكناس الذي قدم مسرحية أريسطوفان بعنوان (الضفادع) من إخراج محمد تيمد. وفرقة المسرح الاحتفالي بالدار البيضاء التي عرضت مسرحية عبد الكريم برشيد (فاوست والأميرة الصلعاء).

جـ ـ جولة الفرقة المسرحية القارة بالمهدية ـ تونس :

في إطار العلاقات الثقافية القائمة بين المملكة المغربية والجمهورية التونسية الشقيقة. قامت الفرقة المسرحية القارة بالمهدية ـ تونس ـ بجولة فنية باتفاق مع مسرح محمد الخامس وتحت إشراف وزارة

الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية عرضت خلالها مسرحية «اولاد الحلال» لصالح ميلاد و «الحارس» مقتبسة عن الكاتب الانجليزي هارولد بينتر. قام بإخراج المسرحيتين رئيس الفرقة ومؤسسها الفنان التونسي عبد الله رواشد. وقد قدمت الفرقة عروضا في كل من البيضاء والرباط والقنيطرة ومكناس، والملاحظ أن العروض المجانية التي قدمت في كل من القنيطرة ومكناس قد عرفت إقبالا منقطع النظير وتجاوبا جماهيريا خصوصا مع مسرحية «اولاد الحلال».

د ـ دروس الثقافة المسرحية :

نظرا للضعف الذي ظهر في عدة أعمال مسرحية قدمت من طرف الهواة ونظرا لكون الوسائل المادية لم تتوفر بعد لفتح معهد للدراسة المسرحية فقد قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية تنظيم دروس للثقافة المسرحية بمسرح محمد الخامس وبقاعة التمارين تحت إشراف أساتذة متخصصين في فنون المسرح. وهكذا افتتحت هذه الدروس في شهر مارس 80 حيث لوحظ إقبال ملحوظ من طرف طلبة جامعيين وموظفين وهواة كانوا يعملون في إطار جميعات ثقافية ومسرحية. وقد بلغ عدد المسجلين أكثر من مائة طالب ، ولو لم يقفل باب التسجيل لبلغ العدد المائتين أو أكثر.

وقد ساعدت هذه التجربة على التفكير في تنظيم دورة ثانية في بداية الموسم الفني المقبل مع تقنين القبول حتى تكون الفائدة أعم، وذلك نظرا لكون الدروس التي تعطى من طرف أساتذة مغاربة وأجانب يجب أن تبقى في مستوى عال يضمن نجاحها واستمراريتها.

السهرات الغنائية والمنوعات :

1 ـ المرأة المغربية ودورها في الأغنية :

احتفالا بعيد العرش المجيد نظمت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية سهرة متنوعة حظيت بنجاح كبير يوم 3 مارس أحياها الجوق السانفوني التابع للوزارة بمشاركة عدد من الفنانين والفنانات المغاربة لإبراز دور المرأة المغربية في إعطاء الصورة المشرفة للأغنية الوطنية على الخصوص والأغنية المغربية عامة.

ومن المعلوم أن الموسم المسرحي لم ينته بعد، وأن مسرح محمد الخامس يتابع نشاطه الفني بنفس الحماس معتمدا على عون الله وتوفيقه.

زيارة باحثين سعوديين في ميدان الآثار المغرب

في إطار العلاقات الثقافية بين المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية الشقيقة، استقبل المغرب باحثين سعوديين في ميدان الآثار والمتاحف هما السيدان عبد الله الحدلق، ومحمد ابراهيم من إدارة الآثار والمتاحف التابعة لوزارة المعارف بالرياض، والغرض من هذه الزيارة، هو الاطلاع على المآثر والمباني التاريخية المغربية، وكيفية المحافظة عليها، وأساليب ترميم الآثار الثابتة والمنقولة، وكذلك الوقوف على الصناعة التقليدية، ثم دراسة سبل التعاون المـ[illegible] في ميدان الآثار بصفة عامة بين البلدين.

وخلال إقامة الخبيرين المذكورين ببلادنا، عقدا عدة جلسات عمل مع المسؤولين عن الآثار، كما قاما بزيارة أوراش المباني والمواقع التاريخية بالرباط، ومديرية الصناعة التقليدية بوزارة الشؤون الاجتماعية والصناعة التقليدية، بالاضافة إلى زيارتهما لفاس ووليلي وأوراش المدرسة البوعنانية، وباب العلج بمكناس.

جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

أصدرت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية البلاغ التالي :

تنهي وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية إلى علم العلماء الباحثين والدارسين والأدباء والشعراء المغاربة كافة، أن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي وجهت إلى المغرب دعوة للمشاركة في جائزة المؤسسة المذكورة، وذلك تحقيقا لأغراضها في تدعيم الإنتاج العلمي، وتشجيع العلماء والباحثين في الوطن العربي.

وهي جائزة سنوية قدرها خمسة آلاف دينار كويتي (5000 دك) لكل واحد أو أكثر أسهم بصورة رئيسية وقدم اضافات جديدة في المواضيع الآتية :

1) العلوم الأساسية :	**في مجال العلوم البيولوجية.**
2) العلوم التطبيقية :	**في مجال الهندسة المدنية.**
3) الفنون والاداب :	**في الشعر الغنائي العربي.**
4) إحياء التراث العربي والإسلامي :	**في تاريخ الرياضيات عند العرب.**
5) العلوم الاقتصادية والاجتماعية :	**في مجال التغيير الاجتماعي في الوطن العربي خلال العقدين الماضيين.**

ويشترط في من يحصل على هذه الجائزة :

1 ـ أن يكون إنتاجه مبتكرا وذا أهمية بالغة بالنسبة إلى الحقل المقدم فيه خلال العشر سنوات الماضية.

2 ـ أن يكون المرشح من أبناء الأقطار العربية.

3 ـ تقبل المؤسسة طلبات المتقدمين وترشيحات الجامعات والهيآت العلمية كما يحق للافراد الحاصلين على هذه الجائزة ترشيح من يرونه مؤهلا لنيلها ولا تقبل ترشيحات الهيآت السياسية.

4 ـ يتضمن الترشيح السجل العلمي للمرشح، ونبذة مختصرة من حياته وإنتاجه العلمي، ومبررات ترشيحه لنيل هذه الجائزة.

5 ـ لايعاد الإنتاج المقدم إلى مرسله فاز المرشح أو لم يفز .

6 ـ لاتقبل الاعتراضات على قرارات المؤسسة بشأن منح الجوائز للفائزين

7 ـ على الفائز أن يقدم محاضرة عن الإنتاج الذي نال الجائزة عنه.

8 ـ تقبل الترشيحات ابتداء من »1. 3. 1980(إلى »31. 10. 1980).

9 ـ ترفق مع الترشيحات أربع نسخ من الإنتاج المقدم وترسل إلى العنوان التالي :

السيد المدير العام لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص. ب : 25263 ـ الصفاة

ـ الكويـــت ـ

وتقوم المؤسسة بإعلان عن هذه الجوائز، كما تقوم بإرسال دعوات إلى الجامعات والهيآت العلمية.

وستقدم المؤسسة مع الجائزة النقدية ميدالية تقديرية، وشهادة خاصة، تبين مميزات الإنتاج وأهميته بصورة مقتضبة.

بَلاغ

من وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية حول "جائزة المغرب" لسنة 1980

ان جائزة المغرب لسنة 1980 ستمنح في نهاية السنة الحالية. وستعين الوزارة لجنة التحكيم من بين الأساتذة المتخصصين وذلك بناء على محتويات الكتب المرشحة لنيل الجائزة.

وسيقفل باب الترشيحات في الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء 1 أكتوبر 1980.

وعلى من يرغب في الاطلاع على الشروط المطلوبة قانونا أن يعود إلى القرار الوزاري الصادر في الجريدة الرسمية عدد 3230 رقم 15474 بتاريخ 17 شعبان 1394 الموافق 5 شتمبر 1974. أو أن يتصل بمصلحة المكتبات والنشر والتوزيع التابعة لوزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.